

الجمهورية اليمنية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ذمار



عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

التغيُّر الزمني للأفعال في القراءات القرآنيَّة وأثره في المعنى

إعداد الطالب :

محمد سعيد هادي الهجري

قُدِّمت هذه الرِّسالة استكمالاً لمتطلَّبات الحصول على درجة الماجستير في علوم اللُّغة بقسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة ذمار

إشراف :

د. عبد اللَه علي الهتاري

١٤٣٤هـ ٢٠١٣م

الرقم:
التاريخ: / / 200م.

تقرير لجنة مناقشة رسالة ماجستير

بناء على مصادقة مجلس الدراسات العليا والبحث العلمي في قراره رقم (178) الصادر في دورة اجتماعه الثالث- لعام: 2012/2013م بتاريخ: 4/2/2013م . بتشكيل لجنة مناقشة رسالة الماجستير للطالب محمد سعيد هادي الهجري كلية الآداب .

قسم/ اللغة العربية - تخصص

المعنونة بـ/ (اللغة العربية): (تغير البنية الصرفية للأفعال بين القراءات القرآنية وأثره في اختلاف المعنى)

(اللغة الانجليزية): ....

....

اجتمعت اللجنة المؤلفة بهذا القرار من:

1. أ.م.د/ نجيب عبد الله السودي رئيساً ومناقشاً خارجيا
2. أ.م.د/ عبد الكريم مصلح البحلة عضواً ومناقشاً داخليا
3. أ.م.د/ عبد الله علي الهتاري مشرفاً

يوم الاثنين الموافق: 8/4/2013م . بعد مناقشته العلنية لرسالة الطالب أعلاه قررت

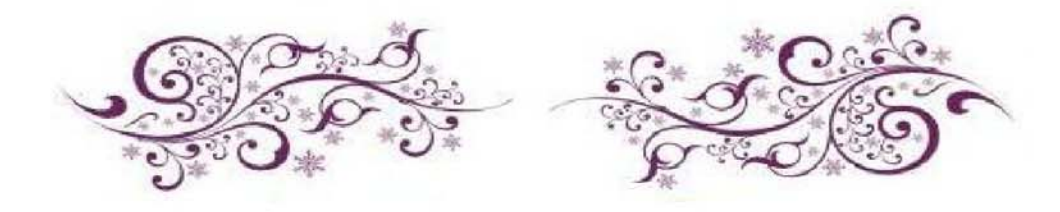
- قبول الرسالة ومنح الشهادة ( )
- قبول الرسالة مع إجراء بعض التعديلات (✓) على أن يعدل عنوان الرسالة ليصبح التغير الزمني للأفعال في القراءات القرآنية وأثره في المعنى

تفويض الدكتور عبد الله علي الهتاري بمنح الشهادة بعد الأخذ بالتعديلات خلال ثلاثة أشهر من تاريخ المناقشة .

- ....

الاسم	الصفة	اللقب العلمي	التوقيع
أ.م.د/ نجيب عبد الله السودي	رئيساً ومناقشاً خارجيا	أستاذ مشارك	[توقيع]
أ.م.د/ عبد الكريم مصلح البحلة	عضواً ومناقشاً داخليا	أستاذ مشارك	[توقيع]
أ.م.د/ عبد الله علي الهتاري	مشرفاً	أستاذ مشارك	[توقيع]


بسم الله الرحمن الرحيم



قال ابن الجوزي ت(٥٩٧ هـ) :

" لمَّا كان القرآنُ العزيزُ أشرفَ العلوم ، كان الفهمُ لمعانيه أوفى الفُهوم ؛ لأنَّ شرفَ العلمِ بشرفِ المعلوم "

زاد المسير ١/٣





إِهْدَاءٌ

لِمَنْ كانا لي نبعًا ثرًّا ، ومعينًا لا ينضب ، أنهلُ من مائه العذب

والديَّ الغاليين .

كنتُ أُبْحِرُ مع ما أكتب فصبرتْ عليَّ ، وقاسَمَتْني الأفراح والأتراح .

زوجتي الكريمة .

يا من عشقتم الضَّاد وأسوار قلعتها المنيعة ، ومنعتم أن تَعْبُرَ عالمَكُم

تسابيح الثَّناء ، أو يشدوَ لكم زَجَلَ الإطراء

دكاترتي الأفاضل

فإنَّكَم مِثْلُ الكتابِ أَخْفَاهُ طَيٌّ   فَاسْتَدُلُّوا عَليـــهِ بِالعُنْـــوانِ

بكلمات الحبِّ العاطر أُهْدِي هذا العمل ، راجيًا من الرحمن القبول .

الباحث





شُكْرٌ وَعِرْفَانٌ

توقُّدُ همَّتِكم أكبرُ من كلمات تتوارى خجلا من صبركم ، فأنتم من يحتضن أفكارنا لتستوي على سوقها .

دكاترتي الأجلاء أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب بجامعة ذمار ، مشرف رسالتي د. عبد الله علي الهتاري لكم خالص شكري ، ووافر امتناني .

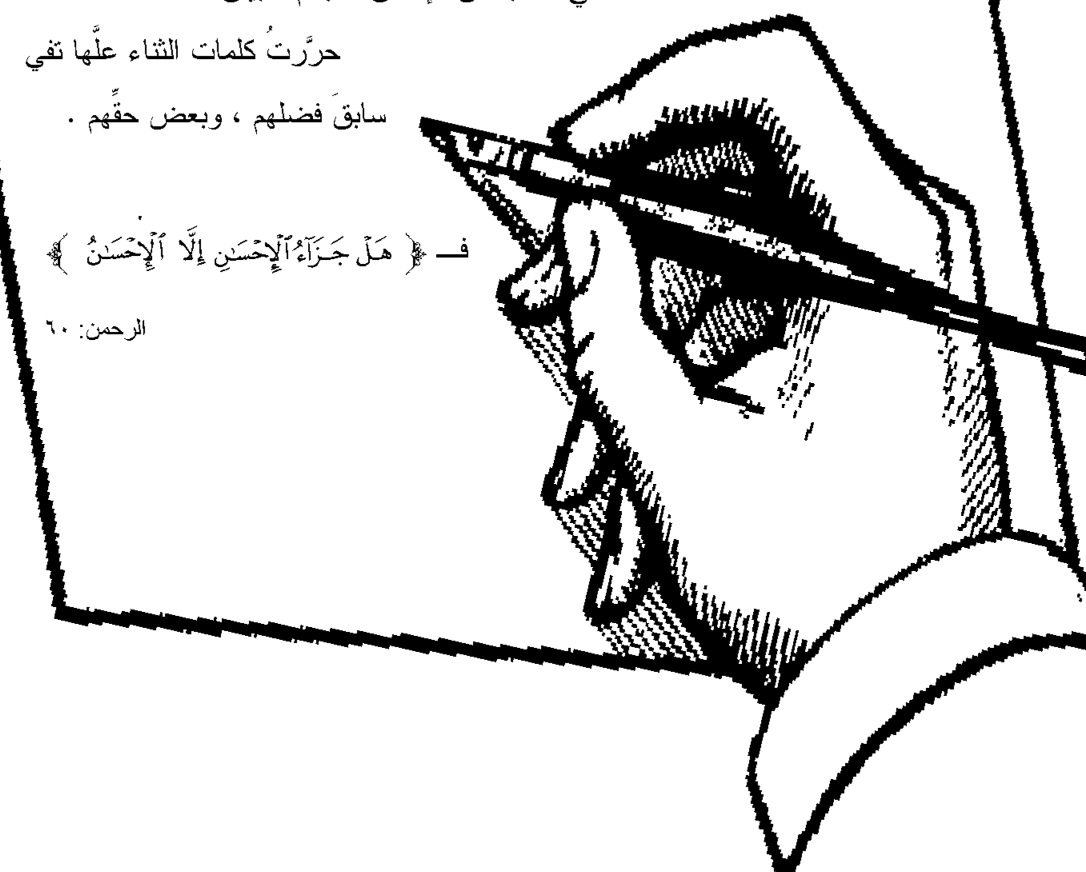
وما كان لباحثٍ أنْ يتفيَّأُ ظلال علوم من أناروا درب مسيرته الأكاديميَّة ؛ إلا أَنْ تتوه عباراته ، وتتبعثر كلماته أين يوجِّهُهَا ؟ وكيف يبعثها ؟؟

لكنِّي : بلسان الإمكان لا بقلم التبيان ...

حرَّرتُ كلمات الثناء علَّها تفي سابقَ فضلهم ، وبعض حقِّهم .

فـ ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾

الرحمن: ٦٠



ملخص البحث باللغة العربية

تناقش هذه الدِّراسة الموسومة بـــ : (**التغيُّر الزَّمني للأفعال في القراءات القرآنية وأثره في المعنى**) الدلالات المترتِّبة على صُوَر التغيُّر لبنية الفعل في نطاقه الزَّمنـــي بـــين القراءات القرآنية ، وقد تلمَّس الباحث تلك الدلالات من خلال مجموعة من النماذج قـــام بتحليلِها ، فقد وصف أوجه تغُّير البنية بين القرَّاء ، ثم قام بتوجيه هذا التغيُّر لكل قراءة وردت متواترة أم شاذّة ، ثمَّ دوَّن الملاحظات حول صورة التغيُّر بين بُنْيَتَـــي الفعلـــين مسْتَصْحِبًا دلالة السياق وأثرها على المعنى ، وقد اختار الباحث قراءة عاصمٍ أصلا بنى عليه صُوَرَ التغيّر مع بقية القراءات ، كما أنَّ دراسة بنية الفعل حُصِرت في الأزمنـــة : الماضي ، والمضارع ، والأمر .

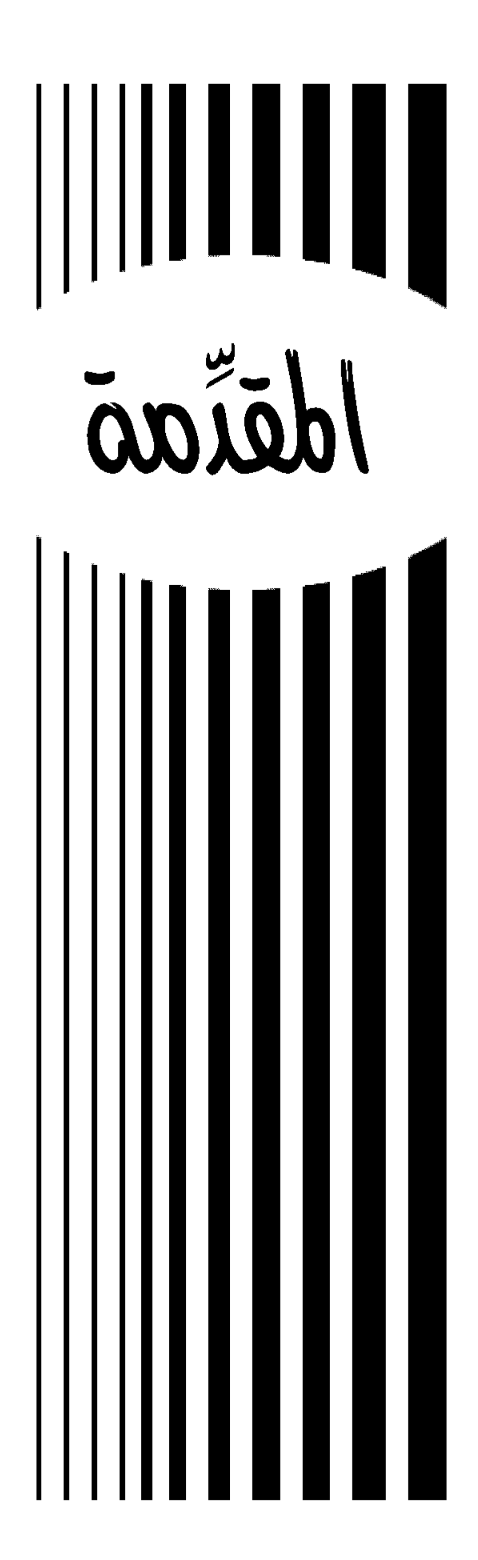
ولم يقف الباحث أثناء تناوله هذه الصور عند حدود التعليل النَّحوي فقط ، بل يتجازوه إلى التعليل البلاغي والبياني ، محاولا إيجاد العلاقة بين البنية والسياق للوقـــوف علـــى أسرار هذا التغيُّر ودلالاته من خلال السيـــاق القرآني ، وهذا التغيُّر أحدث أبعادًا بلاغية وبيانية كشفت عن وجوه الإعجاز في هذا الكتاب الكريم .

وقد جاء البحث في مقدِّمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول :

- **المقدِّمة** : بيَّن فيها الباحث أسباب اختياره للموضوع ، ثمَّ أهداف الدراسة وأهميتها ، ثمَّ مجالها وحدودها ، والمنهج الذي سلكه في تطبيقات الدراسة ومباحثها ، ثمَّ الدراسات السابقة ، والصعوبات التي واجهته ، ثمَّ خطَّته في فصول الرسالة .
- **تمهيد** : تناول فيه الباحث : معنى البنية الصرفية ، ثمَّ الفعل ودلالته على الزَّمن ، ثمَّ تغيُّر البنية الصرفيَّة للأفعال ، ثمَّ السِّياق تعريفه ، أركانـــه ، وأهميَّتـــه ، ثـــمَّ القـــرآن والقراءات : تعريفات أساسيَّة ، ونشأة القراءات القرآنيَّة ، ثمَّ أثرها على المعنى .
- **الفصل الأول** : التغيُّر من الفعل الماضي إلى المضارع ، والعكس ، ودلالة ذلك .
- **الفصل الثاني** : التغيُّر من الفعل المـــاضي إلى الأمر والعكس ، ودلالة ذلك .
- **الفصل الثالث** : التغيُّر من الفعل المضارع إلى الأمر والعكس ، ودلالة ذلـــك ، ثـــم الخاتمة فالنتائج والتوصيات ، مرفِقا الدِّراسة بملاحق تحصر مواضع التغيُّر لبنية الفعل بين القراءات القرآنية .

تنسيق
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الموضوعات



المقدِّمة

الحمد لله على سوابغ نعمائه ، وضوافي آلائه ، والصلاة والسلام على أكرم رسله ، وخيرة أنبيائه ، صلاةً تملأ أركان الأمكنة ، وسلامًا يعطِّر أجواء الدهور والأزمنة ، وبعد ،

امتلك القرآن الكريم بأسلوبه البديع في التركيب والترتيب ناصيةَ البيان ، وذروة مقامات البلاغة والفصاحة ، تجلَّت فيه بلاغة الكلمة ، ودقَّة التعبير ، وتجدُّدُ المعاني ، يقدِّم الكلام الجزل ، والقول الفصل بقليلٍ من الألفاظ ، ويسيرٍ من التراكيب التي تحمل في طيَّاتها عالم إبداعٍ ، وبحرَ تفنُّنٍ في تدريس فنون القول وأبلغِه .

ويبقى القرآن الكريم بتراكيبه وعباراته خارجًا عن مستوى كلام البشر ، فنظْمُه المُتْقَن ، وتركيبه الفائق خارجٌ عن حدودهم بما لم يعهدوه من قبل . وهو وإنْ كان من جنس كلامهم مادَّةً ؛ إلا أنَّه بأسلوبه الراقي يأسِر القلوب ، ويأخذ بمجامع النُّفوس إلى شُطْآن التذُّوق ومرافئ التأمُّل ، فالأذُن تتلذَّذ به وتستمْتِع كما تتمتَّع العين برؤية المنظر الجميل .

ولقد شغف قلب الباحث بحبِّ هذا الكتاب العزيز منذ بدأ في خطى البحث والدرس ، وتملَّكه الشَّوق إلى نيل شرف البحث في مادَّةٍ من موادِّ علومه – وهي كثيرة – ، ولمَّا كانت القراءات القرآنية الثابتة عن الرَّسول ﷺ ميدانًا خصبًا للدراسات اللُّغوية على تنوُّع مستوياتها : الصَّوتية ، والصَّرفية ، والنَّحوية ، والدَّلالية ؛ آثرَ الباحثُ أَنْ تنصبَّ دراسته على مادَّتها ، وأن يعْكُف – فيما أعانه الله تعالى – على سبر أغوارها ، وتَتَبُّعِ محاسن أنوارها ، وإنْ كان تحصيل ذلك كلِّه من الصعوبة بمكان ، فالأمر يحتاج فكرًا نقيًّا ، وبصرًا جليًّا ، يقطف أطايب ثمرها ، ويلتمس نفائسَ أثرِها .

وقد انقدح في خاطر الباحث – بتوفيق الله تعالى ، وبمشورة من بعض دكاترته الأفاضل – أن يكتب في موضوعٍ طريفٍ تليدٍ ، مسَّه القدامى من المفسِّرين وعلماء الدراسات القرآنية واللُّغويَّة ؛ فجاءت هذه الدراسة بعنوان : (**التغيُّرُ الزمني للأفعال في القِرَاءاتِ القرآنيَّةِ ، وأثرهُ في المعْنى**) .

ولعلَّ من أبرز الأسباب التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع ما يلي :

١. احتوت كتب اللغة ، والتفسير ، وعلوم القرآن ومعانيه على جملة وافرة من توجيه للقراءات والاحتجاج لها ، يتبلَّغ بها اللُّغويون إلى الاستشهاد على بعض قواعدهم ، أو ترجيح وجه لغويٍّ على آخر ، ويعتضد بها الفقهاء في استنباط الأحكام ، ويستعين بها المفسِّرون على بيان المعاني التي تتضمَّنُها الآيُ ، إلا أنَّ جملة من هذه الدراسات قصرت بحثها على توضيح حجَّة كلِّ قراءة أو علَّتِها ، مُوردةً بعض الأقوال المبثوثة هنا أو هناك وكأنَّها ترجِّح قراءةً على أخرى ، أو تبيِّن العلَّة من هذه القراءة بهذه اللفظة ، وكان الأولى – والله أعلم – بيان اللطائف والفوائد الدَّلاليَّة التي تتحقَّق من اختلاف القراءات وتنوُّعِها .
٢. المستوى الدّلالي من أهمِّ المستويات اللغوية ، وأجدرها بالدِّراسة والتحليل ، ومن غيره لا تكون هناك لغة للتعبير عن حاجات الإنسان وأغراضه ، ولغة القرآن الكريم بقراءاته المتعدِّدة أرقى لغة في التعبير عن هذا المستوى اللُّغوي ، كما أنَّ التغيُّرَ بين هذه القراءات منهلٌ خصبٌ لدراسة الأثر الدلالي المترتِّب على هذا التغيُّر .
٣. للباحث اهتمامٌ بالقراءات القرآنيَّة والدِّراسات المتعلِّقة بها ، وقد لفت نظره أنّ التغيَّر بين القراءات القرآنيَّة شمل أقسام الكلام : الأسماء ، والأفعال ، والحروف ، فاختار الباحثُ الأفعالَ ليقف على أسرار تغيُّر أزمِنَتِها في القراءات القرآنيَّة ، وليدرس أثر هذا التغيُّر على المعنى .
٤. باستقراء – على وجه الإجمال – قام به الباحث لمواضع تغيُّر بنية الفعل الصرفيَّة بين روايتي حفص وشعبة عن عاصم بن أبي النَّجود ت(١٢٧هـ) ، بلغت مواضع تغيُّر الفعل بين الروايتين أكثر من مائة وخمسين موضعًا من بين أكثر من خمسمائة موضعِ خلافٍ بينهما شمل الأسماء والأفعال[١] ، فإذا كان هذا الاختلاف حاصلا بين

(١) يُنْظَر : فيَّاض ، جمال : رواية شعبة ،١٥-٧٠ ، نبهان ، محمد : الرياش في رواية شعبة بن عياش ،٢٦-٨٢

راويي قارئٍ واحدٍ فقط ، فكيف الحال لو تمَّ استقراء مواضع الاختلاف بين بقية القرَّاء ؟ ، مَا مِنْ شكٍّ أنها ستكون مادة ثريَّة تستحق أن تُبْحَث .

تلك أبرز الأسباب التي رأى الباحث أنَّ من المفيد أنْ يجمع ما يتعلق بهذا الموضوع ، مبيِّنًا المعاني التي تضمَّنتها صورة هذا التغيُّر بين القراءات ، ومبرِزًا جانبًا من جوانب الإعجاز في النَّص القرآني بكونه غير قابل للتناقض والاضطراب ، على الرغم من تعدُّد قراءاته وتنوعها .

أهداف الدراسة :

يهدف الباحث في هذه الدارسة إلى ما يلي :

١. استقراء صور التغيُّر في أبنية الأفعال بين القراءات القرآنية ، وتناول بعض نماذجها بالتحليل والدراسة .
٢. الوقوف على المعاني التي تُدْرَك نتيجةً للتغيُّر بين القراءات القرآنية .
٣. فهم العلاقات المتعدِّدة التي تربط صور التغيُّر لبنية الفعل بين القراءات القرآنية بما يؤدي إلى فهم معانيها .
٤. بيان أهميَّة السياق وأثره في توجيه المعاني المتعدِّدة لصور تغيُّر بنية الفعل بين القراءات القرآنية .
٥. بيان الحيويَّة في الدراسة اللُّغويَّة من خلال دراسة الأثر الدلالي لتغيُّر أبنية الأفعال الصَّرفيَّة بين القراءات القرآنيَّة.

أهمية الدراسة :

تكمن أهميَّة هذه الدراسة – في نظر الباحث – في ما يلي :

١. تتعلَّق الدِّراسة بجانب اعتقاديٍّ في حياة المسلم ، إذ يجب عليه أن يثبت عدم التناقض والاختلاف والتدافع بين القراءات القرآنية .
٢. تنطوي القراءات القرآنية على مادة دلاليَّة غزيرة ، تمنح روافد جديدة من المعاني ، التي تنجم عن تغيير إعراب الكلمة ، أو بنيتها ، أو حروفها .

٣. تؤكِّد الدراسة على نظرية النَّظم التي قعَّد لها وأثراها عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١هـ) ، من خلال ربط أثر التغيُّر بين أبنية الأفعال بالدلالة والمعنى ؛ لأنَّ المقصود ليس دراسة التغيُّر لذاته ، وإنَّما بيان أثره على المعنى .

مجال الدراسة وحدودها :

القراءات القرآنية : المتواترة والشاذة ، ولنْ يختار الباحث إلا ما حكمَ العلماء بأنّ لها وجهًا يُطْمَأَنُّ إليه في اللغة ، وأصول النحو ، وشواهد الشعر. ووسَّع الباحث مجال الدِّراسة ليشمل القراءات الشاذَّة لِمَا لَهَا من تعلُّقٍ بالمعنى في المواضع التي وردت ، كما أنَّها أولى بالاستدلال والاستئناس من غيرها كأبيات شعرٍ مجهولة القائل . واستثنى الباحثُ من هذه القراءات الأصولَ العامَّة لكل قارئ كـ : الإمالة ، والمدِّ ، والفتح ، والترقيق ، والتفخيم ؛ لأنَّه يكثر دورانُها ، ويطول بيانُها ، ويجدر التنبيه إلى أنَّ الباحث اختار قراءة عاصمٍ بن أبي النَّجود ت(١٢٧هـ) أصلا بنى عليه صُوَرَ التغيّر الحاصلة في بنية الفعل مع بقية القراءات ، كما أنَّ الحصر والاستقراء كان لبنية الفعل الصرفيَّة في أزمنتها : الماضي ، والمضارع ، والأمر بين القراءات القرآنية ، ويصعب أن يُقِيم الباحث الدراسة على جميع النَّماذج التي تمَّ حصرها في صور التغيُّر لبنية الفعل بين القراءات القرآنية لِمَا تَقتضيه الرسالة منْ أَنْ تكون في مقدار وحجم معيَّنَين ، فاكتفى بدراسة بعض تلك النَّماذج ، التي ارتآها من وجهة نظره شاهدة على الصورة التي يناقشها .

منهج الدراسة :

اعتمد الباحث على المنهج الوصفيِّ التحليليِّ ، واقتضت طبيعة البحث أن يُسْبَق بالدراسة الإحصائية الاستقرائية لبنية الفعل الصرفيَّة الدَّالة على الزَّمن ، ثم يصف الباحث أوجه التغُّير في بنية الفعل بين القرَّاء ، ثم يقوم بتوجيه هذا التغيُّر مسترْشِدًا بكتب توجيه القراءات ، وإعراب القرآن الكريم ، ومعانيه وتفسيره ، ثمَّ يقوم الباحث بتحليل بعض تلك النماذج ودراستها ، وتدوين الملاحظات حول صورة التغيُّر بين بِنْيَتَي

الفعلين مبيِّنًا أثر كل بِنية على المعنى – بما فتح الله به عليه وهو الفتَّاح العليم – ، يرشده إلى ذلك إشارات يجدها عند النُّحاة في تناولهم للبِنى الصَّرفيَّة ، وبعض دراسات المحدثين مسْتَصْحِبًا دلالة السياق في تناول هذه النَّماذج .

ولن يتطرق الباحث لوصفِ هذا التغيُّر في مستواه النَّحوي ، إلا فيما يكشف اللِّثام ، ويُبيِّن المعنى ، دون الخوض في غمار الخلاف وتوجيهات العلماء ، فالمراد وصف هذا التغيُّر في مستواه الدِّلالي . ويرجو الباحث أن يكون تناوله لتلك الدلالات مِمَّا لا تكلُّف فيه ولا شطَط ، فالقرآن الكريم أصحُّ المعاني ، ولا ينبغي أنْ يُقال فيه برأي ، إلا أنَّ الباحث يتلمَّس دلالات السياق ومقاماته ، ويربط اللفظ بالمعنى ، والبنية بالتركيب ، والدلالة بالزَّمن فيما لا يُخْرِج الآية عن مرادها ، فإنْ تعذَّر عليه الوقوف على تلك الدلالات ؛ حطَّ رحله ، وأناخ مطيَّته ، وما افْتَأَت على كتاب الله تعالى بقول ولا رأي ، حتى لا يكون القول مدعاة للتثريب .

صعوبات الدراسة :

واجه الباحثُ عددًا من الصُّعوبات تمثَّلت في ما يلي :

١. كثرة مواضع التغيُّر لأبنية الفعل بين القراءات القرآنية مِمَّا هو مِنْ مجال الدِّراسة ، اقتضى عرضها على متخصِّص في علم القراءات ، ومن ثَمَّ تصنيفها وتبويبها على فصول الدراسة ، وهو ما أخذ جهدًا أكبر ، ووقتًا لا بأس به من زمن الدِّراسة .
٢. اتِّساع الصُّور التطبيقية لهذا التغيُّر ، بالإضافة للعدد الكبير من الألفاظ والنَّماذج التي يمكن دراستها وتحليلها .
٣. يعلِّل القدماء لهذا التغيُّر بتعليلات نحوية وصوتية وصرفية ، وربما أغفلوا دلالة السياق ، وهذا اقتضى من الباحث جهدًا آخر تمثَّل في إعمال النَّظر في دقائق مثل هذا التغيُّر ودلالاته ، والاستئناس بما كتب المحدثون للإفادة من تعليلاتهم وتفسيراتهم في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة .

٤. يعترف الباحث بأنَّ بعض صور تغيُّر الأفعال بين القراءات كانت عصيَّةً أبيَّةً لم يُتَحْ له التعرُّف على دقائق دلالاتها ، ومكامن أسرارها ، وإنَّما هي فتوحات ربَّانيَّة يفتحها الله تعالى على من شاء من عباده ، فاكتفى الباحثُ حينها بالتَّطْوَافِ حول حصن هذا الفعل يلتمس بلاغة مقامه ، ودلائل سياقه ، علَّ الله يقيِّض لذلك من يسدُّ النَّقص .

خطَّة الدراسة :

سلك الباحث بعض الخطوات الإجرائية لتنتظم منهجية الدِّراسة ؛ لتخرج في حلَّة من التناسق والاتِّزان ، من ذلك :

١. كتابة الآيات القرآنية مشكَّلة برواية حفص عن عاصم ، برسم المصحف الالكتروني لمجمع الملك فهد .
٢. عزو الآيات إلى سورها ، وإردافها برقم الآية في المتن لا الحاشية .
٣. عزو الأحاديث النبوية إلى مظانِّها من كتب السنَّة حسب ضوابط التخريج وأصوله .
٤. عزو البيت الشعري إلى قائله ، ووزنه من بحور الشِّعر ، وتوثيقه من ديوان الشاعر وكتب الأدب المعتمدة .
٥. توضيح المفردات التي تحتاج إلى بيان في الحاشية ، مستعيناً في ذلك بالمعاجم اللغويَّة.
٦. لم يلتزم الباحث التَّرجمة لأحد من الأعلام ؛ فقد ارتأى أنَّ ذلك ليس من صلب دراسته ، وبذلك أشار عليه المشرف ، واكتفى الباحث بذكر سنة الوفاة مسبوقة بالحرف (ت) بعد الاسم مباشرة في كل مرة يرِد فيها .
٧. يمهِّد الباحث في الغالب بمدخل يربط عناصر الفصل أو المبحث ، كما يلخِّص الفصل أو المبحث بخاتمة مختصرة تجمع ما تفرَّق .
٨. يورِد الباحث مواضع التغيُّر لبنية الفعل بين القراءات في كل صورة حسب ترتيب ورودها في المصحف .

٩. إنْ نَقَلَ الباحث حرفيًّا ؛ فإنِّه يلتزم بذكر المنقول بين علامتي تنصيص هكذا " " تحريًّا للأمانة العلمية ، وإنْ نَقَلَ بالمعنى ، أو أراد الإحالة للتَّوسُّع قال في الحاشية : يُنْظَر .

١٠. أثبت الباحثُ المرجعَ في الحاشية مبتدئًا بشهرة المؤلف واسمه كما هو مثبت في مراجع الدِّراسة ، ثم الكتاب ، ورقم المجلد أو الجزء والصفحة دون تفصيل لبيانات المرجِع ؛ حتى لا تُثْقَلَ الدِّراسة بكثرة الحواشي .

١١. إنْ أثْبت الباحثُ أكثر من مرجع في حاشية واحدة ؛ فإنَّه يقدِّم الأقدم فالذَّي بعده حسب تاريخ وفاة المؤلِّف .

١٢. أمَّا توثيق المراجع في الفهارس فقد اتَّبع الباحث : (اسم الشهرة للمؤلف ، اسم المؤلف وتاريخ وفاته : اسم الكتاب . رقم الطبعة – إن وجدت – . اسم المحقق أو المحقِّقِين . البلد : الدار الناشرة . تاريخ الطبعة – إن وجدت –) .

١٣. في الملحقات أثبت الباحث جداول تشمل حصرًا بالمواضع التي تمَّ استقراؤها لصور التغيُّر لبنية الفعل بين القراءات القرآنيَّة ، والقارئ بها ، ونوعها .

١٤. أثبت الباحث فهارس تسهِّل من مطالعة الدِّراسة والإفادة منها ، وهي :

- فهرس الآيات القرآنية : رتَّبها الباحث حسب ترتيبها في المصحف .
- فهرس الأحاديث النبوية : حسب الترتيب الألفبائي لمطلع الحديث النَّبوي .
- فهرس الأبيات الشعرية : حسب الترتيب الألفبائي لقافية البيت الشعري .
- فهرس المصادر والمراجع : حسب الترتيب الألفبائي لأسماء الشهرة للمؤلفين ، باستبعاد (أل) و (أبي) و (ابن) من الترتيب .
- أمَّا فهرس الموضوعات : فقد أثبته الباحث قبل هذه المقدِّمة.

واقتضت طبيعة الدِّراسة أن يكون في مقدِّمة ، وتمهيد ، وثلاثة فصول

– المقدِّمة : بيَّن فيها الباحث أسباب اختياره للدِّراسة ، ثمَّ أهدافها وأهميتها ، ثمَّ مجالها وحدودها ، والمنهج الذي سلكه في تطبيقاتها ، ومباحثها ، ثمَّ عرَّج على الدراسات السابقة التي أفاد منها ، والصعوبات التي واجهته ، ثمَّ بيَّن خطَّته التي سار عليها .

– التمهيد : وتناول فيه الباحث :

- معنى البنية الصرفية .
- الفعل ودلالته على الزَّمن .
- تغيُّر البنية الصرفيَّة للأفعال .
- السِّياق تعريفه ، أركانه ، وأهميَّته .
- القرآن والقراءات : تعريفات أساسيَّة .
- نشأة القراءات القرآنيَّة .
- أثر القراءات القرآنيَّة على الدلالة والمعنى .

– الفصل الأول : التغيُّر من الفعل الماضي إلى المضارع ، والعكس ، ودلالة ذلك . وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : التغيُّر من الفعل الماضي إلى المضارع ، ودلالته .
- المبحث الثاني : التغيُّر من الفعل المضارع إلى الماضي ، ودلالته .

– الفصل الثاني : التغيُّر من الفعل الماضي إلى الأمر والعكس ، ودلالة ذلك . وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : التغيُّر من الفعل الماضي إلى الأمر ، ودلالته .
- المبحث الثاني : التغيُّر من الفعل الأمر إلى الماضي ، ودلالته .

- الفصل الثالث : التغيُّر من الفعل المضارع إلى الأمر والعكس ، ودلالة ذلك. وفيه مبحثان :

- المبحث الأول : التغيُّر من الفعل المضارع إلى الأمر ، ودلالته .
- المبحث الثاني : التغيُّر من الفعل الأمر إلى المضارع ، ودلالته.

ثم الخاتمة التي أعطى الباحث فيها فكرة إجمالية على ما تناولته الدِّراسة ، وأهمّ النتائج والتوصيات التي خرجت بها ، مرفِقًا ملاحق تحصر مواضع التغيُّر لبنية الفعل بين القراءات القرآنية . هذا وقد رجع الباحث إلى عددٍ من الكتب التي هي مظانٌّ لمثل هذه الدراسة ، حيث اعتمد في توثيق صور التغيُّر لبنية الفعل على أمَّهات كتب القراءات من مثل : التيسير للدَّاني ت (٤٤٤هـ) ، والحجَّة في القراءات السَّبع : لابن خالويه ت(٣٧٠هـ) ، والحجَّة في علل القراءات السَّبع لأبي علي الفارسي ت(٣٧٧هـ) وغيرها ، وفي دراسة صور التغيُّر وتحليلها على كتب تفسير القرآن الكريم كالكشَّاف للزَّمخشري ت(٥٣٨هـ) ، والبحر المحيط لأبي حيَّان ت(٧٤٥هـ) ، وكتب إعراب القرآن وعلومه ومعانيه ، مثل : معاني القرآن للفرَّاء ت(٢٠٧هـ) ، وتأويل مشكل إعراب القرآن لابن قتيبة ت(٢٧٦هـ) ، والمحتسب في القراءات الشاذَّة لابن جنِّي ت(٣٩٢هـ) ، وإعراب القراءات الشواذ للعُكْبَري ت(٦١٦هـ) وغيرها ، وكتب النَّحو مثل : الكتاب لسيبويه ت(١٨٠هـ) و شروحاته ، والمقتضب للمبرِّد ت(٢٨٥هـ) ، وأصول النَّحو لابن السَّراج ت(٣١٦هـ) ، والخصائص لابن جنِّي ت(٣٩٢هـ) وغيرها ، كما أفاد الباحثَ عددٌ من الدِّراسات الحديثة ، والرسائل الجامعية ، والدوريَّات والمجلات أثبتها في قائمة المصادر والمراجع .

وقد استغرقت الدِّراسة وقتًا انتقل فيه الباحث بين دوحة الكتب ورياضها ، يقطف من هذه وردة ، ويجني من تلك ثمرة ، حتى استوت على سوقها ، وربَّما كان البحث محلا للإعياء ، مُرْهِقًا للتفكير ، لكنْ لمَّا عَسُرَ تَيَسَّر وتَيَسَّر ، ولَنْ يغْلِب عسرٌ يسرين .

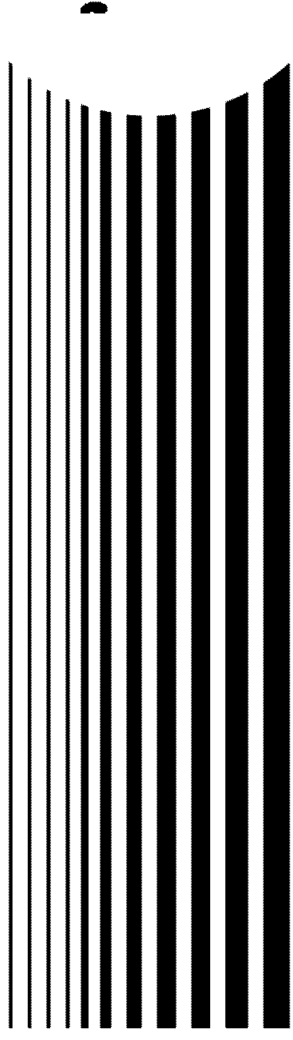
والشُّكر في هذا المقام وبعد نعمة التمام لله المولى ، على ما وهب وأولى وأعان على إتمام هذه الدِّراسة ، فله المنَّة من قبل ومن بعدُ ، كما يتقدَّم الباحث بالشكر الجزيل لنيابة الدِّراسات العليا ، وعمادة كلية الآداب بجامعة ذمار ، ورئاسة قسم اللغة العربية ، وأعضاء هيئة التدريس فيه على ما أولوه من جهود مضنية في سبيل تحصيلنا العلمي والأكاديمي ، ويخصُّ بالذِّكر مشرفَ رسالته الدكتور عبد الله علي الهتاري ، الذي كلَّف نفسه عناء متابعة الدِّراسة منذ أطوارها الأولى توجيهًا ونقدًا علميًّا بنَّاءً إلى أنْ استوى تمامُها ، ولانَ للباحث زِمامُها ، كما يتقدَّم الباحث بالشكر الجزيل لِمَنْ لهم عليه منَّةٌ وفضلٌ ابتداءً من الدكتور صالح النهاري نائب عميد كلية التربية لشؤون الطلاب بجامعة صنعاء الذي لم يعدم الباحث توجيهاته وإشاراته ، والشيخ محمد جمعان مدير معهد الشاطبي لتلقِّي القراءات سابقًا الَّذي أفاد منه الباحث في مسائل تتعلُّق بتوثيق القراءات ومنهجيَّتِها ، فهو من المتَخَصِّصين في هذا الفنِّ ، ومِنْ واجب القولِ ولِزامه أنْ يشكر الباحث شكرًا ممزوجًا بالامتنان أعضاء لجنة المناقشة : الدكتور عبد الكريم البحلة – مناقشًا داخليًّا – وقد تشرَّف الباحث بالتَّتلمذ على يديه فترة التمهيدي ، وأفاد من منهجيَّته العلميَّة وإكسابه طلابه ملكات البحث ومهاراته ، والدكتور : نجيب السودي – مناقشًا خارجيًّا – على ما أولاه هذه الدِّراسة من وقته وجهده فحصًا وتصويبًا ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

وختامًا يعترف الباحثُ بأنَّ القصور من الأوصاف البشرية ، وليست الإحاطة بالعلم إلا لباري البريّة ، إلا أنَّه يضرع إلى مَنْ وسعت رحمته كل شيّ ، وشملت عنايتُه كل حيّ ، أن ينفع في هذا العمل بباعث النية ، ونيَّة القصد .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلّم .

الباحث





- معنى البنية الصرفيّة.
- الفعل ودلالته على الزّمن.
- تغيُّر البنية الصرفيّة للأفعال.
- السِّياق تعريفه، أركانه، وأهميّته.
- القرآن والقراءات تعريفات أساسيّة.
- نشأة القراءات القرآنيّة.
- أثر القراءات القرآنيّة على الدلالة والمعنى

تدرس هذه الرسالة تغيُّر البِنية الصرفيَّة الزَّمنيَّة للأفعال في القراءات القرآنية ، وأثر هذا التغيُّر في المعنى .

وقد آثر الباحث استخدام مصطلح (**البِنية الصرفية**) على غيره من المصطلحات – كالصيغة مثلاً – اتِّباعًا لِنهج علمائنا السابقين في تآليفهم وكتبهم ، فالسيوطي ت(٩١١هـ) على سبيل المثال حين وضع صيغ الأفعال وضعها تحت عنوان : (أبنية الفعل) ، وذكر أبنيةً كثيرةً ، وكيفية اشتقاقها كأبنية المضارع ، والمبني للمعلوم ، والمبني لغير المعلوم[١] . والسيرافي ت(٣٦٨هـ) ينصُّ عليها بقوله : " إنَّ أبنية الأفعال مختلفة فمنها على (فَعَلَ) ، نحو : (ضَرَبَ) ، ومنها على (فَعِلَ) ، نحو : (عَلِمَ) ، و (فَعُلَ) ، نحو : (ظَرُفَ) وغير ذلك من الأبنية"[٢] ، والمبرِّد ت(٢٨٥هـ) يؤْثِر هذا المصطلح على غيره تحت عنوان : (باب الأبنية ومعرفة الزوائد)[٣] .

ولا يُنْكَرُ استخدام النُّحاة واللُّغويين القدامى ، والمحدَثين لمصطلحٍ غير (**البنية**) ، فابن مالك ت(٦٧٢هـ) مثلاً استخدم لفظ (**الصِّيغة**) في ألفيَّته حين قال :

وصُغْ مِن اثنين فَمَا فوقَ إلى   عشرةٍ كفاعل مِنْ فَعَلا[٤]   (**الرَّجَز**)

فاستخدم فعل الأمر (**صُغْ**) من (**صَاغَ**) الماضي . وتحدث د.تمام حسَّان عن الصيغ القياسية ، والمحفوظة للفعل الثلاثي ، وجعلها مبوَّبةً على ستة أبواب ، وصيغٍ أخرى قياسية كذلك لما زاد على الثلاثي ، و مايَز بين المبني للمعلوم والمبني للمجهول وفق الصيغة[٥] .

وهذا التغيُّر في ألفاظ المصطلح الواحد الناشئ عن اختلاف النُّحاة في تقرير هذا المصطلح أو ذاك لا بأس به لو كان في غيرِ كتابٍ واحدٍ له منهجيته الخاصة في التأليف

---

(١) يُنظَر : السيوطي : همع الهوامع ، ١٥/٦_ ٤٧
(٢) السيرافي : شرح كتاب سيبويه ،١/ ٥٤
(٣) يُنظَر : المبرد : المقتضب ،٥٣/١
(٤) ابن مالك : الألفية ، باب العدد ، البيت (٧٣٨) ، ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ،٣٥/٤
(٥) يُنظَر : حسَّان ، تمام : اللغة العربية معناها ومبناها ،١٠٦-١٠٧

، أَمَا في رسالةٍ علميَّةٍ فإنَّ الباحث سينهج مسلك الاستقرار على مصطلح (البنية) لئلا يظهر هذا التغير في الألفاظ بين المصطلحات .

والمراد بالبِنية الصرفيَّة : وزْنُ الكلمة ، وصيغتها ، وهيئتها التي يشترك فيها غيرها ، وهي عدد حروفها المرتَّبة ، وحركاتها المعيَّنة ، وسكونها ، مع اعتبار الحروف الزوائد والأصليَّة ، كلٌّ في موضعه[١] .

إنَّ الأبنية الصرفيَّة قوالب استنبطها الصرفيُّون ليصبُّوا فيها المادَّة اللغوية التي يعبِّرون بها عمَّا يجول في أفكارهم ، ويدور في خواطرهم من معانٍ محدَّدة اعتُبِرت فيما بعد سياجًا وصمَّام أمانٍ لِمَا ينطقه العرب من حيث الصحة والسلامة . والبنية الصرفيَّة أحد أهمِّ العناصر التي تتألف منها الجملة العربية إضافة إلى : المفردة ، والتأليف بنوعيه الجزئي[٢] ، والتام[٣] ، والنَّغمة الصَّوتية ، والقرينة ، والفهم العام لمدلول العبارة ، والإعراب[٤] .

أمَّا الفعل فيمثل الركيزة الأساسية في بناء الجملة العربية بعد الاسم ، ولأهميَّته عُنِيَ به العلماء قديمًا وحديثًا عناية كبيرة من خلال حديثهم عن بُنْيَتِه ودلالته[٥] ، فـ" أول ما يجب للنَّاظر في كلام العرب – بعد إِحْكام قياس الحركات – أن يُحْكِم تثقيف الأفعال ، لِمَا يدخلها من القياس بالتصرُّف ، ليتَّصل له قياس التصرُّف في الأفعال بقياس تصرُّف الإعراب في الأسماء"[٦] . والفعل : ما دلَّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة[٧] ، هذا على سبيل الإيجاز وإلا فقد اختلف النحاة في حدِّ الفعل ، وتعريفه ،

---

(١) يُنظَر : الاستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب ،١/٢
(٢) مثل : قام عنه أي : انصرف عنه ، وقام له : عظّمه ، وقام عليه : تولى أمره .
(٣) كالتقديم ، والتأخير ، والذكر ، والحذف ، والتوكيد وعدمه ، والتنكير ، والتعريف .
(٤) يُنظَر : السامرائي ، فاضل : الجملة العربية تأليفها وأقسامها ،٣١
(٥) يُنظَر مثلاً : كتاب : فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني (٢٥٥هـ) ، كتاب الأفعال لابن القطاع (٥١٥هـ) ، الفعل زمانه وأبنيته لإبراهيم السامرائي ، ودراسات في الفعل لعبد الهادي الفضلي
(٦) الثويني : الأفعال في القرآن الكريم ودلالاتها في السياق القرآني ، ص١٨٣
(٧) يُنظَر : ابن جماعة : شرح كافية ابن الحاجب ،٢٧١

وعلاماته . ولعلَّ من أفضل تحديداته : دلالاته على الحدث والزَّمن[١] ، وهذه هي وظيفته الصَّرفيَّة التي يتميَّز بها عن غيره من أقسام الكلام .

وقد قَّسم النُّحاة الفعل إلى ثلاثة أقسام : ماضٍ : وهو ما دلَّ على الزَّمن الماضي ، أو مَا تحقَّقَ وقوعه ، ومضارعٍ : وهو ما دلَّ على الحاضر ، أو المستقبل ، أو ما لمْ يتحقَّق وقوعه ، وجعلوا الأمر داخلا ضمن الدلالة على الزَّمن المستقبل ، قال ابن يعيش ت(٦٤٣هـ) : " لمَّا كانت الأفعال مساوقة للزَّمن ، والزمان من مقومات الأفعال توجد عند وجوده ، وتنعدم عند عدمه ، انقسمت بأقسام الزمان . ولمَّا كان الزَّمان ثلاثة : ماضٍ ، وحاضر ، ومستقبل ، وذلك من قِبَل أنَّ الأزمنة حركات الفلك فمنها : حركات مضت ، ومنها حركة لم تأتِ ، ومنها حركة تفْصِل بين الماضية والآتية ، كانت الأفعال كذلك ماضٍ ، ومستقبل ، وحاضر "[٢] .

وما أقرَّه النُّحاة القدامى من أنَّ الفعل يدلُّ على الحَدَث بلفظه ، وعلى الزَّمان بِبِنْيَتِه عارضه المحدَثون ، حيث رأوا في عملِهم تجاهلاً لدلالة السِّياق في تحديد زمن الفعل ، ورفضوا أنْ تدلَّ البِنية الصرفيَّة للفعل على زمن معيَّنٍ ، فما هي إلا مجرَّد كلمة لا يصحُّ أنْ يُنْسَب إليها زمنٌ مَّا ، والزَّمن إنما يُحْكَم بدلالة السياق الذي وردت فيه تلك البنية[٣] ، ولمَّا رأى المحدَثون أنَّ في التقسيم السابق للفعل تجاهلًا لدلالة السياق التي لا يمكن أن تُؤخَذ من بنية مجرَّدة عن التركيب ؛ بنوا تقسيمهم للفعل على أساس إنجاز الحدث وليس على أساس بِنية الزَّمن ، فما أُنْجِز فهو ماضٍ ، وما لم يُنْجَز فهو مضارعٌ ، وما يحتمل الإنجاز أو عدمه أمر ، وقسَّموا الزمن إلى نوعين :

١- الصَّرفي : وهو الزمن الذي تدلُّ عليه البِنية المفردة خارج السياق .

٢- النَّحوي : وهو الذي تحدِّده القرينة اللفظيَّة أو الحاليَّة أو هو معنى الفعل في السياق[٤]

---

(١) يُنظَر : السهيلي : نتائج الفِكر ،٥٢ ، الساقي ، فاضل : أقسام الكلام العربي ،٧٣

(٢) ابن يعيش : شرح المفصل ،٤/٧

(٣) يُنظَر : السامرائي ، إبراهيم : الفعل زمانه وأبنيته ،١٥، الجنابي ، زهراء : الأثر الدلالي لحذف الفعل في القرآن ،٢٢

(٤) يُنظَر : هنداوي ، عبد الحميد : الإعجاز الصرفي ،٥٠ ، المطلبي : الزمن واللغة ،٨٣ ، سخنيني ، هشام : نظام الفعل في اللغة ،٢٢، حسان ، تمام : اللغة العربية معناها ومبناها ،٢٤٠

ويرى د.عبد الله الهتاري أنَّ البنية الصرفيَّة لا تخلو من دلالة زمنيَّة وإنْ كانت تحتاج إلى السياق ليضفي عليها دلالة إضافيَّة يكتمل بها المعنى ، فلا تُلغِي إحدى الدلالتين الأخرى ، ولا تُفْرِغْها من محتواها ، كما يظهر ذلك في قوله تعالى : (أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ) النحل: ١ ، فالفعل (**أَتَى**) يفرض دلالة سياقيّةً يقتضيها المقام هي دلالة الاستقبال ، وهو في دلالته الصَّرفيَّة يدل على المُضِيِّ ، إلا أنَّا لا نُفْرِغ البِنية الصرفيَّة للفعل (**أَتَى**) من دلالتها الزمنية ، ولا نخضعها للسياق فقط لورود القرينة اللَّفظيَّـــة : (**فَلا تَستَعْجِلُوه**) ، ولو كان المراد ذلك لجاءت البُنْية صريحةً بقوله : (**سيأتي أمر الله**) ، وإنَّما يُجمع بين الدّلالتين الصَّرفيَّة والنحويَّة بحيث لا تُلغي إحداهما الأخرى ، ولا تُفْرِغْها من محتواها ، لتدلَّ الآية على أنَّ أمر الله تعالى سيأتي لا محالة ، وهو أمرٌ مقطوعٌ به ، ولا محالة في مجيئه[١] .

ويرى الباحث – والله أعلم – أنَّ النظر في البينة الصرفيَّة للفعل خاصَّة في القرآن الكريم لابد وأن يتَّسق مع السِّياق أو الدّلالة النحويَّة ، أمَّا الفصل بين الدلالتين فلا يليق في حقِّ كلام الله تعالى القائم على الإعجاز ، وإنَّما الفتوحات تأتي في حسن الاستنباط ، وملكة الجمع بين الدّلالتين وتوجيههِما . ولمْ يكنْ جهد القدامى منصبًّا فقط على اللفظة المفردة ، بل أوضحوا القرائن التي تضاف إلى الفعل ، وتحيط به ، وكيف ينتقل بها الفعل من معنًى إلى معنًى بشكل يجعله منسجمًا مع حالات المتكلم وأزمنته المتعددة ، ويظهر هذا جليًّا في كلام سيبويه ت(١٨٠هـ) حين قال : " إذا قال : (فَعَلَ) ؛ فإنَّ نفيه (لَمْ يَفْعَلْ) ، وإذا قال : (قَدْ فَعَلَ) ؛ فإنَّ نفيه (لمَّا يَفْعَلْ) ، وإذا قال : (لَقَدْ فَعَلَ) ؛ فإنَّ نفيه (مَا فَعَلَ) ، لأنَّه كأنَّه قال : والله لقد فعل ، فقال : والله ما فعل . وإذا قـــال : (هُوَ يَفْعَلُ) ولم يكن الفعل واقعًا ؛ فنفيه : (لا يَفْعَلُ) ، وإذا قـــال : (لَيَفْعَلَنَّ) ، فنفيه : (لا يَفْعَل) كأنَّه قال : والله ليفعلنَّ ، فقلت : والله لا يفعل . وإذا قال : (سوف

(١) يُنظَر : الهتاري ، عبد الله : الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي ، ٤٠-٤١، الهتاري ، عبد الله : تحولات الأفعال في السياق القرآني ،٧

يفعل) ؛ فإنَّ نفيه : (لَنْ يَفْعَلَ)"[١] . فهل من الحقِّ والإنصاف أن يُقال بعد ذلك : إنَّ أفعال اللغة العربية لا تُفْصِح عن الزَّمان ، أو إنَّ النُّحاة الأوائل قصَّروا في بحث هذا الموضوع ، ليس ذاك الظنُّ بهم – والله أعلم – .

<u>**أمَّا التغيُّر في البنية الصرفيَّة**</u> للفعل فذلك كائنٌ في القرآن الكريم والقراءات القرآنية – كما سيأتي – وقد تنبَّه الدارسون القدامى إلى سمة بارزة من سمات الكلام العربي هي : المراوحة بين الأساليب ، والانتقال المفاجئ من أسلوب إلى آخر ، أطلقوا عليها مصطلحات عدة من أبرزها : العدول والالتفات أو ما يسمى بـــ (**شجاعة العربية**)[٢] ، ذلك أنَّ في هذا الأسلوب جرأة بخروج الكلام عن استعماله العادي ، أو كسرًا للنِّظام اللُّغوي النَّموذجي على تعبير بعض الباحثين[٣] ، والمقصود بهذا التغيُّر على تنوُّع مصطلحاته : الانتقال من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول ، أو من حالة إلى أخرى كأنْ ينتقل من خطاب الحاضر إلى الغائب ، ومن خطاب الغائب إلى الحاضر ، ومن خطاب المتكلم إلى المخاطب ، ومن المخاطب إلى الغائب ... إلى غير ذلك من صور الانتقال التي تعني التحوُّل من صيغة إلى أخرى بما في ذلك التحوُّل في بُنَى الأفعال من الماضي إلى المضارع ، ومن المضارع إلى الماضي ... كلُّ ذلك تطريةً للسامع ، وتجديدًا لنشاطه ، وصيانةً لخاطره من الملل والضجر[٤] .

وقد أفاد الباحثُ من جملة من الدِّراسات التي عُنِيت بتحليل الأثر الدلالي لصُوَر تغيُّــر بنية الأفعال الصرفيَّة بين القراءات القرآنيَّة ، وكان مِنْ ألصَقِها بموضـــوع الدِّراســـة ، وأقربِها اعتناءً بالإشارات الدلالية ما يلي :

١. <u>(اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع من طريق الشاطبية ، توجيهه وأثـــره على المعنى)</u> لمنصور سعيد أبو راس ، تقدَّم بها لنيل درجة الماجستير من جامعـــة أمِّ

---

(١) سيبويه : الكتاب ،١١٧/٣

(٢) يُنظَر : ابن جني : الخصائص ،٣٦٠/٢ ، ابن الأثير : المثل السائر،١٦٨/٢

(٣) يُنظَر : بلقاسم ، دفّة : نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن ، ١١

(٤) يُنظَر : الرازي : نهاية الإيجاز ،١٧٢، السكاكي : مفتاح العلوم ، ٢٩٦، ابن أبي الأصبع : بديع القرآن ،٤٢-٤٤ ، العلوي:الطراز ١٣٢/٢، الزركشي : البرهان ،٣١٤/٣ ، السيوطي : معترك الأقران ،٢٨٦/١

القرى بمكة المكرمة للعام ١٤٢٦هـ ، قَصَرَ الدراسةَ فيها على أوجه الاختلاف بين القراءات السَّبع من طريق الشاطبيَّة ، وجعلها في ثلاثة أبواب : الاختلاف في الأسماء – الاختلاف في الأفعال – الاختلاف في الأسماء والأفعال ، والباب الذي أفيد منه في هذه الدَّراسة هو : الاختلاف في الأفعال حيث توزَّع على ثمانية فصول : الاختلاف بين صيغ الثلاثي ، الثلاثي و مزيده بحرف ، الثلاثي و مزيده بحرفين ، مزيد الثلاثي بحرف ، صيغ مزيد الثلاثي بحرف وحرفين ، صيغ مزيد الثلاثي بحرفين ، الماضي والمضارع والأمر ، البناء للمفعول والفاعل . وكان إجمالي ما أوردَه في اختلاف الأفعال : الماضي ، والمضارع ، والأمر (**ثمانية**) نماذج ، لم تتوزَّع على منهجيَّة متناسقة يفيد منها الدَّارسون ، واكتفى الباحث بإيراد الحُجَجِ و العِلَلِ في توجيه الاختلاف كما هو معلومٌ من كتب القراءات ، مع إشارات طفيفة لأثر هذا الاختلاف على المعنى . ومع أنَّ الباحث صرَّح أنَّ دراسته لم تتَّجه للجانب الصَّوتي ، إلا أنَّ المتتبِّع لفصولها ومباحثها يجد ميولا بل وإشباعًا لبعض القضايا الصَّوتيَّة التي كانت على حساب البحث الدلالي ، كما في تناوله لقراءة : (لِيَرْبُوَا ولِتُرْبُوْا) ، و (عَسَيْتُم وعَسِيتُم)[1] ، كما يُلحظ أنَّ الرسالة توجَّهت في الأعمِّ الغالب إلى توجيه الاختلاف بين القراءات نحويًّا وصرفيًّا مع إشارات قليلة في الجانب الدلالي .

ويحسب الباحث أنَّ الدِّراسة التي قام بها توزَّعت على منهجية يُفيد منها الباحثون في حصر صور التغيُّر لبنية الفعل بين القراءات القرآنية ودراسة الأثر المترتِّب على هذا التغيُّر دلاليًّا وذلك بربط صورة التغيُّر بالسياق ؛ كونه من خلاله يمكن فهم الدلالات المتعدِّدة بتعدُّد المقامات والسياقات التي تردُ بها قراءة دون أخرى ، كما أنَّ توسيع مجال الدراسة ليشمل القراءات الشاذَّة بالشروط التي سبق إيرادها في مجال الدراسة وحدودها سيوسِّع دائرة الحصر والاستقراء لصور تغيُّر بنية الفعل بين القراءات القرآنية مِمَّا يُسهِم في دراسة أكثر من نموذج وتحليله وصولا لتذوُّق جماليات النَّص القرآني ، وستقوم هذه

---

(١) يُنْظر : أبو راس ، منصور : اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع ،١٢٨

الدراسة بتوظيف القضايا الصوتيَّة – إنْ وردت في إحدى صور تغيُّر بنية الفعل – في وصف الأثر الدلالي لهذا التغيُّر .

٢. (تغيُّر صيغ الأفعال بين القراءات القرآنية) د.عبد المحسن أحمد الطبطبائي ، بحثٌ نشرته حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية الصادرة عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت الحولية رقم (٢٧) ، الرسالة (٢٤٨) ، العام ١٤٢٧هـ –٢٠٠٦ ، وهو بحثٌ لا يتجاوز خمسين صفحة ، ضمّنه المؤلف أمثلة و نماذج ليست بالاستقصائية على تغيُّر صيغ الأفعال بين الماضي والمضارع والأمر ، وبين المعلوم والمجهول ، وبين اللازم والمتعدِّي ، وقد أشار الباحث إلى فتح المجال أمام الباحثين لاستقراء هذا التغيُّر واستقصائه ، من مثل قوله : " وتجدر الإشارة أيضًا إلى أنَّ دراستي هذه ليست دراسة استقصائيَّةً تُحصي جميع ما ورد من تغيُّر في صيغ الأفعال بين القراءات القرآنيَّة ، إنَّما هي استخلاصٌ لبعض الأمثلة من هذه القراءات "[١] ، كما أنَّ المؤلف لم يتطرق إلى وصف الأثر الدلالي لهذا التغيُّر بين القراءات القرآنية ، وإن وُجِدَ فلم يَعْدُ أن يكون إشارات لم تُعْنَ بدراسة السِّياق ، ولا الأثر الدلالي لصورة التغيُّر ، بل توجَّهت في غالبها إلى توجيه القراءة نحويًّا ، و صرفيًّا كعادة القدماء – رحمهم الله تعالى – .

وقد وَظَّفت القراءاتُ القرآنيَّةُ التغيُّر بين أبنية الفعل الصرفيَّةِ على نحو جميل ورائع يشهد بحلاوة القرآن الكريم وطلاوته ، وإعجازه ورفعته ، فاستثمرت كلَّ ما جاءت به اللغةُ من أنماط هذه التغيُّرات وصنوفِها تيسيرًا على الناطقين بها . ويُلمس أثر هذا التغيُّر القائم على إدراك أوجهٍ متنوعةٍ من دلالات المعاني بحسب زيادة الأبنية الصرفيَّة إمَّا في الأفعال ، وإمَّا في التغيُّر في مواضع الحركات ، أو في تضعيف الحروف أو غيره . و يحوي التحوُّل المختص ببِنية الأفعال على معانٍ دقيقة ، وإشاراتٍ لطيفة ، وهو ما سيحصر الباحث فيه جهده مستقرئًا ما وقع من لطائفه ودقائقه بين القراءات القرآنية من صور التغيُّر لأزمنة الفعل الثلاثة : الماضي ، والمضارع ، والأمر ، الَّذي

---

(١) يُنْظر : الطبطبائي ، عبد المحسن : تغير صيغ الأفعال بين القراءات القرآنية ، ٢١

" لا شكَّ أنَّه لو لمْ يختلف المعنى لمْ تختلف الصيغة ؛ إذ كلٌّ عدول من صيغة إلى أخرى لا بدَّ وأن يصحبه عدولٌ عن معنى إلى آخر ، إلا إذا كان ذلك لغة "(١) .

ويظهر للمتأمِّل في دقائق هذا التغيُّر ما استودعه الله تعالى من مكنون أسراره ، وعظيم أنواره في هذا الكتاب المعجز ، والحكمة التي اختصَّ الله تعالى بها كل قراءة بالبِنْيَة التي وردت بها ، لتكمِّل كلٌّ قراءة الأخرى من غير تعارض ولا تدافع ، ومن له معرفةٌ بالقراءات فسيجد حلاوة في تذوُّق مثل هذه الصُّور ، وسيُمْتِعُ نفسه بتأمُّل تلك الدَّلالات .

وليس من نافلة القول **بيان المراد بالسياق وأركانه ودوره** في تحديد هذه الدلالة أو تلك ، إذ سيلحظ القارئ عند تحليل نماذج من صور تغيُّر بنية الفعل بين القراءات القرآنية الرَّبط في غالب الأحيان بين صورة التغيُّر ودلالات السياق في فهم الأثر المترتِّب على هذا التغيُّر .

لقد انشغل الباحثون القدامى في مباحث حول اللفظ والمعنى ، وأيُّهما تكمن فيه البـــلاغة ؟ حتى غلب على بعضهم التَّقسيم والتَّبويب بما أخرج الكلام عن أغراضه ، وجعله أشبه ما يكون بتقاسيم رياضية ، لا علاقة للشُّعور والوجدان بحال المتكلِّم(٢).

والأصل أنَّ العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة تكامليَّة – غرضها إفهام المتلقِّي – يلتقيان تحت غطاء واحد اسمه (**السِّياق**) ، والسِّياق ليس معانيَ جزئية ، ولا جملا مستقلَّة بل هو طريقة من طرق التعبير يسلكها المتكلِّم ، كما يُلحظ فيه طريقة الأداء التي تُسْلَك للتعبير عمَّا في النَّفس .

تدور مادَّة السِّياق في اللُّغة على التَّتابع والاتِّصـــال ، قـــال ابن فـــارس ت(٣٩٥هـــ) : " السين والواو والقاف أصلٌ واحد . وهو حَدْوُ الشَّيء ، يقال : سَاقَ يَسُوقُ سَوقًا . والسِّيِّقَة : ما استِيق من الدَّوابِّ ويقال : سُقْتُ إلى امرأتي أي : صَدَاقها ..."(٣) ،

(١) السامرائي ، فاضل : معاني الأبنية في العربية ،٦
(٢) يُنْظَر : قطب ، سيد : التصوير الفني في القرآن ،٢٩
(٣) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ،١١٧/٣

والسِّياق في الاصطلاح : " **الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولا عليه بلفظ المتكلِّم أو حاله ، أو أحوال الكلام ، أو المتكلِّم فيه ، أو السَّامع** "[١] . وقد عَرَف العرب القدامى السياق وأهمِّيَّته ، ووظَّفوه في تحديد دلالة الكلام ولطائف إشاراته ، فعبَّروا بالمقام ، والحال ، ومقتضى الحال ، والقرائن اللَّفظيَّة وغير اللَّفظيَّة وغيرها مِمَّا كان تأسيسًا لاكتمال النَّظرية السياقية عند المعاصرين ، ومن ذلك ما قرَّره عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١ هـ) في نظرية النَّظم من أنَّ الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجرَّدة ، ولا من حيث هي كلِمٌ مفردة ، دون سبكٍ يجمعها ، أو رابطٍ ينظِمها ، وأنَّ الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها[٢] ، ودائمًا ما يؤكِّد القدامى على أهميَّة التَّرابط بين الكلام ليستقيم ويُفْهم ، ويستدلُّون عليه بالقرائن التي تحفُّ الكلام سابقة له أو لاحقة ، يقول الأنباري ت(٣٢٧هـ) : " كلام العرب يصحِّح بعضه بعضًا ، ويرتبط أوَّله بآخره ، ولا يُعْرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه ، واستكمال جميع حروفه "[٣] ، ودلالة البِنْية أو المفردة تبقى غامضةً غير مفهومة مَا لَمْ ترِد في سياقٍ ، والسِّياق هو الذي يحسِّنها أو يقبِّحها ، وهو الحَكَمُ في توجيه الدلالة وتحديدها ، يقول عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١ هـ) : " فإنَّك تجد متى شئت الرجلين قد استعملا كلِمًا بأعيانها ، ثم ترى هذا قد فرع السِّماك ، وترى ذاك قد لصق بالحضيض ، فلو كانت الكلمة إذا حسُنت حسُنت من حيث هي لفظ ، وإذا استحقَّت المزيَّة والشَّرف استحقَّت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها ، دون أن يكون السبب في ذلك حالٌ لها مع أخواتها المجاورة لها في النَّظم ، لمَا اختلف بها الحال ، ولكانت إمَّا أن تحسُن أبدًا ، أو لا تحسُن أبدًا "[٤] ، وقد احتلت نظريَّة السِّياق أهميَّة في الدراسات اللغوية المعاصرة حتى عدَّها د.تمام حسَّان كبرى القرائن النَّحوية[٥] التي بها يتبيَّن المعنى المُراد لنمط الكلام وتراكيبه ، والباحث لا يهدف في هذا التَّمهيد إلى دراسة السِّياق بتفاصيل نظريَّاته

(١) الشتوي ، فهد: دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي ،٢٧
(٢) يُنْظَر : الجرجاني ، عبد القاهر : دلائل الإعجاز ،٤٦
(٣) الأنباري ، محمد : الأضداد ،٢
(٤) الجرجاني ، عبد القاهر : دلائل الإعجاز ،٤٦
(٥) يُنْظَر : حسَّان ، تمام: البيان في روائع القرآن ،٢١٢

وأسسه وأركانه فقد كتب فيه جملة من الباحثين في الدِّراسات الحديثة بما يُغْني[١] ، إلا أنَّ الباحث يحاول توظيف السِّياق من خلال شبكة العلاقات اللغوية والبيانية القائمة بين الألفاظ والمعاني في فهم صورة التغيُّر التي يقوم بدراستها للوصول إلى تحديد المعنى المراد وفهم الدلالة المقصودة ، ويتحتَّمُ على من عزم النَّظر في مثل هذه الدِّراسات القرآنية الاعتناء بالسِّياق القرآني وإلا اعتور الدِّراسة النَّقص والتَّثريب .

يقوم السِّياق على أربعة أركان[٢] :

- الغرض من الكلام .
- معرفة حال المتكلِّم .
- معرفة حال السَّامع .
- ألفاظ الخطاب ودلالات تراكيبه سواءٌ أكانت المفردات ، أم هيئة الكلمة وتصريفها واشتقاقها ، أم نظم الجمل وعلاقاتها ببعض . والنَّاقد البصير هو من يُجْري هذه الأركان مجتمعة في فهم مدلولات النَّص ليصل من خلالها إلى الغرض المراد من الخطاب ، ويستخرج زمام ما فيه من دقيق المعاني وخفيِّ الإشارات .

وتكمن أهميَّة توظيف السِّياق في القراءات القرآنيَّة فيما يلي :

١. تضعيف القراءة أو ردُّها :

وهذا فيما إذا كانت القراءة من قبيل القراءات الشاذَّة ، والقول بتضعيفها أو ردِّها إنَّما يكون من جهة القراءة بها ؛ كونها لم تصح نسبة ثبوتها إلى النَّبي ﷺ ، أمَّا الاحتجاج لها وبها لغويًّا فسيرد في أثناء البحث جواز ذلك . مثال ذلك قراءة : (**قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأَمْتِعْهُ قليلا**) البقرة :١٢٦ ، بلفظ الأمر (**أَمْتِعْه**)[٣] على أنَّه من تمام دعاء إبراهيم عليه السلام . قال ابن كثير ت(٧٧٤هـ) " وتركيب السياق يأبى معناها – والله أعلم – فإنَّ الضمير في قال راجعٌ إلى الله تعالى في قراءة الجمهور

(١) منها على سبيل المثال : دلالة السياق ، للطلحي ، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام : فهد الشتوي ، السياق وأثره في الدرس اللغوي : إبراهيم محمود خليل ، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث : عبد الفتاح البركاوي .

(٢) يُنْظَر : الشتوي ، فهد : دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي ،٣١-٤٧

(٣) قرأ بها ابن عباس ومجاهد ، يُنْظَر : العكبري : إعراب القراءات الشواذ ،٢٠٤/١

، والسياق يقتضيه ، وعلى هذه القراءة الشاذَّة يكون الضمير في قال عائد إلى إبراهيم ﷺ ، وهذا خلاف نظم الكلام ، والله سبحانه هو العلام "[١] .

٢. **التَّرجيح بين معاني القراءات :**

كقوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ البقرة: ١٠ ،[٢] ، قال ابن عطيَّة ت(٥٤٢هـ) " والقراءة بالتَّخفيف يؤيِّدها أنَّ سياق الآيات إنَّما هو إخبارٌ بكذبهم"[٣] . والتَّرجيح بين معاني القراءات واردٌ إنْ كان من باب مقابلة المتواتر بالشاذِّ ، أمَّا الترجيح بين القراءات المتواترة فمنهجٌ لا يرتضيه الباحث ، ولا شكَّ أنَّ من الدلالات المحيطة بهذه القراءات ما يَكْتَنِفُه الغموض ، ويدِقُّ فهمه وإدراكه عن الخاصَّة فضلا عن العامَّة . يقول النَّحاس ت(٣٣٨هـ) : " والسَّلامة مِنْ هذا عند أهل الدِّين ألا يُقال : إحداهما أجود من الأخرى ؛ لأنَّهما جميعًا من عند النبي ﷺ ، فيأثم من قال ذلك ، وكان رؤساء الصحابة رحمهم الله يُنْكِرون مثل هذا "[٤] .

٣. **تحديد أسلوب الكلام حين يخالف ظاهرُه المقصودَ :**

مثل قوله تعالى : ﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ الصف: ١١ . قرأ العشرة[٥] بالمضـــارع : (**تُؤْمِنون وتُجَاهِدُون**) ، وقرأ ابن مسعـــود ﷺ بالأمر : (**آمِنُوا وجَاهِدُوا**)[٦] وهي قراءة شاذَّة . جاءت القراءة بالمضارع : (**تُؤْمِنون وتُجَاهِدُون**) على أسلوب الإخبار وهو خلاف المقصود من الآية التي غرضها الحثُّ على الإيمان والجهاد والأمر بِهِما ؛ إلا أنَّ إخراج الأمر بهذه الصورة من الخبر ، وبما تعضُدُه القراءة الأخرى – ولا بأس من الاستئناس بها ولو كانت شاذَّة – جاء مخففًا من

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ،١/٤٣٠
(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وأبو عمرو(**يُكذِّبون**) بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال مكسورة ، وقرأ الباقون(**يَكْذِبُون**) بفتح الياء وسكون الكاف وتخفيف الذال مكسورة يُنْظَر: ابن مجاهد : السبعة في القراءات ،١٤٣
(٣) ابن عطية : المحرر الوجيز ،١/٩٢
(٤) النَّحاس : إعراب القرآن ،١٢١٧
(٥) سيأتي التعريف بالقرَّاء العشرة ، ومعنى التواتر والشاذ عند الحديث عن تعريفات أساسية في القراءات ، ينظر : ص ٢٧ من هذه الدِّراسة .
(٦) يُنظَر : ابن خالويه : القراءات الشاذة ،٢٢٩

طبيعة التكليف ، فقد أرادت القراءة من خلال هذا الأسلوب تجنيب لغة الأمر خطاب المؤمنين المجاهدين ، الذين صحبوا النبي ﷺ ، ملاطفة وتحبيبًا لهم ؛ ليكون أدعى للتطبيق والاستجابة ، لذا خاطبهم الله تعالى بالإخبار وأراد الأمر .

هكذا برزت أهميَّة السياق في تحديد دلالة قراءة عن أخرى ، وسيتَّضح الأمرُ بجلاءٍ أكثر حال مناقشة النَّماذج لصور تغيُّر البنية الصرفيَّة للأفعال بين القراءات القرآنية .

بهذا يكون الباحث قد بيَّن – فيما يأمل – معنى البنية الصرفيَّة التي سيتناولها بالبحث والدراسة ، ومعنى الفعل الذي سيدرس بُنْيَتَه ، وكيف يكون التغيُّر في بنية الفعل باختلاف القراءات القرآنيَّة الواردة فيه . وأهميَّة السياق في إكساب هذه القراءات دلالات معيَّنة تبعًا لغرض المتكلِّم من الخطاب ، ولحاله وألفاظ خطابه ، وتَتِمَّة لهذا التَّمهيد يتعيَّن على الباحث الحديث عن القرآن والقراءات : تعريفِها ، ونشأتِها ، وأثرِها على الدلالة والمعنى كونها وعاء الدِّراسة ومحتواها ، وسيكون الحديث عن ذلك بشيء من الإيجاز بما تقتضيه مصلحة الدِّراسة كمدخل يدْلُفُ الباحث من خلاله إلى الكلام عن صور التغيُّر الزَّمني لِبنية الفعل في القراءات القرآنية ، وأثر هذا التغيُّر على المعنى .

* <u>تعريف القرآن الكريم ، والقراءات القرآنية</u> :

<u>القرآن لغة :</u> مصدر (قرأ) بمعنى : تلا ، كالرجحان والغفران[١] ، **<u>واصطلاحاً :</u>** كلام الله تعالى ، المنزل على الرسول ﷺ ، المنقول إلينا بين دفتي المصحف ، على الأحرف السبعة المشهورة ، نقلا متواترًا[٢] .

أمَّا <u>القراءات لغة :</u> فجمع قراءة ، وهي : مصدر(قَرَأَ) ، يقال : قَرَأَ يقرأُ قراءةً ، وقرآنًا بمعنى : (تلا)[٣]، **<u>واصطلاحًا :</u>** هي : علمٌ بكيفيَّة أداء الكلمات القرآنية واختلافها ، معزوًّا لناقله[٤]. نَزَل بها جبريلُ الأمين عليه السلام ، على محمد ﷺ ، وتلقَّتها

---

(١) يُنظَر : مصطفى ، إبراهيم وآخرون : المعجم الوسيط ،٧٢٢/٢
(٢) يُنظَر : الغزالي : المستصفى ،٩/٢ ، الشوكاني : إرشاد الفحول ،١٦٩/١
(٣) يُنظَر : ابن منظور : لسان العرب ،٣٥٦٣ . مادة (قرأ)
(٤) يُنظَر : الزركشي : البرهان ،٣١٨/١ ، ابن الجزري : منجد المقرئين ،٤٩

عنه الأمَّة بالسند المتَّصل ، وعليه فلا مجال للرأي والاجتهاد في تحديد قرآنيَّةِ مفردةٍ ، أو كلمةٍ دون الرجوع إلى ضابط السند والرواية . كما أنَّه ليس لأحدٍ أنْ يقرأ بلغته كما شاء ، ولو كان الأمر كذلك لوُجِد في القرآن الكريم العيوب الحاصلة من لهجات العرب ، التي كان يتجنَّبُها الفصحاء ، كالكشكشة ، والعنعنة ، والفحفحة[١] .

ولِمَا ترتَّب على هذه القراءات من صحة الاستدلال للمسائل الشرعيَّة واللغويَّة ؛ اشترط علماء القراءات شروطًا ثلاثة يُحكمُ من خلالها على القراءة بالصِّحة والقبول ، أو بالردِّ والبطلان ، وهذه الشروط هي[٢] : **الأول** : ثبوتها بالنَّقل الصحيح ، **الثاني** : موافقة الرَّسم العثماني ، **الثالث** : كونها غير خارجة عن لسان العرب .

فاشتراطهم ثبوت القراءة بالنَّقل الصَّحيح ؛ لأنَّها في طبيعتها نقلٌ محضٌ ينقلها الآخر عن الأول ، ولا طريق إلى ذلك إلا بالإسناد ، وهو دعامة هذا العلم ، وركنه الرَّكين ، وهذا سرٌّ امتناع كثيرٍ من أئمة القراءة عن قراءتهم بالقياس الذي " ليس له أصل في القراءة يُرجعُ إليه ، ولا ركنٌ وثيقٌ في الأداء يُعتمد عليه "[٣] ، وقد أكَّد هذا المعنى سيبويه ت(١٨٠هـ) حين بيَّن أنَّ أخذه بالقياس في القراءات لا يمنعه من التصريح في كتابه بأنَّ القراءة سنَّةٌ متَّبعةٌ ، لا تُقرأ بالقياس ، ولا مجال فيها للاجتهاد والرأي وإنْ كان مثل ذلك سائغًا في اللغة العربية ، أو في وجهٍ مِنْ وُجُوهِهَا ، يقول : " فأمَّا قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ القمر: ٤٩ ، فإنّما هو على قوله : زيدًا ضربتُه – وهو عربيٌ كثيرٌ – وقرأ بعضهم : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾ فصلت : ١٧، (بفتح الدال من ثمود) ، إلا أنَّ القراءة لا تُخَالف ؛ لأنَّها السُّنَّة "[٤] .

---

(١) الكشكشة : قلب كاف التأنيث شينًا ، فيقال في (عليك) : (عليش) ، العنعنة : قلب الهمزة عينًا : تقول : (عن توسَّمْتُ) بدلا من (أن توسَّمْتُ) ، الفحفحة : قلب الحاء عينًا ، (عتى حين) بدلا من (حتى حين) ، يُنظَر : شاهين ، عبد الصبور : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ،٩

(٢) يُنظَر : المهدوي : بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات ،١٤٩ ، ابن الجزري : النشر ،١٥

(٣) ابن الجزري : النشر،٢١

(٤) سيبويه : الكتاب ،٨٣/١

وفي موافقة خطِّ المصحف اشترطوا أنْ تكون الموافقة للرَّسم العثماني ولو تقديرًا ؛ لأنَّ الموافقة إمَّا أن تكون : تحقيقيَّة[1] ، أوتقديريَّة[2]. وبقيام هذا الشرط انعقد إجماع الصحابة ﷺ على ترك ما خالف هذا الرَّسم من قراءات أحاديَّة السَّند ، لا يُقطَع بقرآنيَّة شيءٍ منها ، وما صحَّ سنده منها فإمَّا أنْ تكون مما نُسِخَت تلاوته ، أو مِمَّا تَحْمِل طابَع التفسير ، وعليه تُحمل القراءات التي خالفت الرَّسم العثماني ، كقراءة ابن مسعود ﷺ (٣٢هـ) ، وابن عباس ﷺ (٦٨هـ) وأبيٍّ بن كعب ﷺ (٣٠هـ) وغيرهم .

وأمَّا كونُها غيرُ خارجة عن لسان العرب ؛ فلا يشترط لقبول القراءة أن تكون موافقة لأفصح الوجوه في اللغة العربية ، بل متى وافقت القراءة وجهًا من وجوه اللغة المجمع عليها ، أو المختلف فيها اختلافاً لا يضرُّ ، وثبتت عن الأئمة وجب قبولُها . وعليه فلا يعدُّ إنكار النحاة لقراءةٍ مَّا سببًا في ردِّها أو القدح فيها ، فاللُّغة لمْ تنحصِر في قواعد البصريين ولا الكوفيين ؛ بل هي عربيَّةٌ محضةٌ ، منها تُسْتَنبط قواعد النَّحو واللغة ، وهي المعوَّل عليها في الاستدلال والاستشهاد ، قال الدَّاني ت(٤٤٤هـ) : " وأئمة القراءة لا تعتمد في شيءٍ من حروف القرآن على الأفشى في اللغة ، والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النَّقل والرِّواية "[3] ، ويأتي هذا الشرط ليخفِّفَ من وطْأَة الخلاف بين النَّحويين والقرَّاء ، فالقراءة الصَّحيحة المتواترة لا يمكن أن تُخَالف اللسان العربي ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنَّ هذا الشَّرط أضاف بُعدًا جديدًا هو موافقة العربية ولو بوجه ، وهذا يجعلها لا تتأثَّر بكون الوجه ضعيفاً من جهة اللغة ، ما دام أنَّ القراءة متواترة ، كما يفتح الباب أمام الاحتمالات النَّحوية متعدِّدة الدَّلالة التي تُحْمل عليها القراءة .

---

(١) كقراءة حمزة والكسائي وخَلف (فَتَثَبَّتوا) في قوله تعالى :﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ الحجرات: ٦ من التثبُّت ، وقرأ باقي العشرة (فَتَبَيَّنُوا) من التبْيين ، يُنظَر : مكي بن أبي طالب : التبصرة ،٢٤٣، ابن الجزري : النشر،٥٤٧ ، شعبان محمد : رسم المصحف وضبطه ،٢٧

(٢) كقراءة ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ الفاتحة: ٤ ، فإنَّها كُتِبت بغير ألفٍ في جميع المصاحف ، والقراءة بـ (مَالِكِ) توافق الرَّسم تقديرًا ، لأنَّ الكتابة تحتملها لخلوِّها من النَّقط والشكل ، يُنْظَر : ابن الجزري : منجد المقرئين ،٨٠

(٣) نقلا عن : السيوطي : الإتقان ،٢١١/١ ، ولم يجد لها الباحث أصلا في جامع البيان للداني .

وتُقسَّمُ القراءات باعتبار توافر شروطها إلى[١] : المتواترة[٢] ، والآحاد[٣] ، والشاذَّة[٤]

<u>فمن المتواترة قراءات الأئمة العشرة :</u> ابن عامر ت(١١٨هـ) ، وابن كثير ت(١٢٠هـ) ، وعاصم ت(١٢٧هـ) ، وأبي جعفر المدني ت(١٢٨هـ) ، وأبي عمرو ت(١٥٤هـ) ، وحمزة ت(١٥٦هـ) ، ونافع ت(١٦٩هـ) ، والكسائي ت(١٨٩هـ) ، ويعقوب الحضرمي ت(٢٠٣هـ) ، وخَلَف ت(٢٢٩هـ) .

<u>ومن الآحاد :</u> ما نُسِب إلى عثمان ﷺ ت(٣٥هـ) وابن محيصن ت(١٢٣هـ) أنَّ النبي ﷺ قرأ : (مُتَّكِئِينَ على رَفَارِفَ خُضْرٍ وعَبَاقِرِيَّ حِسَانٍ)[٥] .

<u>ومن الشاذِّ :</u> قراءة : (فاليوم نُنَحِّيكَ بِبَدَنِك)[٦] ، وربَّما تبادر إلى الذِّهن عند سماع مصطلح (**القراءة الشاذَّة**) نبذها جملةً وتفصيلا ؛ بسبب ما يحمله لفظ الشذوذ من حساسية ، بينما المعمول به عند جمهور العلماء جواز قبولها في تفسير النصوص ، واستنباط الأحكام ، والعمل بمدلولها إذا كانت مقبولة من جهة السَّند ، كما أنَّه يُستَأنسُ بها في معرفة بعض وجوه التفسير ، والكشف عن كثير من الظواهر اللُّغوية القديمة فهي حجة على العربية ، كما يجوز قبولها في الاستدلال بها كشواهد تُستنبَط منها القواعد اللغوية ؛ لأنَّها أوثق من أبيات شعر مجهولة القائل[٧] .

---

(١) يُنظَر : ابن عقيلة ، المكّي : الزيادة والإحسان في علوم القرآن ،١١٢/١ ـ١٤٥، محمود فروخ : القراءات الشاذة عند الأصوليين ،٢٨ ، ولعلماء القراءات أكثر من تقسيم يبحث في مظانّه .

(٢) ما تواتر سندها – والتواتر ما رواه عشرة فأكثر ـ ، ووافقت الرسم ، و العربية ، وهذه القراءة يجب اعتقاد قرآنيتها ، ويقرأ بها في الصلاة .

(٣) ما صحَّ سندها لا على سبيل التواتر ، وخالفت الرسم أو العربية ، ولا تعدُّ قرآنًا، ولا يُقرَأ بها في الصلاة .

(٤) ما اختلَّ فيها ركن أو أكثر من أركان القراءة الصحيحة ـ على تفصيل في كتب القراءات ـ ، ولا تعدُّ قرآنًا، ولا يُقرَأ بها في الصلاة أو في غيرها تعبُّدًا ، وأقرب ما يقال عنها : إنَّها من باب التفسير.

(٥) يُنْظَر : الكرماني محمد بن محمد : شواذ القراءات ،٤٦١ ، القاض ، عبد الفتاح : القراءات الشاذة ،٨٦ ، الطبري : جامع البيان ،١٦٥/٢٧، القراءة المتواترة : (**مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ**) الرحمن: ٧٦

(٦) قرأ بها اليزيدي وابن السميفع ، يُنظَر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٢٤٤/٨ ، والقراءة المتواترة : (**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ**) يونس : ٩٢

(٧) يُنظَر للاستزادة : آل إسماعيل ، نبيل : علم القراءات ،٤١ ، هاشم ، محسن : نظرات في شروط القراءات وحجيتها لغة وشرعًا ، ص٢٤٧ـ٢٦٥

*نشأة القراءات القرآنية :

نزل القرآن الكريم منجَّمًا ، أي : مفرَّقًا على النبي ﷺ طيلة ثلاث وعشرين سنة – رافقته في ذلك القراءات القرآنية – في مدَّة كافية لتثبيته في قلب النبي ﷺ ومن معه ، ولترسيخ قواعده وأحكامه . وكان ﷺ يُقرِئهم الآيات خمسًا خمسًا ، فلا يتجاوزونها إلى غيرها حتى يتقنوها ، ويتعلموا ما فيها من الإيمان والعمل ، وفق منهجٍ سلوكيٍّ فريدٍ في بابه ، كان ﷺ يقرأ القرآنَ على مسامعهم في الصَّلوات وغيرها ، **عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ أَبِيهِ** رضي الله عنه ، **قَالَ : " سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ "**[1] ، وكان ﷺ يدفع بالمتعلِّمين إلى المتقنين من قرَّاء الصحابة ليعلِّموهم : **فعن عبادة بن الصامت** رضي الله عنه **قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُشْغَلُ ، فَإِذَا قَدِمَ رَجُلٌ مُهَاجِرٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ دَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ مِنَّا يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ "**[2] ، وكان ﷺ يستمع لقراءتهم ، ويفضّ بينهم الخلاف المترتِّب على اختلاف تلقِّيهم عنه ﷺ : **فعُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ** رضي الله عنه ، **يَقُولُ : " سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَقْرَأَنِيهَا ، وَكِدْتُ أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ حَتَّى انْصَرَفَ ، ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ عَلَى غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا ، فَقَالَ لِي : أَرْسِلْهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : اقْرَأْ ، فَقَرَأَ ، قَالَ : هَكَذَا أُنْزِلَتْ ، ثُمَّ قَالَ لِي : اقْرَأْ ، فَقَرَأْتُ ، فَقَالَ : هَكَذَا أُنْزِلَتْ ، إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، فَاقْرَءُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ "**[3] ، ثمَّ تنافس الصحابة رضي الله عنهم في أخذ القرآن الكريم ، وقراءته ، وإقرائه مِمَّا كان له عظيمُ الأثرِ على حياتهم السلوكية ، وبلغ بهم الشَّغَفُ أنْ جعلوه مهورًا لنسائهم وبناتهم ، واشتهرت طائفة منهم بالقراءة والإقراء أُطْلِقَ عليهم لقب (**القُرَّاء**) ، حفظوا القرآن الكريم ، واتَّصلت أسانيدهم بالقراءات الصحيحة ، وأخذ عنهم مَنْ بعدهم عرضًا[4] ، واختلفت القراءة فيما

---

(١) أخرجه النسائي : كتاب الافتتاح ، القراءة في المغرب بالطور حديث(٩٨٨) ، ص١٣٧
(٢) أخرجه أحمد : مسند عبادة بن الصامت ، حديث(٢٢١٥٤)
(٣) أخرجه البخاري : كتاب الخصومات ، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض ، حديث(٢٤١٩) ، ص٣٨٩
(٤) الذهبي : معرفة القراء الكبار ،١/١٢٥

بينهم تبعًا لما تلقَّوه عن رسول الله ﷺ ما بين مستقِلٍّ ومستكثر ، ومن هنا تشكَّلت الملامح الأوَّلية لهذا العلم ، وبدأت وجوه القراءة المختلفة تأخذ طريقها في الرواية ، ومسارها في النَّقل .

وبرز دور الصدِّيق ﷺ جليًّا في هذه المرحلة بأن جمع القرآن الكريم بعد أن استحرَّ القتلُ بحفَّاظ القرآن من صحابة رسول الله ﷺ ، وكان ذلك بمشورةٍ من عمر بن الخطاب ﷺ ت(٢٧هـ) ، وبإجماع من الصحابة رضي الله عنهم[١] ، ثم جاء الدور على عثمان ﷺ ت(٣٥هـ) حيث هاله اختلاف الناس في القراءة ، وتعدُّد الأوجه التي يقرؤون بها اختلافًا كاد يودي بهم إلى التنازع والاقتِتَال ، كما جاءت الرواية في ذلك عن حذيفة بن اليمان ﷺ ت(٣٥هـ) عند أبي داود[٢] ، فهبَّ ﷺ فجمع الناس على مصحفٍ واحدٍ يتوافق مع ما كان في العرضة الأخيرة هو المصحف الإمام ، وأرسل بنسخ من هذا المصحف إلى المدن المشهورة حينذاك : مكة ، والكوفة ، والبصرة ، والشام ، – وقيل اليمن والبحرين – ، وأبقى مصحفًا عنده في المدينة ، وأرسل مع كل مصحفٍ مقرئًا توافق قراءتُه قراءةَ أهل ذلك البلد ، وحَمَل النَّاسَ على تلك المصاحف ، وأَمَر بإحراق ما عداها ، حفاظًا على وحدة الكلمة ، وقطعًا لمادَّة الخلاف والفُرقة ، وأبقى عثمان ﷺ إطار القراءة في نطاق ضيِّق هو نطاق الموافقة ، سواء تحقيقًا أم تقديرًا على ما سبق بيانه في شروط القراءات[٣].

وتعدُّ مرحلة ابن مجاهد ت(٣٢٤هـ) مرحلة حاسمة في تاريخ القراءات لِمَا أضافه لهذا العلم من ناحيتين : الأولى : فكرة تحديدِ القراءات بسبع قراءات متواترة واستبعاد ما عداها ، وجَمْعِ قراءاتهم في مؤلَّف واحد هو (**السَّبْعَة**) . والثانية : اكتمال شروط القراءات بإضافة شرط موافقة العربية إضافة إلى شرطي صِحَّة السند ، وموافقة الرسم اللَّذَيْن كان العمل بهما من عهد عثمان ﷺ (٣٥هـ) ، فاكتملت بذلك الشروط الثلاثة

(١) يُنظَر القصة كاملة : السَّمرقندي : كشف الأسرار ،٤٠٥-٤٠٦ ، السَّخَاوي : جمال القراء ،١٦١
(٢) يُنظَر : أبوداود : كتاب المصاحف ،٢٠٥/١ – ٢٠٦
(٣) يُنظَر : الأشوح : إعجاز القراءات القرآنية ،٥٢ ، المهدوي : بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات ،١٨٤

لقبول أيِّ قراءة ، ثمَّ صار الاحتجاج للقراءات ظاهرة من الظواهر التي أُفْرِدت فيها التآليف ، ومن أشهر ما كتب في هذه المرحلة : (**الحجَّة في القراءات السبع**) لابن خالويه ت(٣٧٠هـ) ، و(**الحجَّة في علل القراءات**) لأبي علي الفارسي ت(٣٧٧هـ) ، وفي هذه المرحلة تمايز صحيح القراءات من شواذِّها ، وظهرت بعض المؤلَّفات في القراءات الشَّواذ والاحتجاج لها كـ (**المحتسب في تبيين وجوه شواذِّ القراءات والإيضاح عنها**) لابن جنِّي ت(٣٧٢هـ) ، وبذلك استقرَّ هذا العلم وتنوَّعت التآليف فيه إلى يومنا هذا ، إمَّا بإفراد كل قراءة على حِدَةٍ ، أو بذكرها مجتمعة

* أثر القراءات على الدلالة والمعنى :

يتلمَّسُ الباحث هنا شيئًا من الأسرار والحِكَمِ المترتِّبة على الاختلاف بين القراءات القرآنية ، بهيئة إشارات تلقي الضوء على أثر القراءات على الدلالة والمعنى ، ومنها :

أ.اللهجات العربية التي حوت مظاهر صوتية من صميم اللغة : لقد حفظت لنا القراءات القرآنية كمًّا من اللهجات العربية لِتحافظ عليها ، ولتشعر القبائل العربية بقربها من القرآن الكريم وانضوائها تحت لوائه ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ طه: ٦٣[١] ، خُرِّجت هذه القراءة بأكثر من وجه ، ومن تلك الأوجه : أنَّها على لغة بني الحارث بن كعب الَّذين يَلزمون المثنَّى بالألف في كل حال[٢] ، فمثَّلت هذه القراءة وغيرها سِجِلا للظواهر الحيَّة ، كما أنَّها حافظت على المأثور من طبائع اللسان العربي .

ب.ما تأتي فيه القراءةُ حجّةً لقول بعض أهل العربية : نحو قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ النساء: ١، فقراءة حمزة[٣] حجَّةٌ لمن استدلَّ من أهل العربية على جواز أن يكون العطف على موضع الجار و المجرور ، و المعنى : تساءلون به و بالأرحامِ ، ومن جعل الجارَّ مع المجرور بمنزلة شيء واحد لم يجوِّز هذا

(١) قرأ العشرة عدا حفص وابن كثير وأبي عمرو بتشديد النون (**إنَّ هذان**) بالألف ، يُنظَر : ابن الجزري : النشر،٨٩٦
(٢) يُنظَر : ابن هشام : مغني اللبيب ،٥٧/١
(٣) بخفض (**الأرْحَام**) يُنظَر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ،٢٢٦

العطف ، وخرَّج جرَّ (**الأرْحَامِ**) في القراءة السَّابقة على أنَّه مجرورٌ بالقسم ، أو بباءٍ مقدَّرة غير ملفوظٍ بها[1] .

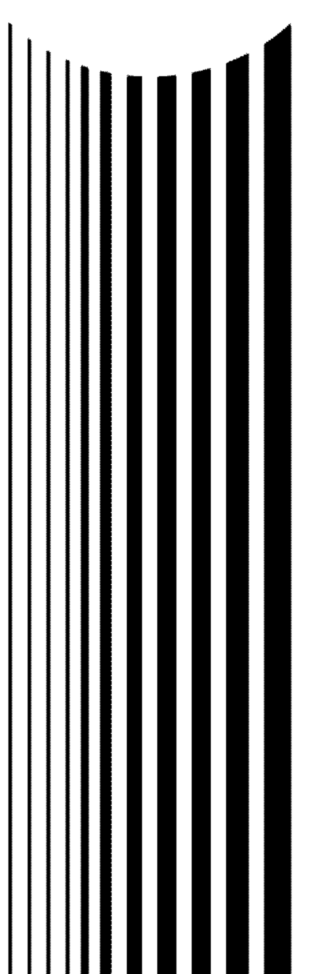
ج. ما تفيده القراءة لأكثر من دلالة و معنى : ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ البقرة:١٠ في الآية قراءتان [2] ، فقراءة التخفيف تفيد : كذبهم وعدم صدقهم في أقوالهم وأفعالهم ، فلا يجد الصدقُ إليهم سبيلا ، بل طريقهم الذي يسيرون عليه هو الكذب ، وأمَّا قراءة التشديد فأفادت تكذيبهم للرسول ﷺ في كلِّ ما يبلغه عن ربه جلّ في علاه .

وبعد الحديث عن القراءات القرآنية وبعض المسائل المتعلِّقة بها سيناقش الباحث في الفصول القادمة الصور المتَرتِّبة على تغيُّر بنية الفعل الصرفية بين القراءات القرآنية في الماضي ، والمضارع ، والأمر ، ويحاول أن يبيِّن – بإذن الله تعالى – ما أضافته هذه الصور من أثر على الدلالة والمعنى ، سالكًا في سبيل ذلك تحليل بعض النماذج التطبيقية ودراستها بما يشهد أنَّ هذه القراءات إعجاز بديع لا تمتلك النوَّاصي إلا أن تنقاد لروعتها ، و تَكَامُلِ دلالاتها .

---

(١) يُنظَر : الأنباري ، أبو البركات : الإنصاف في مسائل الخلاف ، ٣٧٤

(٢) عاصم والكسائي وحمزة بفتح الياء وسكون الكاف وكسر الذال مخفّفة (**يَكْذِبُون**) والباقون بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال (**يُكَذِّبون**) ، يُنظَر : الداني : التيسير ، ٢٢٥



الفصل الأوَّل

التغيُّر من الفعل الماضي إلى المضارع والعكس ، ودلالة ذلك

وفيه مبحثان :

- **المبحث الأوّل : التغيُّر من الفعل الماضي إلى المضارع ، ودلالته .**

- **المبحث الثاني : التغيُّر من الفعل المضارع إلى الماضي ، ودلالته**



المبحث الأوَّل:

التغيُّر من الفعل الماضي إلى المضارع، ودلالته



توطئة :

الفعل يدل على الحدوث والتجدُّد ، والاسم على الاستقرار والثبوت ، ولا يحْسُن وضعُ أحدهما موضع الآخر[١] ، والتَّفريق بين هاتين الدَّلالتين عائدٌ إلى الزَّمن ، فارتباط الفعل بالزَّمن وثيقٌ على خلاف الاسم ، ولو تأمَّلت الفعل الماضي لرأيت له ارتباطًا بالزَّمن الماضي ، وكذلك المضارع ارتباطه بالحال أو المستقبل ، في حين أنَّ الاسم غير مرتبطٍ بزمن لذا لزمتْه صفة الثبوت والاستقرار ، يقول عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١ هـ) : " الاسم يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدُّدَه شيئًا بعد شيءٍ ، وأمَّا الفعل فموضوعه على أنَّه يقتضي تجدُّدَ المعنى المثبت به تجدُّدَه شيئًا بعد شيءٍ "[٢].

كثيرًا لا يجري السِّياق القرآني – بما في ذلك سياق القراءات القرآنية – على نمطٍ واحدٍ من المطابقة الزَّمنية بين الأفعال ، فحين يستَرْسِل في نسقٍ معيَّنٍ نُفْجأُ بعدولٍ والتفاتٍ إلى سياق آخر ، ممَّا يثير الدَّهشة ويحرِّك الذِّهن لاستنباط أسرار هذا العدول وبلاغته السِّيــاقية . ولعلَّ أهم ما يميز هذا الالتفات عُنْصُران : الحركة ، والمفاجأة[٣] . ومن صور التغيُّر الحاصلة في هذا السياق : **التغيُّر في بنية الفعل من الماضي إلى المضارع .**

يحمل الفعل الماضي الدلالة على أزمنة متعددة ، منها : الماضي المطلق[٤] ، والمنقطع[٥] ، والقريب[٦] ، وغيرها – ليس هذا محلُّ بسطها–[٧] ، ولا شكَّ أنَّ التغيُّر الحاصل في بنية الفعل من الماضي إلى المضارع يُحْدِثُ دلالاتٍ متعدِّدَة ، ويُكْسِبُ السياق مساقاتٍ جديدة في ضوئها يُفْهم النَّص القرآني .

---

(١) يُنظَر : الزركشي : البرهان ،٢/٦٦ ، السيوطي : الإتقان ،٢/٣١٦ ، السامرائي ، فاضل: معاني الأبنية في العربية ،٩
(٢) الجرجاني ، عبد القاهر: دلائل الإعجاز ،١٧٤
(٣) يُنظَر : عودة ، مجدي : النظم القرآني في سورة هود ،١٧٥
(٤) أي الزمن الذي مضى قبل زمن التكلم قريبًا ، مثل : (قال إني تبت الآن) أو بعيدًا مثل : (خلق الله السماوات)
(٥) أي حصل مرة ولم يتكرر ، كأن يقع خبراً لـ (كان) ، قال تعالى (ولقد كانوا عاهدوا الله)
(٦) إذا صُدِّر بـ (قد) ، نحو : قد حضر خالد
(٧) يُنظَر : السامرائي ، فاضل : معاني النحو ،٣/٢٦٧-٢٧٩

إنَّ الحديث عن صورة التغيُّر في القراءات القرآنية تُحْدِث في النَّفس نشاطًا ينقل القارئ والسَّامع إلى دائرة التركيز ، والتفاعل بحيوية تامَّة مع ما يسمع ويقرأ من أوجه الانتقال بين قراءة وأخرى . إضافة إلى ما يتفتَّق عن هذا التغيُّر من قيم بلاغية ، وما يجود به هذا الأسلوب من لمسات بيانية تسهِم في ثراء النَّص القرآني وتنوُّع دلالاته .

والتغيُّر الحاصل في بنية الفعل بين القراءات القرآنية من الماضي إلى المضارع يكون على نوعين : نوعٌ يُستعمل للدلالة على حدث مضى وانقضى ، ونوعٌ آخر يُستعمل للدلالة على حدث يقع في الحال ، والاستقبال[١] ، فمن الأول : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ **تَشَٰبَهَ** عَلَيْنَا ﴾ البقرة: ٧٠ بقراءة الفعل الماضي : (**تَشَابَهَ**) ، بالمضارع : (**تَشَّابَهُ**)[٢] حيث حملت قراءة الماضي (**تَشَابَهَ**) : دلالة التخبُّط والحيرة التي عاشها هؤلاء القوم بحثًا عن هذه البقرة التي طلبها منهم نبيهم موسى عليه السلام ، وهو أمرٌ مضى وانقضى سلفًا ؛ لِمَا أفادنا إيَّاه وَجْهُ التغيُّر من القراءة بالماضي : (**تَشَابَهَ**) إلى المضارع : (**تَشَّابَهُ**) ، وقوله تعالى بعدها : ﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ البقرة: ٧٠ ، يُظْهِرُ جوَّ التخبُّط والضلال ، الَّذي كانوا فيه . ومن الثاني : قوله تعالى : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ **وَأَمْلَىٰ** لَهُمْ ﴾ محمد: ٢٥ ، حملت القراءة بالمضارع (**أُمْلِي**)[٣] دلالة الحدث المستمر ، فإنَّهم ما داموا في غيِّهم وضلالهم وكفرهم وشقاقهم ؛ فإنَّ الله تعالى يُمْلِي لهم ، ويُمْهِلُهم في أعمالهم استدراجًا . يقول الطِّيبي ت(٧٤٣هـ) : " وقد يوضع المستقبل موضع الماضي ، إمَّا لاستحضار الصورة الماضية في مشاهدة السامع حتى كأنَّه ينظر إلى فاعلها حال وجود الفعل فيتعجَّب لها ، وإمَّا لإرادة استمرار وجود الفعل فيما مضى وقتًا فوقتًا "[٤] . وفي استعمال أحد الفعلين : الماضي ، أو المضارع موضع صاحبه في هذه القراءات إحضارٌ لصورة الفعل ، وتجسيدٌ لأحداثه ، فالفعل

(١) يُنظَر : الهتاري ، عبد الله: الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي ،٤٢
(٢) يُنظَر : ابن خالويه : القراءات الشاذة ،٢١ ، الكرماني ، محمد بن أبي نصر : شواذ القراءات ،٦٥
(٣) يُنظَر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ،٦٠٠ ، ابن الجزري : النشر،٣٦٤
(٤) الطيبي : التبيان في البيان ،٣٣

الماضي لا يكون معه عنصر التخيُّل واسعًا ؛ ذلك أنَّه فعلٌ مضى وانقضى ، وربَّما لا تُسْتحضر معه الصورة أو تتكرَّر ، ولمَّا أَنْ تتغيَّر لغةُ الخطاب إلى المضارع ؛ تأتي الصَّورة واضحة جليَّةً ، حتى كأنَّ السامع يشاهدها من دقتها التصويرية ، ووضوحها الفني[١] .

وفي إيراد الماضي بهذه الصورة إثارةٌ للهيبةِ في النفوس ، وإيقاظٌ للإصغاء ، وتسريعٌ لوتيرة الخطاب وهو أبلغ في شحذِ همَّة السامع والقارئ وتطرية نشاطهما ، يقول ضياء الدين ابن الأثير ت(٦٣٧هـ) : " فإنْ قيل إنَّ الفعل الماضي أيضًا يتخيَّل منه السامع ما يتخيَّله من المستقبل ، قلتُ في الجواب : إنَّ التخيَّل يقع في الفعلين معًا ، لكنَّه في أحدهما وهو المستقبل أوكد ، وأشدُّ تخيلاً ؛ لأنَّه يستحضر صورة الفعل حتى كأنَّ السامع ينظر إلى فاعلها في حال وجود الفعل منه ... وهذا لا يوجد في الفعل الماضي ؛ لأنَّه لا يَتخيَّل السامع منه إلا فعلاً قد مضى من غير إحضار للصورة في حالة سماع الكلام الدَّالِّ عليه "[٢] .

وقد وقف الباحث من خلال استقراء بنية الفعل الماضي بين القراءات القرآنية – مستعينًا بالمعاجم المتخصِّصة في هذا الباب[٣] – على (**اثنين وعشرين**) أُنْموذجًا[٤] للتغيُّر من بنية الفعل الماضي إلى المضارع ، (**ستَّة**) نماذج منها من القراءات المتواترة ، وما تبقى يعدُّ من القراءات الشاذة ، سيورد الباحث حصرًا بمواضعها في ملاحق الدِّراسة .

وسيتناول الباحث (**ستَّة**) نماذج من مجْمَل ما تمَّ استقراؤه في هذه الصورة من التغيُّر لبنية الفعل : (**أربعة**) من القراءات المتواترة ، و(**نموذجين**) من الشاذَّة ، فيما ارْتَأَى – في حدود علمه القاصر– أنَّ لهذا التغيُّر أثرًا على الدلالة والمعنى ، ، ولن

(١) يُنظَر: بدوي ، أحمد : من بلاغة القرآن ، ٨٩ .
(٢) ابن الأثير : المثل السائر ، ١٨٣/٢ .
(٣) يُنظَر مثلاً : عمر ، أحمد مختار ، و مكرم ، عبد العال : معجم القراءات القرآنية . الخطيب ، عبد اللطيف : معجم القراءات .
(٤) يُنظَر : ملاحق الرسالة

يتطرق الباحث عند تحليله هذه النَّماذج إلى توجيه القراءات نحويًّا إلا فيما يكشف اللِّثام عن الآية ، ويُبِينُ المعنى دون الخوض في غمار الخلاف وتوجيهات العلماء ؛ إذ المراد بيان الأثر الدلالي لهذا التغيُّر . كما أنَّ القارئ قد يلحظ أنَّ بعض النماذج التي تناولها الباحث يشترك فيها التَّغيُّر الزَّمني للفعل مع تغيُّرٍ في بِنيته من المعلوم إلى المجهول ، والعكس ، كما في قوله تعالى :﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ السجدة: ١٧ ، فكان لِزامًا على الباحث ألا يُغْفِل دلالة بناء الفعل للمعلوم ، أو للمجهول في دراسة وتحليل هذه النَّماذج إثراءً للألفاظ ، وتحقيقاً للإعجاز .

وفيما يلي تحليل لبعض الأفعال الواردة على هذه الصورة من التغيُّر مرتَّبة حسب ورودها في المصحف :

١. ﴿ تَشَٰبَهَ ﴾ :

قال تعالى :﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ **تَشَٰبَهَ** عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴾ البقرة: ٧٠

❖ مذاهب القرّاء :

- قرأ العشرة[١] : (**تَشَابَهَ**) فعلاً ماضيًا .
- وقرأ الحسن ، ويحيى بن يعمر (**تَشَابَهُ**) بضم الهاء ، فعلٌ مضارعٌ محذوف التاء أصله (**تتشابه**) ، ماضيه (**تَشَابَهَ**) .
- وقرأ المطوعي وابن مسعود (**يَشَّابَهُ**) بالياء التحتيَّة ، وتشديد الشين ، على أنَّه فعل مضارع .
- وقرأ الأعرج (**تَشَّابَهُ**) بضم الهاء ، وتشديد الشين ، وروي هذا الوجه كذلك عن الحسن[٢].

❖ معاني القراءات وتوجيهِها :

صورة التغيُّر الحاصلة هنا من الماضي : (**تَشَابَهَ**) إلى المضارع : (**تَشَابَهُ**) ، و (**يَشَّابَهُ**) ، (**تَشَّابَهُ**) . وسيتناول الباحث دلالات تغيُّر الفعل : (**تَشَابَهَ**) إلى : (**تَشَّابَهُ**) نموذجًا على هذه الصورة .

- **تَشَابَهُ** : بضم الهاء مضارع أصله (**تتشابه**) ، فحذفت التاء تخفيفًا .

- **يشَّابَهُ** : بالياء التحتيَّة ، والتشديد للشين ، والضمِّ للهاء ، وهو على تذكير البقر ، قال الزَّجَّاج ت(٣١١هـ): " وما كان مثل بقرة وبقر ، ونخلة ونخل ، وسحابة

---

(١) سبق إيراد أسمائهم ، ص٢٧ من هذه الدِّراسة .
(٢) يُنظَر : ابن خالويه : القراءات الشاذة ،٢١ ، ابن خالويه: مختصر في شواذ القرآن ،١٤، الكرماني ، محمد بن أبي نصر : شواذ القراءات ،٦٥ ، العكبري : إعراب القراءات الشواذ ،١٧٣/١، القاضي ، عبد الفتاح : القراءات الشاذة ،٣٠

وسحاب ؛ فإنَّ العـــرب تذكِّره وتؤنِّثه ، فتقول هذا بقر وهذه بقر ، وهذا نخل وهذه نخل . فمن ذكَّر ؛ فلأنَّ في لفظ الجمع أنْ يعبِّر عن جنسه ..."[1] ، وعلى هذا تُحْمل قراءة (**يشَّابَهُ**) ، ويشهد لها قـــراءة يحيى بن يعمر: (إنَّ الباقر يشَّابَهُ) ، جعله فعلاً مستقبلاً ، وذكَّر البقر وأدغم[2] .

- **تَشَّابَهُ** : الأصل فيه (**تتشابه**) أدغمت التاء في الشين لقرب مخرج التاء من الشين ، والمعنى : " إنَّ جماعة البقر تتشابه علينا "[3] .

❖ أثر القراءتين على المعنى:

يراد بالتجدُّد في الماضي : الحصول ، أمَّا المضارع فالمراد : أنَّ من شأنه أن يتكرَّر ويقع مرة بعد أخرى[4] ، وبهاتين الدَّلالتين تفسَّر صورة التغير من الماضي إلى المضارع .

- (**تَشَابَهَ**) الماضي يفيد : وقوع التَّشابه على بني إسرائيل في معرفة نـــوع البقـــرة وجنسها التي طُلِبَ منهم ذبحُها ، ووقوع هذا التَّشابه له ما يبرره :
  - فالبقر الموصوف بما ذكر في الآية كثيرٌ ؛ فاشْتُبِهَ عليهم من هذا الوجه .
  - كما أنَّ التَّشابه مشهورٌ في البقر ، فعنْ حُذَيْفَةَ بن الْيَمَانِ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي شَرٍّ، فَذَهَب اللَّهُ بذَلِكَ الشَّرِّ، وَجَاءَ بالْخَيْرِ عَلَى يَدَيْكَ، فَهَلْ بعْدَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ : " نَعَمْ "، قَالَ : مَا هُوَ؟ قَالَ : " **فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يَتْبعُ بعْضُهَا بعْضًا، تَأْتِيكُمْ مُشْتَبهَةً كَوُجُوهِ الْبقَرِ ، لا تَدْرُونَ أَيًّا مِنْ أَيٍّ** " [5]، أي : يشبه بعضها بعضًا .

---

(١) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ١/١٥٤ـ ١٥٥

(٢) يُنظر : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ،١٨٧/٢ ، السيوطي ، قطف الأزهار ،٢٧٠/١

(٣) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ،١٥٥/١

(٤) يُنظر : السيوطي : الإتقان ٣١٨/٢

(٥) أخرجه ابن حنبل ، أحمد : مسند العشرة المبشرين بالجنة ، حديث (٢٢٧١٨)

– وهذا التَّشابه عقوبة من الله تعالى جزاءَ ما اتَّصفوا به من التلكؤِ في الاستجابة ، وصفاقة القول ولجاجته ، واختلاقهم الأعذار ، وتعنُّتهم في طلب الآيات ، فـ " كلُّ بقرة لا تصلح عندهم أن تكون آية لِمَا علموا من ناقة صالح وما كان فيها من العجائب ، فظنُّوا أنَّ الحيوان لا يكون آية إلا إذا كان على ذلك الأسلوب ، وذلك لمَّا نبِّئوا أنَّها آيةٌ سألوا عن ماهيَّتها ، وكيفيَّتها ، ولذلك لم يسألوا موسى عن ذلك بل سألوه أن يسأل الله لهم عن ذلك"[١] . وتلك المعاني دليل تعنُّتهم في الطلب ، وتمحُّلهم الأعذار واختلاقها بُغية التملُّص والتَّهرُّب من التطبيق .

- وأفادت القراءة بالمضارع (**تَشَّابَهُ**) استمرارية هذا التَّشابه عليهم ، وحيرتهم في تنفيذ مراد الله ، ولا أدلَّ على ذلك من التَّشديد الذي حملته بنية الفعل ، ويشهد لهذا : طلبهم الهداية من الله تعالى اعترافًا بذنبهم ، وتأكيدهم على ذلك بحرفي التأكيد : (**إنَّ**) ، و(**اللام**) في قوله تعالى :﴿ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴾ البقرة: ٧٠ .

وبما أَنَّ التفشِّي قوةٌ للشين ، يصوِّر انتشار الحدث واتِّساع مداه[٢] وذلك – والله أعلم – أعطى دلالة نفسية عند النطق بالفعل (**تَشَّابَه**) أوحتْ بجوٍّ التخبُّط والتَّشابه الذي كانوا يعيشونه ، وامتلاء الفم بصوت الشين ، نلمس معه امتلاءَ نفوسهم وحرجَها بوقوع هذا التَّشابه عليهم الذي اتَّسم بسمتين : **الانتشار** المأخوذ من صفة التفشِّي ، **والقوَّة** المأخوذة من تضعيف الشين ومدِّ الصوت بحركة الفتح الطويلة بعده .

لقد حملت كلُّ قراءة دلالة ناسبت السِّياق الذي وردت به ، كما أكسبت المعنى جمالاً في خطٍّ تصاعديٍّ يبيِّن حالتهم الأولى من وقوع التَّشابه وحصوله أفادتنا إيَّاه القراءة بالماضي ، ثم ازدياده واستمراره الذي أفادتنا إيَّاه القراءة بالمضارع ، لتكون كلُّ قراءةٍ مكمِّلةً للأخرى في المعنى ، متمِّمة لها في البيان والإعجاز .

---

(١) أبو حيان : البحر المحيط ،١/٤١٨
(٢) يُنظَر : آغا ، طه : التوجيه اللغوي للقراءات عند الفراء ،٨٥ ، بلقاسم ، دقَّة: نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن ،ص١٠

٢.﴿ تَطَوَّعَ ﴾ : في موضعين :

قال تعالى : ﴿ وَمَن **تَطَوَّعَ** خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة : ١٥٨

وقال تعالى : ﴿ فَمَن **تَطَوَّعَ** خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴾ البقرة : ١٨٤

❖ مذاهب القرّاء :

- قرأ حمزة والكسائي في الموضعين ، ويعقوب في الموضع الأول : (**يَطَّوعْ**) بالياء ، وتشديد الطَّاء ، وإسكان العين ، فعلٌ مضارع .

- وقرأ الباقون (**تَطَوَّعَ**) بالتاء ، وتخفيف الطاء ، وفتح العين ، فعلٌ ماضٍ[1] .

❖ معاني القراءتين وتوجيههما :

قراءة حمزة ، والكسائي ، ويعقوب – في الموضع الأول عنه – بالياء وتشديد الطَّاء وإسكان العين (**يَطَّوعْ**) فعلٌ مضارعٌ مجزومٌ بـ (**مَنْ**) الشرطية ، وأصله : (**يَتَطَوَّع**) قلبت التاءُ طاءً ، ثم أدغمت الطاء في أختها فصارت : (**يَطَّوعْ**) . قال أبو زرعة ت(٤٠٣هـ) : " ومعناه الاستقبال ، لأنَّ الكلام شرطٌ وجزاءٌ ، فلفظ المضيِّ فيه يؤول إلى معنى الاستقبال ، كما قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ﴾ هود: ١٥"[2] ، والمعنى إن كان على الاستقبال ، والشرط والجزاء – كما هذه القراءة – فالأحسن فيهما الاستقبال .

---

[1] يُنظَر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ،١٧٢، ابن غلبون : التذكرة في القراءات الثمان ،٢٦٢، مكي بن أبي طالب : التبصرة ،١٦٢، الداني : التيسير ،٢٣٤، القرطبي ، عبد الوهاب : المفتاح في اختلاف القرَأَةِ السبعة ،١٢٢ ، النَّشار : البدور الزاهرة ١٤٧/١ ، السفاقسي : غيث النفع ،١٠١

[2] أبو زرعة : حجة القراءات ،١١٨

ونُصِبَ : (**خيرًا**) على تقديرين :

– إمَّا على حذف الجار ، تقديره : ومَنْ يَطَّوَّعْ بخير .

– أو يكون نعتًا لمصدر مضمر ، تقديره : ومن تَطَوَّعَ تَطَوُّعًا خيرًا .

أمَّا قراءة الجمهور بالماضي (**تَطَوَّعَ**) فتحتمل أمرين :

- الأول : أن تكون (**مَنْ**) للشَّرط ، والفعل في موضع جزم بها ، والفاء وما بعدها (**فإنَّ الله شاكرٌ**) في موضع جزمٍ ؛ لوقوعها موضع الفعل المجزوم الذي هو جزاء .

- الثاني : (**مَنْ**) بمنزلة (الذي) فلا يكون الفعل حينئذٍ للجزاء ، ولا موضع له ، ويبقى فعلاً ماضيًا على بابه[١] .

والمعنى معنى الجزاء ، وإنْ لمْ يكن الفعل مجزومًا به ، قال أبو علي الفارسي ت(٣٧٧هـ) : " لأنَّ الفاء إذا دخلت في خبر الموصول ؛ آذنت أنَّ الثاني وجب لوجوب الأول ، والنكرة الموصوفة في ذلك كالأسماء الموصولة ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ النحل: ٥٣ ، تقديره : ما ثبت بكم من نعمة ، أو ما دام بكم من نعمة ؛ فمن ابتداء الله إياكم بها ، فسبب ثبات النعمة ابتداؤه بها ، كما أنَّ استحقاق الأجر إنَّما هو من أجل الإنفاق في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ البقرة: ٢٧٤ "[٢] ، ولازم هذا أنَّ استحقاق الشكر من الله تعالى إنَّما هو بملازمة باب التطوُّعِ والطَّاعة .

---

(١) يُنظَر : مكي بن أبي طالب : مشكل إعراب القرآن ،٥٦ ، العُكبَري : التبيان في إعراب القرآن ،١١٥/١-١١٦ ، الباقولي : كشف المشكلات ،٢٤٧ ،
(٢) الفارسي : الحجة في علل القراءات ،٨٢/٢ ،

❖ أثر القراءتين على المعنى:

ذهب الإمام الطبري ت(٣١٠هـ) إلى أنَّ القراءتين غيرُ مختلفتين في المعنى ، وحجَّته في ذلك أنَّ الماضي مع حروف الجزاء بمعنى المستقبل[١] ، فأفادت القراءتان عنده التطوّع بالخير في المستقبل ، ويظهر للباحث – والله أعلم – بمزيد تأملٍ في دلالة كلِّ قراءة وموقعها من السياق أنَّ التغيُّر الحاصل في بنية الفعل من الماضي إلى المضارع أكسب المعنى أثرًا ملموسًا اصطبغ بلفتةٍ جماليةٍ . فلو راجعنا مادة (**طَوَعَ**) في المعاجم ، وهي ذات المادة التي اشتُقَّ منها الفعل لرأينا أنَّ : الطَّوْع هو : الانقياد ، و يضادُّه : الكَرْه ، قال تعالى : ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ فصلت: ١١ ، وقال تعالى : ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ آل عمران: ٨٣ ، وقد طَاعَ له ، يَطُوعُ ، وأَطَاعَهُ يُطيعه ، والتطَوُّع في الأصل : تكلُّف الطَّاعة ، وهو في العُرْف : التبرُّع بما لا يلزم كالتَّنفُّل[٢] .

ونجد أنَّ لفظ الماضي : (**تَطَوَّعَ**) أخفُّ من لفظ المستقبل : (**يَطَّوَّعْ**) الذي تلزمه الزيادة ، والإدغام ، والتشديد[٣] ، ولمَّا جَمَعَ الماضي بين خفَّة اللَّفظ ، ومعنى المستقبل – على ما تمَّ بيانه في توجيه هذه القراءة – ؛ حسَّنه وجعله مناسبًا لمقام الآية الكريمة ، ولمَّا حُمِلت (**مَنْ**) في هذه القراءة على وجهين : إمَّا شرطية والماضي بمعنى المستقبل ، والفعل في موضع جزم بها ، وإمَّا موصولة بمعنى الذي ، والخبر (**فإنَّ اللهَ شاكرٌ**) ؛ أصبح المعنى : أنَّ من فعل خيرًا قبل نزول الآية ؛ قُبِلَ منه ، ومَنْ يفعلْ خيرًا بعد نزولها ؛ يقبلْ منه[٤] .

---

(١) يُنظَر : الطبري : جامع البيان ٣/٤ ٢٧
(٢) يُنظَر : الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن ،٥٢٥ ، السَّمين : عمدة الحفاظ ،٤٢٢/٢
(٣) يُنظَر : بخيت ، إبراهيم : وجوه التعدد لبناء الكلمة في القرآن ، ٢٠٢
(٤) يُنظَر : الملاحي ، عبد الله : تفسير القرآن بالقراءات العشر من خلال الفاتحة والبقرة وآل عمران ،١١٥، عطية ، هديل ، المنيراوي ، يوسف: أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن ،١٠٠

ولمَّا ثقُلت بِنية المضارع بالزيادة والإدغام والتشديد على بنية الماضي ؛ اقتضى ذلك زيادة في المعنى ، وكلَّما طرأت زيادة على اللفظ ؛ ازداد المعنى بما يحمله من دلالات وتفريعات تناسب هذه الزيادة ، قال ابن جنِّي ت(٣٩٢هـ) : " الأصوات تابعةٌ للمعاني ، فمتى قويت قويت ، ومتى ضعُفت ضعُفت ، ويكفيك من ذلك قولهم : قَطَعَ وقَطَّعَ ، وكَسَرَ وكَسَّرَ ، زادوا في الصوت لزيادة المعنى ، واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه "[1] .

ولمَّا أفاد المضارع التجدُّدَ والاستمرار ، وتكرار الحدث مرَّة بعد أخرى ؛ كان المعنى إخبارًا من الله تعالى أنَّ من فعل خيرًا تطوُّعًا لله فهو خيرٌ له ، وأراد سبحانه بفعل العباد لهذا الخير أن يلازموه ، ويكلِّفوا أنفسهم المداومة عليه حتى مع حصول المشقَّة والثِّقل المستوحى من بِنْيَة المضارع .

وقد حكم بعض الباحثين[٢] أنَّ القراءة بالماضي (**تَطَوَّعَ**) أبلغ وأفصح ؛ لِمَا دلَّت عليه صيغة الماضي من إفادة تحقُّق وقوع الحدث ، وهي أعمُّ من المضارع في وقوع الفعل قبل ذلك الزمن وبعده .

والباحث يرى أن يتجاوز مرحلة المفاضلة بين القراءات ، والحُكْم بأنَّ هذه القراءة أفصح من تلك أو أبلغ منها ؛ ذلك أنَّ كلَّ قراءةٍ مناسبةٌ لسياقها الذي وردت به ، فالقراءة بالماضي (**تَطَوَّعَ**) على بناء (**تَفَعَّلَ**) الذي يفيد حصول أصل الفعل مرَّة بعد مرَّة[٣] ناسبت سياق الحثِّ على فعل الطاعة والمداومة عليها في جميع مراحل الحياة ، كما أنَّ القراءة بالمضارع أفادت التأكيد على ملازمة الطاعة والحرص عليها . ولمَّا أفاد الفعل (**تَطَوَّعَ**) الإخبار عمَّن تطوَّع فيما مضى ، ومن يَتَطَوَّعُ مستقبلاً ؛ جاءت القراءة بـ (**يَطَّوَّعْ**) على الاستقبال لتؤكِّد هذا المعنى ، ولم يُكْتَفَ بقراءة

(١) ابن جني : المحتسب ،٢/٢١٠
(٢) يُنظَر : عيسى ، محمد : أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي ، ٢٢٠
(٣) يُنظَر : التفتازاني : شرح مختصر التصريف ،٣٩

(**يَطَّوَّعْ**) حتى لا يُظنَّ : أنَّ من تطوع فيما مضى خارجٌ عن هذا[١] ، فكانت كلُّ قراءة مكمِّلة للأخرى .

ويتكرر النَّسق التَّصاعديُّ الذي سبق وأن أشار إليه البــاحث عند الحديث عن صورة التَّغيُّر من الماضي : (**تَشَابَهَ**) إلى المضارع : (**تَشَّابَهُ**) ، فبِتَعنُّت بني إسرائيل ولِجَاجهم في تطبيق أوامر الله تعالى بذبح البقرة حُرِموا التعرُّف عليها للتَّشابه الحاصل بين البقر ، فلمَّا زاد عنتهم ، وتكرَّرَ سؤالهم زاد التَّشَابه عليهم في نسقٍ تصاعديٍّ بديع من (**تَشَابَهَ**) إلى (**تَشَّابَهُ**) ، ويتكرر ذات الأمر هنا . فبالنَّظر إلى بنية الفعل المضارع (**يَطَّوَّعْ**) نرى فيه حركةً وكَلَفةً ناشئتين عن قلب التاء طاءً ، حيث أنَّ أصل الفعل (**يَتَطَوَّع**) ، ثمَّ أدغمت الطَّــاء في أختها ، ثم شدِّدت ، وهذا الجو من الحركة والكَلَفَة أوحى بكلفة الطاعة ابتداءً ، وثُقْلها على النُّفوس ومشقَّتها ، مصداقًا لحديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " **حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ** "[٢] ، ولَمَّا أنْ يألفها الإنسان ، ويداومَ عليها وتصير جزءًا من حياته ؛ يسهل أمرها عليه ممَّا يفيد خفَّتها على نفسه ، وهذا ما عُبِّر عنه بالماضي (**تَطَوَّعَ**) ، فاستمرَّ تصاعد النَّسق من (**يَطَّوَّعْ**) الموحي بالكَلَفَة والمشقَّــة إلى (**تَطَوَّعَ**) ذي اليسر والسهولة ، كما كان الأمر عليه في (**تَشَابَهَ** ، و**تَشَّابَهُ**).

وختام الآية : (**فإنَّ الله شاكرٌ عليم**) جاء مؤكِّدًا أنَّ طاعات العباد مقبولة عند الله تعالى تنال منه الرضى والمَكْرُمَة ورفعة الدَّرجات ، وهي واقعةٌ موقع القبول بأيِّ صورة وقعت من الصور التي أفادتها القراءتان الكريمتان ، والله أعلم .

(١) يُنظَر : الجيلي ، علي : اختلاف القراءات من صيغة الماضي إلى غيرها حكمته ودلالته ، ص(١٣٤- ١٣٥)
(٢) رواه مسلم : كِتَاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا ، حديث (٥٠٥٥)

٣. ﴿ وَأُدْخِلَ ﴾ :

في قوله تعالى ﴿ **وَأُدْخِلَ** ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ إبراهيم: ٢٣

❖ مذاهب القرّاء :

- قرأ العشرة (**أُدْخِلَ**) فعلٌ ماضٍ مبني للمفعول .
- قرأ الحسن ، وعمرو بن عبيد (**أُدْخِلُ**) برفع اللام على أنَّه فعل مضارع ، أي : أُدْخِلُ أنا ، وهي قراءة شاذة [(١)].

❖ معاني القراءتين وتوجيههما :

يُحْتَمل على القراءة ببناء الماضي للمفعول (**أُدْخِلَ**) أن يكون الفاعل : المولى تبارك وتعالى ، أو الملائكة[(٢)] ، وقد حَمَلَت القراءة صورة التغيُّر من الماضي إلى المضارع ببناء الفعل للفاعل (**أُدْخِلُ**) بهمزة المتكلم أي : أدخل أنا ، والضمير عائدٌ لله تعالى . ويبرز إشكالٌ على قراءة الحسن ، وعمرو بن عبيد مفاده : بم يُعَلَّق : (**بِإِذْنِ رَبِّهِم**) في الآية ؟ فلو عُلِّقَ بالفعل (**أُدْخِلُ**) لأصبح المعنى : أدخلهم أنا بإذن ربهم ، وهذا غير ملتئم ، وللعلماء في توجيه هذا التعليق مذاهبٌ : فمنهم من علَّقه بما بعده وهو قوله تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ إبراهيم: ٢٣ ، فيكون المعنى : الملائكة يحيُّونهم بإذن ربِّهم قال بذلك الزمخشري ت(٥٣٨هـ)[(٣)] ، وردَّه أبو حيان ت(٧٤٨هـ) لأنَّ فيه تقديمًا لمعمول المصدر المنحلِّ بالفعل وبحرف مصدري عليه ، فـ (**تَحيَّتُهُم**) مصدر مضاف إلى الضمير. وعليه يجوز أن يكون الضمير للمفعول أي : تحيِّيهم الملائكة ،

---

(١) يُنظَر : ابن خالويه : القراءات الشاذة ، ١١١، ابن خالويه : مختصر في شواذ القرآن ،٧٢ ، الكرماني ، محمد بن أبي نصر : شواذ القراءات ،٢٦٠ ، العُكْبَري : إعراب القراءات الشواذ ٧٣٥/١ ، القاضي ، عبد الفتاح : القراءات الشاذة ،٥٨

(٢) يُنظَر : أبو حيان : البحر المحيط ،٤١٠/٥

(٣) يُنظَر : الزمخشري : الكشاف ،٥١٨/٢

ويجـــوز أن يكون الضميــــر للفـــاعل أي يحيِّي بعضهم بعضًـــا[١] . ومنهم من علَّـــق بـــ (**خَالِدِينَ**)[٢] ، ومنهم من علَّق بحال محذوف تقديره : (ملتبسين)[٣] . وأيًّا كـــان تقدير التعليق ؛ فـــإنَّ الذي يعني الباحث هو بيان أثر القراءتين على الدلالـــة بمـــا لا يُحدِث تعارضًا أو تناقضًا .

❖ أثر القراءتين على المعنى :

تمثل الآية مشهدًا من مشاهد يوم القيامة المتَّسم في عموم أوصافه بالمفاجأة ، والدهشة والتحوُّلِ والتغيُّر ، وبالنَّظر في سياق الآيات قبلها نقرأ قوله تبارك و تعالى : ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعًا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ قَالُواْ لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ ﴾ إبراهيم: ٢١ . إنَّ المشهد الرئيس في الآية هو الانتقال والتحول : " انتقالٌ لوصف حال المؤمنين يومئذٍ بمناسبة ذكر حال المشركين ؛ لأنَّ حال المـــؤمنين يومئذ من جملة الأحوال المقصودة بالوصف إظهارًا لتفاوت الأحـــوال ، فلـــم يـــدخل المؤمنون يومئذ في المنازعة والمجادلة ؛ تنزيهًا لهم عن الخوض في تلك الغمرة ، مع التنبيه على أنَّهم حينئذٍ في سلامة ودَعَة "[٤]. ولمَّا أخبر تعالى عن حال أهل الجنة وهم أهلٌ للفضل والنَّعيم ؛ أراد أن يُكْرِمَهم بصور متنوعة لبلوغ اللذة ، واستكمال النِّعمـــة ، فمن جملة ذلك النَّعيم : إكرامهم ببساتين تجري من تحتها الأنهار ، ماكثين فيها أبدًا لا يتحوَّلون عنها ولا يتبدَّلون ، تدخل عليهم الملائكة من كل باب ، مسلِّمة عليهم بالأمـــان والإقامة الدائمة ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ الرعد: ٢٤، وقد صُدِّر هـــذا النعيم ببيان صفة دخولهم الجنة وهيئتهم ، إذ أفادت قراءة الماضي (**أُدْخِلَ**) الاحتفـــاء بأهل الجنة ، والتَّفخيم للموقف الذي يقفونه ، وكان المدخِل لهم الله تبارك وتعـــالى ، أو

(١) يُنظَر : أبو حيان : البحر المحيط ،٥/٤١٠
(٢) يُنظَر : الزمخشري : الكشاف ،٢/٥١٨
(٣) يُنظَر : السمين : الدر المصون ، ٧/٩٨
(٤) ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ١٣/٢٢٢

ملائكته الكرام ، ويؤيِّد مشهد الاحتفاء هذا قوله : (**بِإِذْنِ رَبِّهِمْ**) ، ولم يقل بإذني تعظيمًا وتفخيمًا ، قال ابن جنِّي ت(٣٩٢هـ) : " أعاد ذكر الربِّ ليضيفه إليهم ، فتقوى الملابسة باللفظ ، فيكون أحنى وأذهب في الإكرام ، والتقريب منه لهم "(١) .

وأفادت قراءة الحسن (**أُدْخِلُ**) وجهًا آخر للنعيم تمثَّل في إظهار المولى تبارك وتعالى نفسه بلفظ المتكلم ممَّا يربي في النفوس الهيبةَ ، ويُستَحْضَرُ معه كمال القدرة والإنعام له تعالى على الصَّالحين من عباده بتولِّيه شأنَ إدخالهم الجنَّة بذاته العليَّة ، كما يُشْعِر كذلك أنَّ إدخالهم الجنَّة لم يكن بواسطة ، بل من الله تعالى مباشرة منَّةً له عليهم(٢) ، وفي إضافة الفعل إليه سبحانه مزيد تشريف وتكريم لهم إذ يشعرهم بالتربية والاعتناء والاصطفاء القائم على متابعة شؤونهم وتتبُّع أحوالهم حتى يستقرُّوا في دار كرامته ، كما يرعى المعلِّم شأن تلاميذه ، والأمُّ أولادها ولله تعالى المثل الأعلى .

وعليه فلا تعارض بين القراءتين ، فقد حملت كل قراءة صورة من صور النَّعيم الذي يناله أهل الجنة حال دخولهم ، سواءٌ أُدْخِلُوها بأمر الله تعالى لهم بالدُّخول ، أو بأمر الله ملائكتَه بإدخالهم ، أو كان الفعل مسندًا لله تبارك وتعالى ، فقد تعاضدت تلك المعاني في إظهار العناية بهذه الثلَّة من أهل الجنَّة والاهتمام بهم ، ويظهر بمزيد تأمُّل في المعنى الذي حملته القراءتان الإذنُ الخاصُّ من أمر القضاء العام ، فأمرُ الله تعالى لهم بالدخول عامٌّ ، أخصُّ منه أمر الله تعالى ملائكته بإدخالهم ، أخصُّ منه إسناد الفعل له تبارك وتعالى ، ليستمرَّ ما كان أشار إليه الباحث – والله أعلم – من دور النَّسق التصاعديِّ الناشئ عن تغيُّر بنية الفعل بين القراءتين في إحداث التَّفاعل مع الموقف ، والخروج عن المألوف ، والمعاينة لتفاصيل الحدث ودقائقه .

(١) ابن جني : المحتسب ،١/٣٦٣
(٢) يُنظَر : محمد ، أحمد سعد : التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ،١٨١ ، الزغلول ، محمد : الالتفات في القراءات القرآنية ، ص٧

٤.﴿ وَنُزِّلَ ﴾:

في قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ الفرقان: ٢٥

❖ مذاهب القرّاء :

- قرأ العشرة عدا ابن كثير (**نُزِّلَ**) بضمِّ النون ، وكسر الزاي مشـدَّدة ، وفـتح اللام ماضٍ لم يسمَّ فاعله ، ورفع (**المَلائكةُ**) نائبًا للفاعل .
- وقرأ ابن كثير (**نُنْزِلُ**) بضم النون الأولى ، وسكون الثانية ، وكسـر الـزاي مخففة ، وضم اللام ، مضارع (**أَنْزَلَ**) ، ونصب (**المَلائِكَةَ**) مفعولاً به[١] .

❖ معاني القراءتين و توجيههما:

قراءة الجمهور : (**نُزِّلَ**) مـاضٍ لم يُسمَّ فـاعله من : (نَزَّل) ، وقد قُيِّد بالمصدر : (**تَنْزِيلا**) الموافق للفظ الفعل ، فإنَّ (**تَنْزِيلا**) لا يكـون إلا مصدر (نَـزَّل) ، أمَّـا قراءة ابن كثيـر (**نُنْزِلُ**) فمضارعٌ ، من (أنزل) ، وأجراه على الإخبـار مـن الله تعالى عن نفسه ، وكان من حقِّ المصدر أن يأتي بعد هذه القراءة علـى (إنـزال) ، ويرى أبو علي الفارسي ت(٣٧٧هـ) أنَّ (أنزل) و (نَزَّل) يجريان مجرى واحـدًا ، وبالتالي أُجْرِيَ مصدر أحدهما على الآخر ، يقول : " التنزيـل مصـدر (نـزَّل) ، فكمـا أنَّ في بعض الحروف (**وأُنْزِل الملائكةُ تنزيلا**) ؛ لأنَّ أنزل مثل نُزِّل . كـذلك قرأ ابن كثير : (**ونُنْزِلُ الملائكة تنزيلا**) ، وفـي التنزيـل : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾ المزمّل: ٨ ، فجاء المصدر على فعَّل ، ولو كـان على تبتَّل لكان تبتُّلا ... فأمَّا

---

(١) يُنظَر: ابن مجاهد : السبعة في القراءات ،٤٦٤ ، الداني : التيسير،٣٨٧ ، ابن خلف : الاكتفاء في القراءات السبع ،٢١٨ ، العكبري : إعراب القراءات الشواذ ،١٩٨/٢ ، أبو شامة : إبراز المعاني ،٦١٨ ، ابن الجزري : النشر،٦٠٥ ، الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر،٣٠٨/٢

(**نُنْزِلُ الملائكةَ**) نصبًا ، والمعنى في (**نُنْزِلُ الملائكةَ**) و (**نُزِّلَ الملائكةُ**) واحدٌ "[1] . ووافقه السَّمين ت(٧٥٦هـ)[2]، وابن أبي مريم ت(٥٦٥هـ)[3] .

وقد فرَّق الراغب الأصفهاني ت(٤٢٥هـ) بين دلالتي كلٍ من (**أَنْزَلَ**) و (**نَزَّلَ**) خاصة حينما يردان في السياق القرآني ، قال : " والفرق بين الإنزال والتنزيل في وصف القرآن والملائكة : أنَّ التنزيل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرَّقًا ، ومرَّة بعد مرَّة ، والإنزال عامٌّ ، فممَّا ذُكِرَ فيه التنزيل قوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ الشعراء: ١٩٣ ، وقرئ : (**نَزَّلَ**) ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ الإسراء: ١٠٦، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾ الحجر: ٩ ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ ﴾ الزخرف: ٣١، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴾ الشعراء:١٩٨ . "[4] ، ويتَّضِح من كلامه الفرق بين دلالتي الفعلين : (**فنزَّل**) إنْ وردت في سياق الحديث عن القرآن الكريم ؛ فتفيد نزوله مفرَّقًا منجَّمًا حسب الأحداث والوقائع ، وأشارت الآيات السابقات إلى هذا المعنى ، أمَّا (**أَنْزَلَ**) فتفيد الدلالتين : نزوله جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ القدر: ١ ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ الدخان: ٣ ، أو نزوله مفرَّقًا بنفس الدلالة التي يحملها (**نَزَّلَ**) . وذكر د. أبو موسى أنَّ هذا التفريق ليس محلَّ اتِّفاق بين الأئمة[5] .

إنَّ (**فَعَّلَ**) ومنه (**نَزَّلَ**) يفيد : التكثير غالبًا[6] ، ومن مقتضيات تكثير الفعل أنْ يستغرق وقتًا أطول يفيد تلبُّثًا وتمكُّثًا ، ورأى بعض الباحثين التكثير من جهة الكيفيَّة

(١) الفارسي : الحجة في علل القراءات ،٧١/٤
(٢) يُنظَر : السمين : الدر المصون ،٤٧٦/٨
(٣) يُنظَر : ابن أبي مريم : الموضح في وجوه القراءات ،٥٧٠
(٤) الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن ،٧٩٩-٨٠٠
(٥) يُنظَر: أبو موسى ، محمد محمد : من أسرار التعبير القرآني ،٢١٠
(٦) يُنظَر: الاستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب،٩٢/١ ، التفتازاني : شرح مختصر التصريف ،٣٧

لا الكميَّة[١] ، وسيتعرَّض الباحث لهذا الرأي عند حديثه عن أثر القراءتين على الدلالة والمعنى . ومن دلالات استعمال البُنية (**فَعَّل**) : الاهتمام والمبالغة[٢] ، وعليه قد يستعمل التنزيل فيما هو أهمُّ وأبلغ من الإنزال . ومن لطيف ما وقع نظرُ الباحث عليه في دلالتي الفعلين أنَّ (**تنزيل**) : مصدر : (**نَزَّل**) كانت تعني في صدر الإسلام : (**الهندسة**) ، كما أشار إلى ذلك صاحب كتاب : (البكريات في توجيه مفردات الآيات)[٣] ، مستأنسًا بقصة أوردها صاحب كتاب (أخبار عمر ﷺ) نصُّها : " وكتب عمر ﷺ إلى سعد ﷺ بأن يدعو صاحب التنزيل (أي : رئيس فرقة الهندسة في الجيش) أبو الهيَّاج بن مالك ، فيأمره أن يحدد لهم خطط المدينة ، وأن يجعل فيها مناهج (أي شوارع) بعرض أربعين ذراعًا ، وما يليها ثلاثين ، والصغيرة منها عشرين ، وأن يجعل فيها أزِقَّة ، الزّقاق سبعة أذرع ، وليس دون ذلك شيء ، وشرعوا في بناء المدينة "[٤] . وبالرجوع إلى استعمال المعاجم لمادة (**نَزَّلَ**) نجد الإشارة إلى ذلك ، يقول ابن فارس ت(٣٩٥هـ) : " والتنزيل : ترتيب الشيء ، ووضعه منزله "[٥] ، وفي لسان العرب : " التنزيل : الترتيب "[٦] .

ويتحصَّل مِمَّا سبق أنَّ : دلالات الفعل (**نَزَّل**) تختلف عن (**أَنْزَلَ**) لا سيَّما إن ورد بها السِّياق القرآني ، **فمن الدلالات التي يحملها (نَزَّل) :**

- التدرُّج والتَّكرار وأنَّه يقع مرَّةً بعد مرَّةٍ ؛ لأجل التضعيف في بناء الفعل .
- التَّكثير ، وذلك بأنْ يستغرق عددًا ووقتًا أطول مِمَّا يستغرقه (**أَنْزَل**) .
- الاهتمام والمبالغة ، ومردُّ ذلك إلى السياق الذي يرد به الفعل .
- التَّرتيب والتَّنظيم .

---

(١) يُنظَر: حسُّون ، رضا: الصيغة العامة المزيدة في القرآن الكريم ، ص١٢
(٢) يُنْظَر : ابن قتيبة : أدب الكاتب ،٤٦٠ ، السامرائي ، فاضل : بلاغة الكلمة ،٦٦
(٣) يُنْظَر : البكري : البكريات في توجيه مفردات الآيات ،٤٢
(٤) الطنطاوي ، علي والطنطاوي ، ناجي : أخبار عمر،١٢٢
(٥) ابن فارس : مقاييس اللغة ، مادة (نزل) ،٤١٧/٥
(٦) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (نزل) ،٤٣٩٩

أمَّا (**أَنْزَل**) فالأصل فيه العموم ، إذ قد يفيد التدرَّج والتَّكرار كما في (**نَزّل**) ، وقد لا يفيد ، وقيل : إنَّ ذلك هو الأكثر ، وليس نصًّا في أحد المعنيين(١) . قال الاستراباذي ت(٦٨٦هـ) : " لذلك سُمِّي الكتاب تنزيلاً ؛ لأنَّه لم ينزل جملة واحدة ، بل سورة سورة ، وآية آية ، وليس نصًّا فيه ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ ﴾ الزخرف: ٣١، وقوله تعالى : ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ الشعراء: ٤ "(٢) ، وعلى هذا يُحمل كلام أبي علي الفارسي ت(٣٧٧هـ) ومن تابعه في إجراء الفعلين مجرى واحدًا ، وإجراء مصدر أحدهما على الآخر ، وذلك من حيث اشتراكهما في أحد الدلالات الآنفة الذِّكر ، وسيشير الباحث فيما سيأتي من حديث إلى أثر بنية الفعلين على المعنى بين هاتين القراءتين ، وما حملته كل بنية من دلالات ناسبت المقام .

❖ أثر القراءتين على المعنى :

يمكن في ضوء ما سبق فهم صورة التغيُّر الحاصلة في بنية الفعل من (**نُزِّل**) الماضي المبني للمفعول ، إلى (**نُنْزِل**) المضارع المبني للفاعل ، ولماذا توحَّد الفعلان على مصدر واحد (**تنزيلاً**) مع اختلافهما في الدلالة ؟!

فبالعودة إلى سياق الآيات : ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ الفرقان: ٢٢ - ٢٥. نراها تُصوِّر مشهدًا من مشاهد يوم القيامة القائم على الدَّهشة وإثارة الرُّعب في النفوس ، المليء بالتغيُّرات في نظام الكون وبنيانه ، تتشقَّق فيه

(١) السامرائي ، فاضل : بلاغة الكلمة ، ٦٧.
(٢) الاستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب ، ٩٣/١.

السماء بالغمام " أي عن الغمام "[١] ، وتنْزِل الملائكة إلى الأرض ، قال الزمخشري ت(٥٣٨هـ) : " والمعنى أنَّ السماء تنفتح بغمام يخرج منها ، وفي الغمام الملائكة ينزلون ، وفي أيديهم صحف أعمال العباد"[٢] ، ويُختم سياق الآيات ببيان المُلْك والمَالِكِ الحقيقي ، لا مُلْك ملوك الدنيا ، قال تعالى: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ ﴾ الفرقان:٢٦ ، لقد أفادت القراءة بالماضي (**نُزِّل**) عددًا من الدلالات لاءمت وصف هذا المشهد :

– تتَّسِم أحداث ذلك اليوم **بالتَّدرُّج والتَّكرار** ، وهذا ظاهرٌ من رواية ابن عباس رضي الله عنه ، يقول : " تتشقَّقُ سماء الدنيا ، فينزِل أهلها وهم أكثر مِمَّن في الأرض من الجنِّ والإنس ، ثم تنشقُّ السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر مِمَّن في سماء الدنيا ، ثم كذلك حتى تنشقُّ السماء السابعة ... "[٣]. فنزول الملائكة متدرِّجٌ ، تنشقُّ السماء وينزل أهلها ، وهكذا في كلِّ سماء ، فهو مشهد فيه تدرُّجٌ بين كلِّ سماءٍ وسماء ، ثم إنَّه متكرِّرٌ تَكرارًا لا يُشْعِر بالملل والسآمة ، بل بالهيبة والفزع والخوف من هذه الحشود والأعداد التي تتوافد تمهيدًا لنزول الربِّ تبارك وتعالى ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ البقرة: ٢١٠ .

– كما أفادت القراءة بالماضي (**نُزِّل**) دلالة أخرى ناسبت أوصاف ذلك اليوم : هي **التَّكثير** ، فبناء الفعل (**نُزِّل**) فيه تضعيف ، والتَّضعيف يفيد التكثير، وعدم ارتضاء بعض الباحثين[٤] دلالة التكثير الكمِّي لبنية الفعل (**نزَّل**) راجعٌ إلى دراستها في سياقات من القرآن تقتضي ألا تُحْمل هذه البُنْية على تلك الدلالة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ الفرقان: ٣٢ ، وقوله : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا ﴾ الإسراء: ٩٥ ، ويرى الباحث أنَّ الأولى في دراسة (**نَزَّل**) أن تُقرَّ دلالته على التكثير كما قرَّر ذلك

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ،٣٩٩/١٥
(٢) الزمخشري : الكشاف ،٢٨٠/٣
(٣) ابن جبر ، مجاهد : تفسير مجاهد ،٤٩٨ ، الطبري : جامع البيان ،٤٣٨/١٧
(٤) يُنظر: حسُّون ، رضا : الصيغة العامة المزيدة في القرآن الكريم ، ص١٢

علماء التصريف[١] ، ويترك تحديد نوعه كمًّا كان أو كيفًا إلى السياق الذي يرد به ، أمَّا التَّعميم فيلزم منه توحيدُ دلالةٍ قد لا يُريدها السياق ولا تناسبه . والباحث ينظرُ للتَّكثير على هذه القراءة من زاويتين : من أعدادِ الملائكة ، والزَّمنِ الذي يستغرقه الحدث . يمكن أن يُطْلَق على الأولى : (**التَّكثير الكمِّي**) ، وعلى الثانية : (**التَّكثير الزَّمني**) ، أمَّا أعداد الملائكة فواضحٌ أنَّ أعدادهم التي تنزل من كلِّ سماء تفوق أعداد أهل الأرض كثرةً ، كما تشهد بذلك الآية قبلها : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ ﴾ الفرقان: ٢٥ ، فإنَّ بناء الفعل (**تَشَقَّق**) على التَّضعيف ؛ لاءم بناء الفعل (**نُزِّل**) في إفادة الكثرة ، قال الشريف الرضي ت(٤٠٤هـ) : " وهذه استعارةٌ ، والمراد بها – والله أعلم – على أحد القولين صفة السماء في ذلك اليوم بتعاظم الغمام فيها ، وانتشاره في نواحيها كما يقول القائل : قد تشقَّقت الغمائم بالبرق ، وتشقَّقت السَّحائب بالرعد إذا كثر ذلك فيها "[٢] ، ويشهد لكثرة أعداد الملائكة قوله تعالى : ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴾ النبأ: ١٩، قرأ العشرة (**فُتِّحَت**) بتشديد التاء عدا عاصم ، وحمزة ، والكسائي فبالتخفيف[٣] ، والتَّشديد في الفعل مناسبٌ لصورة المشهد المتَّسم بكثرة الملائكة ، فهو فتحٌ بعد فتحٍ مِمَّا يدلُّ على الكثرة ، وفي حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " : **يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا** "[٤] دلالةٌ واضحةٌ على هذه الكثرة المهيبة التي تأخذ بمجامع العقول والألباب . ويختم الباحث الحديثَ عن هذه الدلالة بالإشارة إلى اللام في (**المَلائِكَة**) التي تفيد الاستغراق[٥] ، أي : جميع الملائكة . أليس في هذا الاستغراق دلالة واضحة على عِظَمِ الجمع وكثرته يومئذ ؟! ، أمَّا الزَّمن الذي يستغرقه الحدث ، فقد سبقت الإشارة إلى أنَّ من مقتضيات التكثير في الفعل أن يستغرق وقتًا أطول يفيد تلبُّثًا وتمكُّثًا ، ولا شكَّ أنَّ هناك اطِّرادًا بين

---

(١) يُنظَر: الاستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب ،٩٢/١ ، التفتازاني : شرح مختصر التصريف ،٣٧
(٢) الرضي ، الشريف : تلخيص البيان ،٢٠٨
(٣) يُنظَر : الداني: التيسير،٥٠٩
(٤) أخرجه الترمذي : كتاب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة النار، حديث (٢٥١١) .
(٥) ابن عاشور : التحرير والتنوير ،٩/١٩

كثرة أعداد الملائكة في ذلك الموقف والزَّمن الذي يستغرقه نزولُهم ، ومع أنَّ أمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا كما في هذه المسألة ؛ إلا أنَّ السياق القرآني في مواضع أُخَر يفيد هذه الدلالة ، كما في وصفه لذلك اليوم وأحداثه بالثِّقل قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا ثَقِيلًا ﴾ الإنسان: ٢٧ ، وتارة يعيِّن مدَّة زمنيَّة تصف هذا الثِّقل ، وتُستَوحَى منها دلالة الكثرة لمُجْمل الأحداث فيه ، كقوله تعالى :﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ الحج: ٤٧ ، وقوله تعالى :﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴾ المعارج: ٤

- ومن الدلالات التي حملتها القراءة بالفعل (**نُزِّل**) **الاهتمام والمبالغة** ، وأيُّ اهتمام ومبالغة أعظم أثرًا من هذا الوصف : تُفْتَح كل سماء فينزل أهلها من الملائكة ، جمْعٌ يتلوه جَمْعٌ في دِقَّة ونظام – كما سيأتي – ألا يوحي هذا المشهد بالاهتمام ، وتكسو النفسَ هالةٌ من الخوف ، ويكسبها مزيدًا من الفزع تمهيدًا لموقف أعظم إنَّه : ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ المطففين: ٦ . قال الشوكاني ت(١٢٥٥هـ) : " يدل على أنَّ هذا التنزيل على نوع غريب ، ونمطٍ عجيب "[(١)] ، وقال أبو السعود ت(٩٨٢هـ) : " ونُـزِّلَ الملائكة تنزيلاً : أي : تنزيلاً عجيبًا ، غير معهود "[(٢)] ، وتمهيد الآيات بما قبلها من مشهدِ تشقُّق السماء ، وتناثر الغمام أكسب الفعل (**نُزِّل**) هذه الدلالة وزيادة .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ بناء الفعل (**نُزِّل**) للمفعول يكسب القراءة هذه الدلالة ، فقد زاد الأمرُ تعظيمًا بإبهام الفاعل مع أنَّه معلوم سلفًا – وكأنَّه لمَّا حذف الفاعل من الآية وبنى الفعل للمفعول ؛ استعاض عنه بالمجيء الحقيقي للفاعل ، وهو الله تبارك وتعالى كما قال في آية أخرى : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴾ الفجر: ٢٢ ، وتحقُّقَ الفعل عيانًا

(١) الشوكاني : فتح القدير، ٩٦/٤
(٢) أبو السعود : إرشاد العقل السليم، ١٧٢/٤

على أرض الواقع يوم البعث والنشور ، لِلَّه ما أجمل قسمات هذا الكتاب ، وأدقَّ تفاصيله .

– ويختم الباحث دلالات هذه القراءة بإفادة الفعل (**نُزِّل**) **للترتيب والتنظيم** ، ذلك أنَّه في يوم القيامة لابُدَّ للملائكة من القيام بمهامِّهم ووظائفهم ، ولابُدَّ لهذا القيام من ترتيب يقتضيه أحوال ذلك اليوم وأحداثه ومجرياته ، فَتَنَزُّلُ الملائكة هنا يعني : ترتيبهم كلٌّ حسب وظيفته ، لِتَصْدُرَ أعمالهم على الهيئة والترتيب المطلوبين(١) ، فالترتيب هنا من جهة وظائفهم وأعمالهم في ذلك اليوم ، يسبقه الترتيب والنظام في هيئة نزولهم ، أورد الطبري ت(٣١٠هـ) بسنده " عن ابن عباس ﷺ قال : إنَّ هذه السماء إذا انشقت نزل منها الملائكة أكثر من الجنِّ والإنس ، وهو يوم التَّلاق .... ثم تتشقَّق السماء الثانية ، ثم سماء سماء ، على قدر ذلك من التَّضعيف إلى السماء السابعة ..."(٢) . وقبل الانتقال إلى الحديث عن دلالة القراءة بالمضارع يسجل الباحث ملاحظة هي : عبَّرت القراءة بالماضي (**نُزِّل**) عن حدثٍ لم يأتِ بعدُ ، وإنَّما يقع في المستقبل لإفادة تحقُّق وقوعه لا محالة ، وكأنَّه مشاهَدٌ وبارز للعيان ، يقول ضياء الدين ابن الأثير ت(٦٣٧هـ) : " الفعل الماضي إذا أُخبِر به عن المستقبل الذي لم يوجد بعد ؛ كان ذلك أبلغ وأوكد في تحقيق الفعل وإيجاده ، لأنَّ الفعل الماضي يعطي من المعنى أنَّه قد كان ووجد ، وإنَّما يُفْعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها"(٣) ، كما أشار ابن هشام ت(٧٦١هـ) إلى أنَّ الغرض من مثل هذا الأسلوب الخروج عن حالة المشاهدة إلى الإخبار ؛ قصدًا لإحضاره في الذِّهن(٤) ، وقد جمع د. الهتاري الدلالتين : الدلالة السياقية التي تقتضي استحضار الفعل ، والدلالة النَّحوية للصِّيغة التي تقتضي مُضِيَّه تحت مسمَّى : الماضي الحاضر ، أو بعبارة (فندريس) المضارع التاريخي(٥) .

---

(١) يُنظَر : البكري : البكريات في توجيه مفردات الآيات ، ٤٢.
(٢) الطبري : جامع البيان ، ١٧/٤٣٨.
(٣) ابن الأثير : المثل السائر ، ٢/١٨١.
(٤) يُنظَر : ابن هشام : مغني اللبيب ، ٢/٩٠٥.
(٥) يُنظَر : الهتاري ، عبد الله : الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم ، ٤٣.

ويغلب إيراد مثل هذه الصُّورة في القرآن الكريم في مقام الحديث عن الغيب كمشاهد يوم القيامة ، أو عذاب النَّار مِمَّا يثير في النُّفوس الدَّهشة ويحمل القلوب على الخوف ، وتَنَزُّل الملائكة يوم القيامة مشهد استُحِقَّ التعبير عنه بالماضي وأراد تحقُّق وقوعه بدلالة مجيء القراءة الأخرى بالمضارع – والله أعلم – .

أما قراءة ابن كثير (**نُنْزِلُ**) بالمضارع بإجراء الفعل على الإخبار من الله تعالى عن نفسه ، فقد أكسبت السياق هيبة ومهابة ملائِمَة لوصف ذلك اليوم وتفاصيل أحداثه ووقائعه ، وذلك من جهات عدَّة :

- التعبير بالفعل المضارع يدلُّ على التجدُّد والاستمرار – كما مرَّ – ، والتعبير بالمضارع على هذه القراءة يُشْعِر باستمرار تنزُّل الملائكة حتى نزول الربِّ تبارك وتعالى ، مِمَّا نستحضر في الذهن كلَّ معاني الهيبة والجلال لذلك اليوم وأحداثه .
- نسبة الإنزال إلى الله تعالى بنون العظمة (**نُنْزِلُ**) زاد الأمر مهابة وإجلالاً ، حيث عيَّن الفاعل الذي أُبْهِم في القراءة الأولى – وإنْ كان معلومًا ابتداءً – ولعله السرُّ في إتيان (**نُنْزِلُ**) مخفَّفًا حيث إنَّ إسناده إلى الله تعالى يكفي في إدخال المهابة في النفس فيغني عن تضعيفه ، وليس كذلك حين أبهم الفاعل في القراءة الأخرى[1].
- وفي تعيين الفاعل وهو الله تبارك وتعالى المأخوذ من هذه القراءة تناسقٌ مع ما بعده من قوله تعالى: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ الفرقان:٢٦ ، فجاء به تصريحًا ، لا تلميحًا في مشهد يرسم كل معاني القوة والهيبة للرحمن تبارك وتعالى " فالملك الكامل إنما هو لله تعالى ، ولكنَّ العقول قد لا تلتفت إلى ما في الملوك من نقص وعجز "[2] .

(١) يُنظَر: الجيلي ، علي : اختلاف القراءات من صيغة الماضي إلى غيرها حكمته ودلالته ، ص (١٣٨)
(٢) ابن عاشور : التحرير والتنوير ،١١/١٩

- كما أنَّ القراءة بالمضارع (**نُنْزِلُ**) تتَّسِقُ مع المضارع (**تَشَقَّقُ**) قبله ؛ لأنَّه مثله في إفادة وقوع ذلك مستقبلا ، وأنَّه كائنٌ لا محالة ، ولا مجال للشكِّ والريب فيه .

ويؤكِّد الباحث على ألا تدافع بين هاتين القراءتين ، ولا بين الأثر المترتِّب عليهما ، ولا يُحْكَم بأنَّ القراءة بإسناد الفعل للفاعل أقوى من إسناده للمفعول لكونه لا داعي للجوء إلى الفرع مع إمكان وجود الأصل كما أشار إلى ذلك بعض الباحثين[1] . فقد ختم الله تعالى هذه الآية مع التغيُّر الحاصل في بنيتي الفعلين بالمصدر (**تنزيلاً**) وهو مصدرٌ للفعل (**نَزَّل**) ، أمَّا (**أَنْزَلَ**) فيأتي مصدره على (**إِنْزَال**) ، وهذا العدول يوحي بدلالة مشتركة بين الفعلين تمثلت في : " توكيد النُّزول ، وسرعة إسراعهم فيه "[2] ، واستعمال القرآن الكريم للمصدر في هذا الموضع يعدُّ استعمالًا راقيًا أُخرِج في صورة فنية عجيبة في قمة الإعجاز والدَّهشة فقد " جمع بين معنى الفعل ، ومعنى المصدر من أقرب طريق ، وأيسره "[3] ، فجاء بالفعل على القراءتين لبيان التدرُّج ، والتَّكثير ، والمبالغة ، والتَّرتيب ، مع التجدُّدِ ، والاستمرار على الاختلاف الحاصل بين بنيتي الفعلين ، ثم جاء مرَّةً أخرى بالمصدر ليؤكِّد معنًى آخر هو : حصول المعاني السابقة للفعل على وجه الإسراع فيها ، لتكون في مُجْمَلِها وصفًا لمشهدٍ سريع الأحداث والتقلُّبات ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ الانفطار: ١ - ٢ ، لكنَّه في المقابل مشهدٌ ثقيلٌ على النفس وقعُه ، شديدٌ على القلوب وطأتُه كما قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ الحج: ٤٧ .

---

(١) يُنظَر : الهيتي : ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي ،٤٨
(٢) الرازي : مفاتيح الغيب ،٧٤/٢٤
(٣) السامرائي ، فاضل: التعبير القرآني ،٣٣

٥. ﴿ أُخْفِيَ ﴾ :

قال تعالى ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ السجدة: ١٧

❖ مذاهب القرّاء :

- قرأ العشرة عدا حمزة ويعقوب (**أُخْفِيَ**) بفتح الياء ، وبناء الماضي للمفعول .
- وقرأ حمزة ويعقوب (**أُخْفِيْ**) بإسكان الياء ، وبناء الفعل للفاعل ، مضارعٌ[١] .

❖ معاني القراءتين وتوجيههما :

ناسب سياق الآيات الواردة بعد الماضي (**أُخْفِيَ**) المبني للمفعول من جهة الاكتفاء بالضمير الذي أُلْحِق بالفعل عن الفاعل الظَّاهر ، كما في قوله تعالى : ﴿ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ، السجدة: ١٧ ، وقوله تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ السجدة: ١٨ ، وقوله تعالى : ﴿ نُزُلًا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ السجدة: ١٩ ، ومن قرأ (**أُخْفِيْ**) جعله مأخوذًا من الماضي : (أخفيْتُ)[٢]، وبناء الفعل في هذه القراءة للفاعل ناسبه سياق الأفعال الواردة قبله كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ السجدة : ١٣، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ﴾ السجدة : ١٤، وقوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ السجدة : ١٦، وكلُّها أفعال مبنية للفاعل ، ويؤيِّد ذلك قراءةُ ابن مسعود ﷺ (**ما نُخْفِيْ لهم**)[٣] . فناسب قراءةَ حمزة ، ويعقوب سياقُ الآيات الواردة قبل الفعل (**أُخْفِيْ**) المبني للفاعل ، كما ناسب سياقُ الآيات الواردة بعد بنية الفعل (**أُخْفِيَ**) المبني للمفعول قراءةَ الجمهور .

---

(١) يُنظَر : ابن غلبون : التذكرة في القراءات الثمان ،٤٩٨ ، مكي بن أبي طالب : التبصرة ،٣٠٧ ، الداني : التيسير ،٤١٥ ، العكبري : إعراب القراءات الشواذ ،٢٩٦/٢ ، ابن الجزري : النشر ،٦١٥ ، النَّشار : البدور الزاهرة ،٢٠٦/٤ ، الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر ،٣٦٧/٢،

(٢) يُنظَر : الفارسي : الحجة في علل القراءات ،١٦٦/٤، أبو زرعة : حجة القراءات ،٥٦٩ ، الباقولي : كشف المشكلات ،٢٢٠/٢ ، ابن أبي مريم :الموضح في وجوه القراءات ،٦٢٥

(٣) أورد هذه القراءة الفراء : معاني القرآن ،٣٣٢/٢

❖ أثر القراءتين على المعنى :

تصوِّر الآية مشهدًا من مشاهد يوم القيامة يتمثَّل في النعيم الذي أعدَّه الله تعالى للمؤمنين ، وقد سبقت الإشارة إلى أنَّ ملامح ذلك اليوم تتَّسم بالتحول ، والمفاجأة ، والحركة الناتجة عن تغيُّرِ الكون وتبدُّله ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ إبراهيم: ٤٨ ، وبالنظر في دلالة كل قراءة وأثرها على المعنى تتجلَّى الصورة البديعة في جري الكلام على نسقٍ واحدٍ من التوافق والانسجام . قال تعالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ السجدة: ١٧ ، أي : " لا يعلم أحدٌ ما أُخْفِي لهؤلاء الَّذين ذكرهم الله مِمَّا تقرُّ به أعينهم "[١] ، ويتَّضح من خلال النظر في سياق الآيات : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ السجدة: ١٦، أنَّ الحديث عن المتهجِّدين بالليل وأهل القيام فيه ، فقد روى معاذ بن جبل ﷺ عن رسول الله ﷺ في قوله : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ ﴾ " **قَالَ : قِيَامُ الْعَبْدِ مِنَ اللَّيْلِ** "[٢] ، وقد أورد ابن الجوزي ت(٥٩٢هـ) أربعة أقوال في مَنْ نزلت فيهم هذه الآية ؟ وفي الصلاة التي تتجافى لها جنوبهم ؟ مؤدَّاها إلى معنى استخفائهم في صلاتهم سواء كانت نافلةً كقيام الليل ، أم فرضًا كالعشاء[٣] . واستدل الزَّجَّاج ت(٣١١هـ) بالآية على أنَّها الصلاة في جوف الليل ، يقول : " لأنَّه عملٌ يستسِرُّ الإنسان به ، فجعل لفظ ما يُجَازَى به (**أُخْفِيْ**) "[٤] ، فناسب إيراد الفعل (**أخفي**) بقراءتيه السياق العام للآيات ، فقيام الليل في أصله عبادةٌ خفيَّةٌ ، تتَّسِم بالسرِّ والخفاء .

لقد أفادت القراءة بالماضي المبني للمفعول (**أُخْفِيَ**) التعظيمَ ، فالفكر يذهب كلَّ مذهب في المخفيِّ ، هذا الخفاء وقع فعلاً وحصل ، لكن ما هو ؟! وما كُنْهُهُ ؟! وأيُّ جزاءٍ مترتِّبٌ على أعمالهم ؟! لم تبيِّنه الآية ، ولم تُسَمِّه وإنَّما اكتفت بالإشارة إليه بالفعل

(١) الكرماني ، محمد بن أبي المحاسن : مفاتيح الأغاني ،٣٢٩
(٢) أخرجه أحمد في المسند : مسند العشرة المبشرين بالجنة ، حديث رقم (٢١٤٥٦)
(٣) يُنظَر : ابن الجوزي : زاد المسير،٣٣٧/٦-٣٣٩
(٤) الزجَّاج : معاني القرآن وإعرابه ،٢٠٧/٤

المبني للمفعول وذلك " للعلم بأنَّه سبحانه الذي أخفوا نوافل أعمالهم لأجله "[١] ، **ولنتأمل في بعض الإشارات التي توحي بخفاء الجزاء لهؤلاء العُبَّاد جزاءً وفاقًا ، كما يظهر من الآيات:**

- نفْيُ العلمِ بالجزاء المتمثِّل بدخول لا النافية الداخلة على الفعل المضارع في قوله تعالى : ﴿ **فَلَا تَعۡلَمُ** نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم ﴾ السجدة: ١٧.
- النكرة (**نفسٌ**) في سياق النَّفي (**فَلا تَعْلَم**) أفادت العموم ، أي : لا يعلم أيٌّ أحدٍ[٢] ، فنفت العلم عن أيِّ نفسٍ كانت " فهي إذًا نفوسٌ غير عالمةٍ ، ولكن غير عالمةٍ بماذا ؟ بالذي أُخْفيَ لهم ، وذلك بطيِّ ذكرِ العالم الرَّحب الذي تمَّ إخفاؤه ، وطيِّ ذكر من أعدَّ هذا العالم الرَّحب من التكريم والتنعيم ، فالسياق سياق إبهام ، والإبهام عنصرٌ مراعى ومقْصودٌ ؛ لتذهب النَّفس في تقديره كلَّ مذهب "[٣] ، ولعلَّ هذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني ت(٤٧١ هـ) في نظرية المعنى ومعنى المعنى ، يقول : " نعني بالمعنى : المفهوم من ظاهر اللفظ ، والذي تصل إليه بغير واسطة ، وبمعنى المعنى : أنْ تعقل من اللفظ معنًى ، ثم يُفْضي بك ذلك المعنى إلى معنًى آخر "[٤] ، فالمعنى حاصلٌ من الإخفاء لمظاهر النَّعيم الذي ينالونه ، ثم يذهب الفكر بعيدًا في تقدير هذا الجزاء وهذا ما قصده الجرجاني ت(٤٧١ هـ) بمعنى المعنى .
- (**ما**) في الآية تعرب كالآتي[٥] :

– إنْ كانت بمعنى (**الذي**) ؛ فهي في موضع نصب بـ (**تَعْلَم**) على القراءتين ، وتكون الهاء محذوفة من الصلة على قراءة (**أُخْفِيْ**) أي : أخفيه

(١) الجيلي ، علي : اختلاف القراءات من صيغة الماضي إلى غيرها حكمته ودلالته ، ص(١٣٤ ـ ١٣٥)
(٢) يُنظَر : عباس ، فضل حسن : البلاغة فنونها وأفنانها (المعاني) ،٥٣٤
(٣) الخراط : الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة ،٣٢٠-٣٢١
(٤) الجرجاني ، عبد القاهر : دلائل الإعجاز ،٢٦٣
(٥) يُنظَر : النحاس : إعراب القرآن ،٧٥٩ ، مكي بن أبي طالب : مشكل إعراب القرآن ،٣٥٩

لهم ، ولا حذف في قراءة : (**أُخْفِيَ**) ؛ لأنَّ الضمير لنائب الفعل يعود على : (**الذي**) .

– وإنْ كانت استفهامًا بمعنى (**أيُّ**) ؛ فهي في موضع رفع بالابتداء على قراءة (**أُخْفِيَ**) ، وفي موضع نصب على قراءة (**أُخْفِيْ**) ، والجملة : (**ما أخفي**) في موضع نصب سدَّت مسدَّ مفعولي (**تَعْلَمُ**) .

ونقل أبو علي الفارسي ت(٣٧٧هـ) أنَّ الراجح عند النحاة جَعْل (**مَا**) استفهامًا مرتفعًا بالابتداء[١] ، وهذا الاستفهام يثير تساؤلات عدَّة عمَّا أُخْفِيَ لهؤلاء المنعَّمين ، والمتأمِّل لهذا الاستفهام بعين البصيرة لَيتذوق حلاوة القرآن ودقته في اختيار مفرداته ، فقد لاءم الاستفهام الذي رُجِّح في معنى (**مَا**) دلالةَ الفعل (**أُخْفِي**) لِمَا يحمله الاستفهام من طلب العلم بالشيء ، وطَلَبُ العلم بالشيء ناشئٌ عن وجه خفاءٍ ، وبذلك يرِد عنصرٌ جديدٌ من عناصر الإبهام المقصود في الفعل .

وإذا انتقل الباحث إلى دلالة الفعل (**أُخْفِيْ**) ببنائه للفاعل ؛ يجد ثمَّة توافق وتواؤم بينه وبُنْية المضارع قبله : (**يُنْفِقُون**) ، ولأنَّ الفعل المضارع يحمل التجدُّد ، ويُشْعِر بالحركة والحياة ؛ " نَجَم عن هذا جزاءٌ مستمرٌّ متجددٌ في نسيج الفعل المضارع ذي الفعل الربَّاني : (**أُخْفِيْ**) في مقابل المضارع ذي الفعل البشريِّ (**يُنْفِقُون**) "[٢] .

ولعلَّ التعبير بهذه البِنية مناسبٌ لحالهم – والله أعلم – فَمَا داموا مستمرِّين في إخفاء أعمالهم حرصًا على مرضاة ربِّهم تبارك وتعالى ، مداومين عليها كما جاءت بذلك الأفعال : (**تَتَجَافَى**) ، (**يَدْعُونَ**) ، (**يُنْفِقُون**) ؛ ناسبهم أنْ تبقى نفوسهم مطمئنَّة بفضل الله تعالى وعطائه ، متشوِّقةً دومًا إلى المزيد من رضوانه ، غير ملتفتة إلى النَّوال من غيره ، " تروي غليلها بِمَا يُخفيه لها ربُّها عزَّ وجلَّ من أطايب النَّعيم

(١) يُنظَر : الفارسي : الحجة في علل القراءات ، ١٦٦/٤ .
(٢) الخراط : الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة ، ٣٢٠ .

ونفـــائس التَّكريم ، فتقـــرُّ عينُها بذلك المخفيِّ المتجدِّد المستمرِّ في عطـــائه الرَّحـــب الجزيل "(١) .

وهكذا كمَّلت كلٌّ قراءة الأخرى بما أكسب المعنى ثراءً واضـــحًا ، وســـواء أكانـــت القراءة بالماضي أم بالمضارع فإنَّ الدلالة في الآية تُحْمَل على الاستمرار حثًّـــا مـــن الرحمن تعالى أن يستمرَّ العباد في طلب مرضاته " فالخفاء مستمرٌّ ، ووَاوقِـــعٌ – وإنْ كانْ الفعل ماضيًا – إلى يوم القيامة ، على أنْ تقرَّ أعينُهم بما أُخْفِيَ لهم "(٢) .

(١) الخراط : الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتواترة، ٣٢٠
(٢) أبو راس ، منصور : اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع ، ١٧٦

٦. ﴿ وَأَمۡلَىٰ ﴾:

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾ محمد: ٢٥

❖ مذاهب القرّاء :

في الآية ثلاث قراءات[١]:

- قـــرأ العشرة عدا أبي عمرو ، ويعقوب بفتح الهمزة ، واللام ، وألفٍ بعدهـــا : (**أملَى**) .
- وقرأ أبو عمرو بضم الهمزة ، وكسر اللام ، وفتح الياء : (**أُملِيَ**) .
- وقرأ يعقوب بضم الهمزة ، وكسر اللام ، وإسكان الياء : (**أُملِيْ**) .

❖ معاني القراءات وتوجيهها :

قراءة العشرة عدا أبي عمرو ، ويعقوب بفتح الهمزة واللام وألف بعدها (**أَمْلَى**) على الماضي .

ومثله قراءة أبي عمرو بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء (**أُملِيَ**) ببناء الفعل للمفعول ، على الماضي كذلك .

والفعل في قراءة يعقوب بضم الهمزة وكسر اللام وإسكان الياء (**أُملِيْ**) مضارعٌ ماضيه (**أَمْلَى**) ، والمخبِر هو الله تعالى عن نفسه[٢] .

---

(١) يُنظَر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ،٦٠٠ ، الداني : التيسير،٤٦٢-٤٦٣، مكي بن أبي طالب : التبصرة ، ٣٣٨، ابن الباذش : الإقناع في القراءات السبع ،٧٦٨ ، ابن الجزري : النشر،٣٦٤ ، النَّشار : البدور الزاهرة ،٣٢/٤ ، الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر،٤٧٨/٢

(٢) يُنظَر : الفراء : معاني القرآن،٦٣/٣، الزجَّاج : معاني القرآن وإعرابه ،١٤/٥، المهدوي : شرح الهداية ٧٠٦،

قراءة الجمهور (**أَمْلَى**) على الماضي المبني للفاعل ، والضمير فيه إمَّا : أن يعود للباري تبارك وتعالى ، أو للشيطان ، فإنْ عاد الضمير إلى المولى تبارك وتعالى ؛ فالمعنى : أملى لهم الله تعالى بأنْ أمدَّ أعمارهم وآجالهم وأمهلهم زمنًا ، كما قال تعالى : ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ الأعراف: ١٨٣ ، كما لم يُعاجِلْهم بالعقوبة نتيجة معاصيهم وكفرهم ؛ استدراجًا لهم ، كما قال في الآية بعدها : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ محمد: ٢٦، ويحسُن على هذا المعنى الوقف على قــوله تعالى : (**سوَّل لهم**) ؛ لأنَّ الإملاء في هذه القراءة مسندٌ لله تبارك تعالى ، بينما التسويــل للشيطـــان ، قـــال الداني ت(٤٤٤هـ) : " (**سوَّل لهم**) كـــافٍ ســـواء قُرِئ : (**وأُمْلِيْ لهم**) على تسمية الفـــاعل ، أو : (**وأُمْلِيَ لهم**) على ما لم يسمَّ فـــاعله ، أو (**وأَمْلَى لهم**) على الإخبار ؛ لأنَّ الإملاء في كل القرآن مسندٌ إلى الله تعالى ، كقوله تعالى : ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ الحج: ٤٤ ، فيحسُــن قطعه من التَّسويل الذي هو مسندٌ إلى الشيطان"[1] ، ومثل هذا المعنى واردٌ كثيرًا في كتاب الله تعالى ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ الأنفال: ٤٨ ، وقوله تعالى : ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ النحل: ٦٣ ، وقوله تعالى :﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ ﴾ البقرة: ٢٦٨.

وإنْ عاد الضمير في الفعل إلى الشيطان ، كان المعنى : سوّل وأملى لهم الشيطان بأنْ مدَّ لهم في الأمل والتمنِّي ، ووعدهم بالغرور وأوقعهم في شبـــاك الأماني ، ومنعهم العمل حتى فَجَأَهُمُ الموت ، وبَغَتَهُم الأجل . ولهذا شـــاهدٌ في القرآن الكريـــم من مثل قوله تعالى :﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ النساء: ١٢٠ ، وقـــوله

(١) الداني : المكتفى في الوقف والابتدا ،٥٢٥ ، ويُنظر: الأشموني : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا،٣٦٢

تعـالى : ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ النساء: ١١٩ ، وإسناد فعل الإملاء إلى الشيطان إنَّما هو من جهة أنَّ الله تعالى قدَّر على يده ولسـانه ذلك ، وإلا فإنَّه : " يُعْلم يقيناً أنَّه لا يؤخِّر أحدٌ مدَّة أحدٍ ، ولا يوسِّع فيها إلا الله "[١].

وحُمِلَتْ قراءة أبي عمروٍ (أُملِيَ) على وجهيـن : إما أنَّ الإملاء من الشيطـان بمعنى : " مدَّ لهم في الأماني والآمال ، ومعنى المدِّ فيها توسيعها ، وجعلها ممدودة بنفسها أو بزمـانها ، بأنْ يوسوس لهم بأنَّكم تنالون في الدنيا كذا وكذا مِمَّا لا أصل له ، حتى يعوقهم عن العمل "[٢] ، أو من الله تعالى ليُزِيلَ التوهُّم الحاصل من أنَّ الإملاء للشيطان كونه جرى ذكره قبل هذا فقال : ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ ﴾ ، ولم يجرِ لله تعالى ذكرٌ ؛ فجاءت هذه القراءة لتزيل هذا التوهُّم ، وبأنَّ الإملاء من الله تعالى ، ويؤيِّده قوله تعالى : ﴿ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡ ﴾ الحج: ٤٤ .

والفـاعل على قراءة يعقوب (أُملِيْ) يعـود ضميره إلى الله تعالى ، لأنَّه تعـالى هو المملي ، والألف في الفعل ألف المتكلم ، وأصل الإملاء : الإمهـال والمد في الأجل[٣] ، وقد نـاسب المعنى في هذه القـراءة قوله تعالى : ﴿ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴾ الأعراف: ١٨٣ ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ ﴾ آل عمران: ١٧٨ .

أثر القراءات على المعنى :

سيتناول الباحث صورة التغيُّر الحاصلة في هذه القراءة من الماضي (أَمْلَى) على قراءة الجمهور إلى قراءة يعقوب بالمضارع (أُمْلِيْ) ، وسيحاول توظيف صورة

(١) الكرماني ، محمد بن أبي المحاسن : مفاتيح الأغاني ،٣٧٦
(٢) الألوسي : روح المعاني ،٢٣١/٩، الجزء ١٣
(٣) يُنظر: الشنقيطي : أضواء البيان ،٦٢٠/٧

التغيُّر بين هاتين القراءتين في بيان الأثر الدلالي المترتِّب على كل قراءة وفق سياقها الذي وردت به .

لقد اغترَّ القوم – سواء أُرِيد بهم اليهود ، أم المنافقون على تأويل المفسرين للآية[١] – بِنَعَمِ الله تعالى عليهم من سهولة الرزق ، وطول العمر ، وتغادق النعم ، وقابلوا ذلك بالعناد ، وارتدوا على أدبارهم كفَّارًا من بعد ما تبيَّن لهم الحقُّ ، وآثروا الغواية على الرشاد عنادًا وكفرًا من عند أنفسهم . صورة هذا الاغترار ناسبها التعبير بالفعل الماضي (**أَمْلَى**) ليبيِّن – والله أعلم – تسهيل حدوث الإملاء منه تعالى لهم بإطالة أعمارِهِم وإسباغ النِّعم عليهم ، وتسهيل الأماني والحِلْم عن المعاجلة بالنِّقم حتى اغتروا[٢] . وهي موافقة لقوله تعالى : ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾القلم:٤٤ ، كما أنَّ نسبة الإملاء إلى الشيطان ناسبت الحالة التي اختاروها من تنكُّبِ طريق الإيمان ، ولَهَثِهِم وراء الكفر ، وكان الدافع للسير في هذا الطريق إغواء الشيطان وتزيينه لهم وخداعه ، وهو ما صوَّرته دلالة القراءة (**أَمْلَى**) .

ويرى بعض الباحثين أنَّ إسناد فعل الإملاء للشيطان من قبيل قول العرب : " أملى البعير في القيد ؛ إذا أرخى ، ووسَّع فيه " بمعنى : أنَّ الشيطان لمَّا زيَّن لهم معاصيهم ، وسوَّل لهم عصيان ربهم ، كان كمن وسَّع عليهم قيد الإسلام في أعناقهم ليتمكن من إخراجهم من الإسلام ، كما تخرج الإبل من قيدها إنْ وسَّعناه لها[٣].

لقد أحدثت صورة التغيُّر في بنية الفعل من الماضي (**أَمْلَى**) إلى المضارع (**أُمْلِيْ**) مشهدًا من التهديد والوعيد المتمثِّل بإسناد الفعل لله تبارك وتعالى (**أُمْلِيْ**) ، ولو تأمَّل القارئ سياق الآيات قبل هذه القراءة لظهر له مدى العناد الذي بلغ إليه هؤلاء الكفَّار . فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟

(١) يُنظَر : ابن الجوزي : زاد المسير،٤٠٨/٧ ، الطبري : جامع البيان ،٢١٧/٢١
(٢) يُنظَر: البقاعي: نظم الدرر ،٢٤٦/١٨
(٣) يُنظَر : البحلوز : النظير ودروه في توجيه القراءات ،١١١

ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ﴾ محمد: ١٦ ، فهم من بلادتهم وقلة فهمهم يجلسون إلى الرسول ﷺ يستمعون كلامه فلا يفهمون شيئًا ، فإذا خرجوا من عنده ﷺ سألوا أصحابه سؤال لا مبالاة وعدم اكتراث : (مَاذَا قَالَ ءَانِفًا) ؟؟ . ثم إنَّهم أهل فزع ورعب وجُبْن حال لقاء العدو ، كما قال تعالى : ﴿ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ محمد: ٢٠ ، سِمَتُهُمُ العامَّة الإفساد في الأرض عمومًا : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ محمد: ٢٢، وقطع الأرحام خصوصًا : ﴿ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ محمد: ٢٢ ، لذا حلَّت عليهم اللَّعنة ، وعميت أبصارهم عن التعرف على الحق .[١] ، كلُّ هذه الفِعَال التي أقدموا عليها واستمرؤوها كفيلة أن يحمل الخطاب في طيَّاته تهديدًا ووعيدًا لهم ، فعدم مبالاتهم بكلام الله تعالى وأوامره وأوامر رسوله ﷺ ، وسعيهم في الأرض فسادًا وإفسادًا بسفك الدماء ، وقطع الأرحام ، وإعراضهم عن تدبر القرآن والعمل به ، وتلوُّنِهم وتبدُّلِهِم من الإيمان إلى الكفر رفعت من وتيرة الدلالة التي يحملها المضارع (**أُمْلِيْ**) مقارنة بدلالة القراءة بالماضي (**أَمْلَى**) . حيث إنَّ أفعالهم هذه تستحقُّ أن يتولى الله بذاته تعالى – ولا موجب عليه سبحانه – الإملاء لهم ، والإطالة في أعمارهم وأرزاقهم استدراجًا وفتنة .

ويرى الباحثُ في الفعل (**أُمْلِي**) قوَّة واشتدادًا في نبرة الخطاب وذلك من حيث ابتداء الفعل بهمزة قطع ، وختمه بالياء ، وكأنَّ مشهد الإملاء ملخَّصٌ بين الحرفين : (**الهمزة ، والياء**) ، فالهمزة حرفٌ شديدٌ مستثقلٌ من أقصى الحلق ، صامتٌ حنجريٌّ انفجاريٌّ[٢] ، لتدلَّ بهذه الصفات على القوة والقدرة ، وأنَّ الله تعالى لا يُعْجِزه شيء ، أما الياء فمجهورةٌ رخوةٌ منفتحةٌ[٣] ، فيها من إثبات الاختصاص والنسبة له تعالى ما لا يشاركه أحدٌ في فعله ، ما دام أنَّ أفعالهم مشاقَّةٌ لله تعالى وأوليائه ، " هذا المشهد لا

(١) يُنظَر للاستزادة : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ،١٧٢٠-١٧٢٢
(٢) يُنظَر : ابن يعيش : شرح المفصَّل ،١٠٧/٩ ، أنيس ، إبراهيم: الأصوات اللغوية ،٧٧ ، الراجحي ، عبده : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ،٩٥
(٣) يُنظَر: ابن الجزري : التمهيد في علم التجويد ،١٥٠

يكاد يتحقَّق على الوجه الأكمل إلا في القرآن الكريم ، الذي يتميَّز بتمام التلاؤم بين طبيعة المواقف والأغراض وبين التعبير عنها . فحيث الوعيد والتهديد نجد البناء التعبيري قويًّا بجملته وتفاصيله ، فنجد الأصوات زاجرة زجر ما تحمله من معاني ، فالشَّكل والمضمون وحدة متَّفقة السِّمات والخصائص "(١) .

بقي أن يشير الباحث ألَّا ثمَّة تعارض بين القراءات الواردة في هذه الآية ، فعلى اختلاف دلالات كل قراءة ؛ إلا أنَّ المعاني جميعها تَظْهَر بصورة متناسقة : فإنْ قلنا : إنَّ الإملاء فيها جميعًا لله تعالى فقد اتَّفقت المعاني واختلفت في اللفظ ، ولا يخفى ما في (**أُمْلِيْ**) من المهابة حيث صرَّح بإسناد الإملاء لذاته العليَّة ، وما يدلُّ عليه تجدُّد لفظ المضارع من تجدُّد ذلك في كل زمان ومكان ، حتى لا يأمن أحدٌ مكرَه تعالى ، وكذلك ما في (**أُمْلِيَ**) من الإبهام الذي يجعل النفس تتفكَّر فيه ، وتذهب كلَّ مذهب حيث أُبْهِمَ فاعلُه ، ومثلهما (**أَمْلَى**) التي أفادت تسهيل الإملاء لهم بالمدِّ في الأعمار والأرزاق استدراجًا ، وإنْ قلنا : إن (**أَمْلَى**) – بالبناء للفاعل – للشيطان فتكون هذه القراءة أفادت معنًى آخر هو : أنَّه وعدهم وطوّل لهم في الأمل ، وتكون قراءة (**أُمْلِيْ**) قد أفادت : أن الله أملى لهم بمعنى مدَّ لهم في العمر ولم يعاجلهم العقوبة ، وعليه فالمعاني كلُّها صحيحة يكمِّل بعضها بعضًا ، تُنَزَّل فيها كل قراءة منزلة آية ليظهر أثرها وجمالها(٢) .

قد تبدو هذه الصورة من التغيُّر منذ الوهلة الأولى أنَّها لا تعدوأن تكون شكلا من أشكال التغيُّر اللفظي بين القراءات ، التي تحمل مدلولا واحدًا ، لكن ما أنْ يُنْعِم المتأمِّل فيها الفكر ، ويتذوقها حتى تتفجَّر أمام عينيه العديد من الدلالات التي تحمل معاني متفرقة لا تتَّسم بالتَّناقض ولا بالتَّعارض ، بل " تبدو في العين جرمًا واحدًا ، لكنَّها عندما تجري على اللسان ، وتقع على السمع تتفجَّر منها أشتاتٌ من المعاني السامية ، وأنواعٌ من الإشارات اللطيفة ، ممَّا يجعل السامع يلتقط منها ما يناسب المقام ، ويتلاءم مع

(١) شادي ، محمد : البلاغة الصوتية في القرآن الكريم،٦٥

(٢) للاستزادة : الجيلي ، علي : اختلاف القراءات من صيغة الماضي إلى غيرها حكمته ودلالته ، ص ١٤٢

الأفهام "[١] . لقد أسهمت هذه الصورة من التغيُّر في الإطالـــة فـــي مشـــهد الحـــدث ، والتَّسريع من وتيرته تبيَّن ذلك في صورة الانتقال من زمن إلى آخر بـــين القـــراءات القرآنية ، كما ركَّزت في معانيها على مآلات الحدث ونتائجه .

(١) لاشين ، عبد الفتاح : صفاء الكلمة ، ١٢٠



المبحث الثاني

التغيُّر من الفعل المضارع إلى الماضي، ودلالته



توطئة :

تمتلك لغة القرآن الكريم قدرات هائلة في استحضار المعاني وتشخيصها ، إذ يمكن لها أنْ تختْصر مشهــدًا فيه من التفاصيل والأحداث ، وتختزله في بنية أو كلمة واحــدة ، وبِنية المضارع أحد هذه البِنى التي تختزل مشاهد الحركة والانتقال في بنية واحــدة ، تتلاءم بشكل متناسق مع السِّياق الذي ترد فيه .

يُعَرَّف الفعل المضارع بأنَّه : الحدث المقترن بأحد الزَّمانين الحال ، أو الاستقبال[١] ، ويَحْمِل المضارع في سياقه الاعتيادي العديد من الدلالات ، من مثل[٢] : دلالته علـــى الحال والاستقبال ، ودلالته على الحقيقة من حيث هي غير مقيَّدة بزمن ، والاســـتمرار التجدُّدِي ، ومقاربة حصول الفعل وغيرها من الدلالات لـــيس هـــذا محـــلَّ بســـطها ، والحديث هنا عن الدلالة التي تنشأ من تغيُّر بنية الفعل من المضارع إلى الماضي .

إنَّ الفرق بين هذه الصورة والصورة التي ناقشها المبحث الأول من هـــذا الفصـــل يوضِّحها لنا ضياء الدين ابن الأثير ت(٦٣٧هـ) بقوله : " الفعل الماضي يُخْبَر به عــن المضارع ؛ إذا كان المضارع من الأشياء الهائلة التي لم توجد ، والأمور المتعاظمـــة التي لم تحدث ، فيجعل عند ذلك مِمَّا قد كان ووجد ووقع الفراغ من كونه وحدوثـــه . وأمَّا الفعل المضارع إذا أُخْبِر به عن الماضي ؛ فإنَّ الغرض بذلك تبيين هيئة الفعـــل واستحضار صورته ، ليكون السَّامع كأنَّه يشاهدها ويعاينها "[٣] .

ويرى الباحث أنَّ السياق هو الذي يحدِّد هذه الدلالات للفعل ، فما قد يرد دلالةً لقراءة الماضي يمكن أن يكون دلالةً لقراءة المضارع ، والعكس بالعكس إنِ اقتضاه السياق .

وسيناقش البـــاحث هذه الدلالات في ضوء النَّماذج التي تمَّ اســـتقراؤها فـــي هـــذه الصورة ، فقد بلغت في مجموعها : (**تسعة عشر**) أُنْموذجًا[٤] ، تطرَّق البـــاحث لـــ :

---

(١) يُنظَر : الأزهري : شرح التصريح ،٣٨/١

(٢) يُنظَر : السامرائي ، فاضل: معاني النحو ٢٨٠/٣-٢٨٩

(٣) ابن الأثير : الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور،١٠٤

(٤) يُنظَر : ملاحق الرسالة

(**أربعة**) نماذج منها بالدراسة والتحليل وبيان الأثر الدلالي للتغير الحاصل في بنية الفعل على المعنى ، ومن ذلك :

١. ﴿ يُصَوِّرُكُمْ ﴾ :

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي **يُصَوِّرُكُمْ** فِي ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ آل عمران: ٥-٦

❖ مذاهب القُرّاء :

- قرأ العشرة (**يُصَوِّرُكُم**) بالمضارع .
- وقرأ طاووس (**تَصَوَّرَكم**) بالتاء وفتح الواو ، فعلٌ ماض[١]، وهي شاذَّة .

❖ معاني القراءاتين وتوجيهِهما :

(**يُصَوِّرُكُم**) بلفظ الحال ، مناسبة للأفعال المضارعة الواردة قبله وبعده من مثل : (**يخفى**) ، (**يشاء**) ، أمَّا القراءة بالماضي (**تَصَوَّركم**) فللعلماء فيها توجيهان[٢] :

– (**تَصَوَّركم**) : أي صوَّركم لنفسه ولتعبُّدِه ، كقولك أَثَّلتُ مالاً ؛ إذا جعلته أُثْلة ، أي : أصلاً ، وتأثَّلته ، إذا أثَّلته لنفسك . وهذا باعتبار إتيان (**تفعَّل**) بمعنى (**فَعَّل**) نحو : تولَّى بمعنى ولَّى ، ومعنى صوّركم : أي جعل لكم صورة .

– (**تَصَوَّركم**) : علَّمَكُم صورًا ، كقولك : صوَّرت هذا الأمر ، أي علَّمتُ صورته .

وقد لاءم القراءتين الأوجهُ التي تعرب بها (**كيف**) في الآية ، أظهرها[٣] : (**كيف**) للجزاء ، ولا يجزم بها ، وجوابها محذوفٌ لدلالة ما قبلها ، والتقدير : كيف يشاء

---

(١) يُنظَر : ابن خالويه : القراءات الشاذة ٣٩، العكبري : إعراب القراءات الشواذ ٣٠٢/١،
(٢) يُنظَر : الزمخشري : الكشاف ٣٦٤/١، السمين : الدر المصون ٢٣/٣، أبو حيان : البحر المحيط ٣٩٥/٢، أبو عريش ، أحمد : أثر القراءات الشاذة في الدراسات النحوية والصرفية ٥٥٤،
(٣) يُنظَر : العكبري : إملاء ما منَّ به الرحمن ١٣٠، السمين : الدر المصون ٢٤/٣،

تصويركم يصوِّركم ، وهذا الوجه مناسبٌ للقراءة بالمضارع . و(**كيف**) منصوب على الحال بالفعل بعده ، والمعنى : على أيِّ حالٍ شاء أن يصوِّركم صوَّركم ، وهذا الوجه مناسب للقراءة بالماضي .

❖ أثر القراءتين على المعنى :

إنَّ وقوع البنى المتغايرة للفعل في مستوى تركيبي واحد لا يعني بالضرورة تفْرِيغُها من الزَّمن ، وإنَّما الأثر كلُّه في تفقُّد روابط الكلام وأحواله وصيغه ، واستخراج مكنونات تعبيراته ، ولطائف إشاراته من السياق الذي يرد به .

وفي إيراد الفعل بهذه الصورة من التغيُّر من المضارع إلى الماضي دلالات ، وإنْ كانت القراءة شاذة ؛ إلا أنَّه يُسْتَأْنس بها في بيان المعنى وتوضيحه .

وفي ضوء السياق تُفْهم صورة هذا التغيُّر ، فالقراءة بالمضارع : (**يُصَوِّرُكم**) الذي يحمل في دلالته التجدُّد والحصول تناسب مراحل تخليق النُّطفة في الرَّحم ، كما في حديث ابن مسعود ﷺ **قال : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ، قَالَ : " إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ : اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ "**[1] ومراحل تخليق النُّطفة في الرَّحم توحي بالحركة في الحدث المناسبة تمامًا للتعبير بالمضارع ؛ إذ هي قائمة على الانتقال من طور إلى طور في حركة منظَّمة أبدعها المولى تعالى ،

---

(١) أخرجه البخاري : كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قوله تعالى : " وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده " ، حديث(٢٩٨٨)

وهذا ما عبَّرت عنه القراءة (**يُصَوِّرُكم**) ، قال أبو حيان ت(٧٤٥هـ) : " (**يُصَوِّركم**) على حسب ما يظهر لنا ، حالاً فحالاً "[١] .

أمَّا القراءة بالماضي فإنَّما جاءت على نسبة التَّقدير ، وأنَّ أفعاله تعالى – التي منها تصوير الخلق في أرحام أمَّهاتهم – في حُكْمِ ما قد فُرِغ منه[٢] ، وهذه الدلالة مناسبة لمقام عظمته تبارك وتعالى وألوهيَّته ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ﴾ لقمان: ٣٤ ، وخَلْقُ العباد ممَّا اختصَّ الله تعالى به وبعلمه فلا ينازعه فيه أحدٌ ، كما قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ ، وهذا ما أفادته القراءة بالماضي الذي " يعطي من المعنى أنَّه قد كان وَوُجِد ، وإنَّما يُفْعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها "[٣] ، وفِعْلُ : (**الخَلْق**) من هذا الباب ، إلا أنَّه في حقِّ الله تعالى ممَّا استقرَّ تحقُّقه ، وفُرِغَ منه ، قال تعالى : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ لقمان: ٢٨.

ومؤدَّى القراءتين بيان عظمة الله تعالى ، وإيراد الشواهد الدَّالة على هذه العظمة ، وأبرز شاهدٍ تمَّ إيراده فِعْلُ (**الخَلْق**) الذي اختصَّ المولى تبارك وتعالى به وبعلمه فقال : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ الزمر: ٦٢ ، ثمَّ أورد دلالة جزئية تشير إلى هذا الفعل ، وهي : (**التصوير**) ، ولا تناقض بين القراءتين إذ " لا اعتبار بالأزمنة في أفعاله تعالى "[٤] ، فهو ﴿ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ الحديد: ٣

ويرى الباحث أنَّ النَّظرَ إلى القراءة إنْ كان باعتبار الفعل مجردًا دون النَّظر إلى أعيان مَنْ يقع عليهم الفعل ؛ فإنَّ التصوير بالفعل الماضي مِمَّا قد فَرَغ الله تبارك وتعالى منه ، وتحقَّق وقوعه بدليل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

(١) أبو حيان : البحر المحيط ،٣٩٥/٢
(٢) يُنظَر : السيوطي ، قطف الأزهار ،٥٥٨/١
(٣) ابن الأثير : المثل السائر ،١٨٥/٢
(٤) يُنظَر : أبو حيان : البحر المحيط ،٣٩٥/٢

وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾ الأعراف: ١٧٢ . وإنْ كان النَّظرُ إلى أعيان من يقع عليهم الفعل ؛ فإنَّ القراءة بالمضارع ناسبت مشهد الحركة المتجدِّدة المتمثِّل في خلق الله تعالى لعباده ، وتصويره لهم في بطون أمَّهاتهم يومًا بعد يومٍ ، وزمنًا بعد زمنٍ إلى أن يرث الأرض ومن عليها كما قال تعالى : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾ الزمر: ٦ ، وقد جاء سياق الآيات من مطلعها إلى خاتمتها يؤكِّد هذه الدلالة ، فقد صُدِّرت الآيات بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ آل عمران: ٥ ، و(**شَيْءٌ**) نكرةٌ في سياق النَّفي فتعمُّ ، وهي دالَّةٌ على كمال العلم بالكليات والجزئيات[١] ، وهذا من كمال قيُّوميَّتِه وتمام عظمته تعالى ، لا يغيب عن نظره غائبٌ ، ولا يَعْزُب عن عِلْمِه عَازِب . ثم يستمرُّ السياق في التأكيد على هذه الدلالة بقوله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ آل عمران: ٦ ، (**يصوِّركم**) بلفظ الحال ؟ أم بالمضيّ ؟ على ما سبق بيانه . وتفرُّدُه بالمشيئة دليل هذه العظمة وبرهانها .

ثم يُختم سياق الآيات بإخلاص العبودية له : (**لا إله إلا هو**) ، ووَصَف تعالى نفسَه بوصفين لخَّصا مظاهر هذه العظمة هما : (**العزيز الحكيم**) ، قال الطُّوفي : " الختم بالعزيز الحكيم مناسبٌ لأول الآية ، لأنَّ التصوير في الأرحام أمرٌ عظيمٌ لطيفٌ دقيقٌ ، يحتاج لِعِظَمِهِ إلى عزَّةٍ وقدرةٍ ، ولِلُطْفِه ودِقَّتِه إلى حكمة "[٢] .

وهكذا تناسقت القراءتان في نظام بديع في رسم لوحة فنية من مظاهر عظمة الرَّب تعالى ، وجاء سياق الآيات قبلُ وبعدُ متناغمًا مع هذه الدلالة ، مؤكِّدًا عليها .

(١) يُنظَر : أبو حيان : البحر المحيط ، ٣٩٥/٢
(٢) نقلا عن : السيوطي : قطف الأزهار، ٥٥٩/١

٢.﴿ وَيَقۡتُلُونَ ﴾ :

في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ **وَيَقۡتُلُونَ** ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ آل عمران: ٢١

❖ مذاهب القرّاء :

الخلاف في الفعل : (**يقتلون**) الموضع الثاني ، وفيه قراءتان متواترة ، وثالثة شاذة[١] :

- قرأ العشرة عدا حمزة : (**يَقْتُلُون**) بفتح الياء ، وإسكان القاف ، وحذف الألف ، وضم التاء .
- وقرأ حمزة : (**يُقَاتِلون**) بضم الياء ، وألف بعد القاف ، وكسر التاء .
- وقرأ عبد الله بن مسعود ﷺ ، والأعمش : (**قَاتَلُوا**) بالماضي ، وهي قراءة شاذَّة ، مخالفةٌ لرسم المصحف ، يرى بعضهم أنَّ الأَولى حَمْلُهَا على التفسير[٢].

❖ معاني القراءات وتوجيهها :

تُوَجَّه قراءة الجمهور (**يَقْتُلُون**) بغير ألف على معنى : القتل ، أمَّا قراءة حمزة (**يُقَاتِلون**) فبمعنى : القتال وكلاهما مضارعٌ ، أمَّا قراءة ابن مسعود ﷺ والأعمش (**قَاتَلُوا**) فماضي (**يُقَاتِلون**) ويحمل دلالته ، إلا أنَّه في الماضي[٣] .

---

(١) يُنظر: الطبري : جامع البيان ٢٨٩/٥، الداني : التيسير،٢٤٩ ، أبو حيان : البحر المحيط ،٤٣٠/٢ ، ابن الجزري : النشر،٥٣٨ ، السفاقسي : غيث النفع ،١٣٧
(٢) يُنظر: عبد الجوَّاد ، سمير : التخريجات النحوية والصرفية لقراءة الأعمش ،٣٦٣
(٣) يُنظر الطبري : جامع البيان ،٢٨٩/٥ ، السمين : الدر المصون ،٩٤/٣

❖ أثر القراءات على المعنى :

تتحدث الآيـات عن الصفات التي اتَّسم بها اليهود ، قال الطبـري ت(٣١٠هـ) : " هؤلاء أهل الكتاب كان أتباع الأنبياء ينهونهم ويذكِّرونهم ؛ فيقتلونهم "(١) ، وهذه الصفات ضمن قائمة طويلة من المعاني الرَّذيلة التي وُسِمُوا بها ، وقد وصفتهم هـذه الآيـات بثلاث خصالٍ : الأولى : كفرهم بآيات الله تعالى ، والثانية : قتلهم الأنبياء بغير حـقٍّ ، والثالثة : قتلهم من يأمر بالعدل ، يقول أبو حيان ت(٧٤٥هـ) : " فهذه ثلاثة أوصـاف بُدِئَ فيها بالأعظم فالأعظم ، وبما هو سببٌ للآخر ، فأوَّلها : الكفر بالله ، وهو أقـوى الأسباب في عدم المبالاة بما يقع من الأفعال القبيحة ، وثانيها : قتل من أظهر آيات الله واستدلَّ بها ، والثالث : قتل أتباعهم ممَّن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر "(٢) .

والحديث هنـا عن صـورة التغيُّر الحـاصلة في بنيـة الفعـل مـن المضـارع : (**يَقْتُلُون**) و(**يُقَاتِلون**) إلى الماضي (**قَاتَلُوا**) ، لننْظُر هل يؤثِّر التغيُّر الزَّمني لتلك الأفعال في هذه القراءات على الدلالة ؟ وهل قدَّمت هذه الصورة من التغيُّر ثراءً للمعنى القرآني ؟ أم أنَّها لم تعدُ أنْ تكون مجرَّد اختلاف جرَتْ به القراءات القرآنية .

إنَّ بنية المضارع أكثر انفتاحًا على خصيصة التغيُّر والتحوُّل من بنية الماضي الذي ينفتح على دلالة التحقُّق والثَّبات ، وإنْ كان بصورة أقلّ من الاسم المجرَّد من الدلالـة على الزَّمن . وفي بنية الفعل (**يَقْتُلُون**) و (**يُقَـاتِلون**) تَتَجَسَّد هذه الدلالة . فالقتل : " إزالة الروح عن الجسد "(٣) ، والمقاتلة : " المحاربة ، وتحرِّي القتل "(٤) ، وكلاهما سمةٌ ملازمةٌ لأهل الكتاب متجذِّرةٌ فيهم ، قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ البقرة: ٦١ ، وقال تعـالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ آل عمران: ١١٢، وقال تعالى : ﴿ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ

(١) الطبري : جامع البيان ،٥/٢٩٠
(٢) أبو حيان : البحر المحيط ،٢/٤٢٩
(٣) الأصفهاني ، الراغب : مفردات ألفاظ القرآن ،٦٥٥
(٤) المرجع السابق ،٦٥٦

رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ آل عمران: ١٨٣ ، وغيرها من الآيات كثير ، وفي الحديث : عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ ﷺ قال رسول الله ﷺ : " **يَا أَبَا عُبَيْدَةَ قَتَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلاثَةً وَأَرْبَعِينَ نَبِيًّا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَامَ مِائَةُ رَجُلٍ وَاثْنَا عَشَرَ رَجُلا مِنْ عُبَّادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ فَقُتِلُوا جَمِيعًا من آخر النهار في ذلك اليوم ، وهم الذين ذكر الله عز وجل** "(١) ، وهذه الأعداد الكثيرة من القتلى في هذا الحديث تدلُّ على تجذُّر هذه الصفة فيهم ، وأنَّها سمةٌ معهودةٌ عنهم مع أنبياء الله تعالى تمامًا كما حملته القراءة بالمضارع .

ويجدر التنبيه عند الحديث عن دلالة هذه القراءة ربطها بما قبلها من سياق الآيات ، فقد عُطِفَ الفعل على قوله تعالى : ﴿ **يَكْفُرُونَ** بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ٢١ وعلى قوله تعالى : ﴿ **وَيَقْتُلُونَ** ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ آل عمران: ٢١ ، وفي تكرير الفعل (**يقتلون**) في الموضعين دلالاتٌ ، منها :

- إمَّا أن يكون العطف من باب عطف الجمل ؛ لغرض إبراز كلِّ جملة في صورة التشنيع والتفظيع .
- أو لاختلاف ترتيب العذاب بالنسبة لمَنْ وقع به الفعل ، فَقَتْلُ الأنبياء أعظم مِنْ قَتْلِ مَنْ يأمر بالمعروف مِنْ غير الأنبياء ، فجَعَلَ الفعل بسبب اختلاف مرتبته كأنَّهما فعلان مختلفان .
- أو أنْ يراد بالقتل الأول : تفويت الروح ، وبالآخر : الإهانة ، فيكون معنيا الفعلين مختلفين (٢).

---

(١) أخرجه البزّار في مسنده ، مسند أبي عبيدة ، حديث ١١٧٠) ، وأورده الطبري : جامع البيان ،٢٩١/٥
(٢) يُنظَر : أبو حيان : البحر المحيط ،٤٣٠/٢ ، السمين : الدر المصون ،٩٤/٣

أمَّا القراءة بالماضي (**قَاتَلُوا**) فيوردها السَّمين ت(٧٥٦هـ) شاهدًا على قراءة حمزة (**يُقَاتِلون**) بمعنى : المقاتلة ، واحتَمَل أن يكون المضارع (**يُقَاتِلون**) في هذه القراءة لحكاية الحال ، ومعناه المضيُّ[1].

وصفة القتل سمة لآبائهم من قبل وإن كان المخاطب في الآية أهل الكتاب في عصر النبي ﷺ ، فالقراءة بالماضي تذهب بنا إلى صورة ما كانوا عليه من قتلٍ ، وسفكٍ للدماء قديمًا . أمَّا إسناد فعل القتل إليهم في الآيات مع أنَّه لم يَصْدُر منهم وإنَّما صدر من آبائهم فربَّما أنَّ هذه الطريقة لمَّا كانت طريقة أسلافهم وآبائهم ؛ صحَّت إضافتها إليهم ؛ إذ صنع الأب قد يضاف إلى الابن لاسيَّما إنْ كان راضيًا به ، متولِّيًا له ، وهم قد عُلِم منهم الرِّضا عن أفعال آبائهم وأسلافهم بل وتولِّيهم لها ، ومحاكاتها في أحايين كثيرة والنَّسج على منوالها ، أو لأنَّ من شأنهم القتل ، وعدم التورُّع عنه إن لم يوجد مانعٌ ، والتقييد (**بغير حقٍّ**) يُظهِر هذا المعنى .

لقد صوَّرت القراءتان معالم شخصية أهل الكتاب في تعاملاتهم مع أنبيائهم وأهل الفضل فيهم ، فنيَّةُ الغدر والخيانة مبيَّتةٌ في قلوبهم ، وهذا واضحٌ في سندهم المتَّصل بأسلافهم من الآباء والأجداد ، ذلك السَّند المليء بالخيانات وجرائم القتل .

وقد خُتِمَت الآيات بقوله تعالى : ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ آل عمران: ٢٢ ، إشارة إلى أنَّ هذا العقاب مناسب لحالتهم التي هم عليها سواء استمروا في القتل والنِّكاية بهؤلاء الصنف من المصلِحين ، واستمرؤوا ذلك على نحو ما حملته قراءة المضارع : (**يَقْتُلُون**) و(**يُقَاتِلون**) ، أم وافقوا أسلافهم وآباءهم في صنيعهم ، ووَالَوْهُم على ذلك الفعل الشَّنيع ، وتابعوهم عليه على نحو ما حملته قراءة الماضي (**قَاتَلُوا**) ، بأيِّ الحالين كانوا وعلى أيِّ الطرفين هم ؛ فـ (**مالهم من ناصرين**) ، ذلك أنَّهم ما استَقْوَوْا

(١) يُنظر : السمين : الدر المصون ، ٩٤/٣

على أولئك النَّفر قديمًا وحديثًا إلا لعدم وجود من ينصرهم ويدفع عـــنهم ، فناســـبهم أن يصْطَلُوا بنفس النَّار التي كَوَوْا بها غيرهم .

وهكذا تنوعت القراءات في تناسق عجيب في بيان الحالة التي اتَّسم بها أهل الكتـــاب حيث ألقت كلٌّ قراءة الضوءَ على جزءٍ من تاريخ هذه الشعوب ، ورسمت ملامح حقبة من أحقاب سِنِيِّهِم وتاريخهم ، فهم امتدادٌ لمن قبلهم ، كما أنَّ من قـــبلهم ســـلفٌ لهـــم : ﴿بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٍ﴾ التوبة: ٦٧ ، ليكون مؤدَّى القراءات لا تعارض بينها ، المعنـــى فيها : إرذالٌ لمن انتصب لعداوة رسول ﷺ ؛ إذ هم سالكـــون في ذلك طريقة آبائهم[١].

(١) يُنظَر : أبو حيان البحر المحيط ،٢/٤٣٠

□**٣**.﴿ وَنَمْنَعْكُم ﴾:

قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ **وَنَمْنَعْكُم** مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ النساء: ١٤١

❖ مذاهب القرّاء :

- قرأ العشرة (**نَمْنَعْكُمْ**) بالجزم عطفًا على ما قبله (**نستحوذْ**) .
- وقرأ أبيٌّ بن كعب ﷺ (**وَمَنَعْنَاكُمْ**) فعلاً ماضيًا ، وهي شاذّة لمخالفتها رسم المصحف[١] .

❖ معاني القراءتين وتوجيههما :

قراءة العشرة بالجزم واضحة في أنَّ عطف الفعل (**نَمْـنَعْكُمْ**) على ما قبله من أفعال جزمت بـ(ألم) .

أما القراءة بالماضي ففيها حملٌ على معنى ما قبله ، فإنَّ معنى (**ألم نستحوذ**) : إنَّا قد استحوذنا[٢] ، وأجاز الفرَّاء ت(٢٠٧هـ) أن تكون جملة ما بعد الواو في (**ومنعناكم**) على هذه القراءة في تأويل جملة معطوفة أو حالية ، يقول : " فإنْ شئتَ جعلت : (**ومنعناكم**) في تأويل (وقد كنا منعناكم) ، وإن شئت جعلته مردودًا على تأويل : (**ألم**) كأنَّه قال : أمَا استحوذنا عليكم ، ومنعناكم "[٣].

---

(١) يُنظَر : السمين : الدر المصون ، ١٢٤/٤ ،
(٢) يُنظَر : الفراء : معاني القرآن ، ٢٩٢/١ ،
(٣) المرجع السابق ، ٢٩٢/١ ، ويُنظَر : النحاس : إعراب القرآن ، ٢١١ ،

❖ أثر القراءتين على المعنى :

ذكر ابن الجوزي ت(٥٩٢هـ) أنَّ هذه الآية نزلت في المنافقين خاصَّة قال : مقاتل : كان المنافقون يتربَّصون بالمؤمنين الدوائر فإن كان الفتح قالوا : ألم نكن معكم ؟ فأعطونا من الغنيمة ، وإن كان للكافرين نصيب أي : دَوْلَةٌ على المؤمنين قالوا للكفار : ألم نستحوذ عليكم[١] . أي " ألم نغلب على أموركم ، ونستولِ على مودتكم "[٢] والاستحواذ : " التغلُّب على الشيء ، والاستيلاء عليه "[٣] .

وفي هذا الخطاب المتأرجِح لمثل هذا الصنف من الناس ، الذين هم تارةً مع المؤمنين وتارةً مع الكفار دليلٌ جليٌّ على دورانهم مع مصلحتهم ، وعدم اتزانهم وثباتهم على موقفٍ واحد ، كما قال تعالى : ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ النساء: ١٤٣ ، هذا التذبذب والتأرجح في المبادئ والقِيَم صوَّرته القراءتان صورةً واضحةً جليَّةً بوضوح موقفهم ، فخطابهم للمؤمنين ببنية المضارع (**نَكُنْ مَعَكُم**) دليلٌ واضح على تمكُّن الرُّعب من قلوبهم ، وإقرارهم بالغلبة للمؤمنين وإنْ تأخَّر وقت هذا الإقرار ، لذا آثروا أن يدوروا مع مصلحتهم حيث دارت ، ولِيَضْمَنُوا استعطاف المؤمنين واستدْرَارَ محبَّتهم عبَّروا عن ذلك بالمضارع مجدِّدين هذا الروغان ، مستمرِّين في مسك العصا من الوسط ، كلَّما بدا فتحٌ ظهر الخطاب (**أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُم**) ، وإن وُزِّعت الغنائم تردَّد الصوت : (**أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُم**) ، وهكذا لا شيء يجمعهم ويفرِّقهم سوى المصلحة والأغراض الدنيوية .

ولمَّا كانت الدَوْلَةُ للكفار على المسلمين وهم يعلمون أنَّها حالة استثنائية يمرُّ بها المسلمون ؛ فإنَّهم صاغوا خطابهم وفق المصلحة ، فجاء الخطاب تارةً بالمضارع : (**نَمْنَعْكُم**) ، وتارةً بالماضي : (**مَنَعْنَاكُمْ**) .

(١) يُنظَر : ابن الجوزي : زاد المسير،٢/٢٢٩

(٢) السمين : الدر المصون ،٤/١٢٤

(٣) الجوهري : الصِّحاح ، (مادة حوذ) ،٢٧٢

- (**نَمْنَعْكُم**) : مجدِّدين الولاء ومبرمين العزم على نصرة الكفار طالما كانت الدولة لهم ، " والمضارع في هذه الحالة يدلُّ على استحضار الصورة ؛ لأنَّ صيغته تحمل الحدث من قلب الزَّمان الغابر لتصنعه أمام الحاضر الرَّاهن في جلاء ووضوح "(١) ، لذا تراهم يؤثِرون المضارع عند ذكر الحدث الأهمِّ ، والأهمُّ لهم في هذا الموقف ألا يُنْسَوا في مصالحهم ورغباتهم ، وهذا المعنى يناسب بجلاء الصورة التي عرضوها للكفار مذكِّرين لهم بمعاني (**نَمْنَعْكُم**) التي يعتبرونها سجلَّ إنجازات تشهد لهم أنَّهم السبب في هذا النصر ، وتشفع لهم في الحصول على منافعهم ومصالحهم ، وهذه المعاني أوردها ابن الجوزي ت(٥٩٢هـ) عند حديثه عن هذه الآية فقال : " وفي (**نَمْنَعْكُم**) أقوال : نمنعكم منهم بتخذيلهم عنكم ، وبما نُعْلِمُكُم من أخبارهم ، وبصرفنا إيَّاكم عن الدخول في الإيمان" (٢) ، وفي كل معنى من المعاني السابقة يَظْهَر مقدار اللجاجة والحرص على عَرَض الدنيا ، وتقديمهم الدليل تلو الدليل ، حرصًا على منافعهم .

- (**مَنَعْنَاكُمْ**) : يعود بهم الخطاب إلى الماضي ، وينقل لهم صورة قد عفا عليها الزمن ، يخشون أنْ تُنْسَى ، وما عليهم في تغيير صيغة خطابهم ما دام أنَّ هذا الخطاب يجلب مصالحهم ، ويحقِّق لهم منافعهم فقالوا : " ثبَّطناهم عنكم ، وخيَّلنا لهم ما ضعُفت به قلوبهم ، ومرضوا في قتالكم ، وتوانينا في مظاهرتهم عليكم ، فهاتوا نصيبًا لنا بما أصبتم "(٣) .

وهذا التغيُّر في بنية الفعل يؤكِّد ما أشار إليه الباحث من موقفهم المتأرجح ودورانهم مع المصلحة وجودًا وعدمًا ، فجاءت القراءتان تكشفان بجلاء أغراضهم من هذا التلوُّن ، ومردُّ المعنى في القراءتين إلى : " إظهار المنَّة منهم على الكفار ولسان حالهم : اعرفوا لنا هذا الحقَّ عليكم "(٤) . ولمَّا كانوا بهذا المستوى من الجشع والحرص على المتاع الدنيوي الزائل ولو بأساليب من النِّكاية والخداع ؛ أراد الله تبارك وتعالى أن يقلِّل

(١) أبو موسى ، محمد محمد : من أسرار التعبير القرآني ، ١٠١
(٢) ابن الجوزي : زاد المسير ، ٢/٢٢٩
(٣) الزمخشري : الكشاف ، ١/٦١٢
(٤) ابن الجوزي : زاد المسير ، ٢/٢٢٩

من شأن ما حصلوا عليه من غنائم فسمَّى ظفر المؤمنين (**فتحًا**) وظفـــر الكـــافرين (**نصيبًا**) ، ونسب (**الفَتْح**) إليه ، بينما لم ينسب (**النَّصيب**) إليه ، فقال في المؤمنين : ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ النساء: ١٤١، وقال في حـــق الكفـــار : ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ النساء: ١٤١، كل ذلك تحقيرًا لهم ولشأنهم وتخسيسًا لما حصلوا عليه ، وأنه ما هو إلا " حظٌّ دنيٌّ ، ولَمْظَةٌ من الدنيا يصيبونها "[١] .

---

(١) الزمخشري : الكشاف ، ٦١٢/١

٤.﴿ يُوقَدُ ﴾ :

في قولــه تعــالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ **يُوقَدُ** مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ النور: ٣٥

❖ مذاهب القراء :

- قرأ حمزة ، والكسائي ، وشعبة (**تُوْقَدُ**) بالتاء المضمومة ، وإسكان الواو ، وفتح القاف مخفَّفة وضم الدال ، مضارعُ (أوقد) مبني للمفعول .
- وقرأ نافع ، وابن عامر ، وحفص (**يُوقَدُ**) كالقراءة السابقة إلا أنَّها بياء مضمومة أوّل الفعل .
- وقرأ السُّلمي ، وابن محيصن ، وعاصم من طريق المفضّل (**تَوَقَّدُ**) بفتح التاء والواو والقاف مشدَّدة ، وضم الدال آخر الفعل ، مضارعُ (تَوَقَّدَ) .
- وقرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وأبو جعفر ، ويعقوب (**تَوَقَّدَ**) بفتح التاء والواو ، والقاف مشددة والدال ، فعلٌ ماضٍ[1] .

❖ معاني القراءات وتوجيهها :

الخلاف بين صور القراءات الآنفة الذكر هو في إسناد الفعل للفاعل ، وما يترتب على ذلك من تأنيث الفعل أو تذكيره .

- فالقراءة بالفعل (**تُوقَدُ**) بالتاء المضمومة ، وإسكان الواو ، وفتح القاف مخففة ، وضمِّ الدال : مضارعٌ لم يسمَّ فاعله ، وماضيه (أُوْقِدَ) ، وجعل الإيقاد للزجاجة ؛

(١) يُنظَر : الداني : التيسير،٣٨٣ ، ابن الجزري : النشر،٦٠٤ ، السفاقسي : غيث النفع،٤٢٣ ، العكبري : إعراب القراءات الشواذ ،١٨٤/٢ ، الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر ،٢٩٨/٢ ، ابن خالويه : القراءات الشاذة ١٥٤،

لأنَّه جاء في سياق وصفِها ، وقَرُب منها ، فَجُعِلَ الخبر عنها لقربها منه ، وبُعْـدِها من المصباح . والمعنى في الآية على هذه القراءة محمولٌ على مصباح الزُّجاجة ، فَحُذِفَ المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، وجاز أن يوصف الإيقاد بالزجاجـة ؛ لارتفاع اللبس عن وهم السامعين وعلمهم المراد من الكلام ، وهذا سائغ كثيرًا فـي كلام العرب إذ يسندون الأفعال إلى مالا فاعل له في الحقيقة ؛ إذا كان الفعل يقع فيه فيقولون : (ليلٌ نائم) ؛ لأنَّ النوم فيـه ، وكمـا قـال تعـالى : ﴿ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٍ ﴾ إبراهيم: ١٨ ، فالعصوف للرِّيح ، فجعله من صـفة اليوم لكونه فيه[١] .

- والفعل على قراءة (**يُوقَدُ**) : بضمِّ الياء ، وسكون الواو ، وفتح القاف مخففة ، وضم الدال ، مضارعٌ لم يسمَّ فاعله ، مسندٌ إلى المصباح والمعنى : " أنَّ هـذا المصباح يوقد من زيت شجرة . فحذف المضاف "[٢] ، وقد جعلـه بعضـهم[٣] مسندًا إلى الكوكب كونه يوصف كثيرًا بالتوقُّد المشابه لتوقُّـد النيـران ، ورُدَّ عليه[٤] بأنَّ في ذلك فسادًا للمعنى .
- والفعل على قراءة (**تَوَقَّدُ**) بفتح التاء ، والواو ، والقاف مشددة ، وضم الـدال مضارعٌ حذفت منه التاء ، والمعنى : (**تتوقد**) ، ويحمل الكـلام فيـه علـى الزجاجة.
- و الفعل على قراءة (**تَوَقَّدَ**) بفتح التاء ، والواو ، والقاف المشددة ، والـدال ، ماضٍ مضارعه (**يَتَوَقَّدُ**) ، يعود للمصباح ؛ لإنَّه هو الذي يتوقَّد ، ويرى مكي بن أبي طالب ت(٤٣٧هـ) أنَّ المعنى للمصباح لكن لمَّا التبِس المصباح بالزجاجة

(١) يُنظَر : أبو زرعة : حجة القراءات ، ٥٠٠
(٢) ابن أبي مريم : الموضح في وجوه القراءات ، ٥٦١-٥٦٢
(٣) يُنظَر : أبو زرعة : حجة القراءات ، ٥٠٠
(٤) يُنظَر : السمين : الدر المصون ، ٤٠٧/٨

؛ حُمِل التأنيث على الزُّجاجة ، وجعل الفعل ماضـيًا[١] ، ويكـون المعنـى : " المصباح في زجاجة ، توقَّدَ المصباحُ "[٢]

❖ أثر القراءات على المعنى:

سيناقش الباحث صورة التغيُّر في بنية الفعل بين القراءتين (**يُوقَدُ**) بالمضارع إلـى الماضي (**تَوَقَّدَ**) ، والكلام في بقية القراءات تبَعٌ في الغالب لهاتين القراءتين .

في هذه الآية مثلٌ ضربه الله تعالى لبيان نوره على قلوب عباده ، وللعلماء في وجـه هذا المثل أقوالٌ ثلاثة[٣] :

– الأول : شُبِّه نورُ محمد ﷺ بالمصباح النيِّر ، فالمشكاةُ : جوف رسـول الله ﷺ ، والمصباح : النور الذي في قلبه ، والزجاجة : قلبه ﷺ .

– الثاني : شُبِّه نور الإيمان في قلب المؤمن بالمصباح ، فالمشكاة : صدر المؤمن ، والمصباح : نور الإيمان فيه ، والزجاجة : قلبه .

– الثالث : شُبِّه القرآن بالمصباح ، والزجاجة : قلب المؤمن ، والمشـكاة : لسـانه وفمه.

ويرى الباحث أنَّ توجيه المثل بأنَّ المشكاة جوف رسول الله ﷺ ، والمصباح : النور الذي في قلبه ، والزجاجة : قلبه ﷺ بعيدٌ لعدم دلالة السياق عليه ، وأمَّا بقية المعاني فلا تعارض بينها – والله أعلم – ، فهي لا تعدو أن تكون من بـاب اختلاف التنـوع على نحو ما فُسِّر به الصراط المستقيم[٤] في قوله تعـالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾

(١) يُنظَر: مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات السبع ،١٣٨/٢
(٢) الزَّجَّاج : معاني القرآن وإعرابه ،٤٤/٤ ، ويُنظَر : المجاشعي ، علي بن فضال: النكت في القرآن ،٤٤٠
(٣) يُنظَر: ابن الجوزي : زاد المسير ٤٤/٦
(٤) يُنظَر : المرجع السابق ،١٥/١

الفاتحة: ٦ . و يميل الباحث إلى توجيه المثل بالإيمان ؛ فمن تأمَّل سياق الآيـــات قبـــل إيراد هذا المثل وجد استفاضة في ذكر الإيمان ومفرداته كما في الآيات :

- ﴿ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ النور: ٣
- ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾ النور: ١٢
- ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ النور: ١٧
- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور: ١٩ .

ويستمر سرد هذه القضية في سياق الآيات إلى أن نصل لقوله تعالى : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ النور: ٣١ ، فتوجيه المثل إلـــى الإيمـــان مناسبٌ للسياق .

- في قراءة المضارع (**يُوقَدُ**) إفادةُ تجدُّدِ إيقاد هذا الإيمان واتِّقاده في قلب المؤمن فلا يذوى ولا يُطْفَأ[(١)] . لقد بُنِيَت الآية في مُجْمَلها على معنيين : الثَّبات ، والتجدُّد . **فـــ (الثباتُ)** مأخوذٌ من تـــوارد الأسمـــاء في هذه الآيـــة الكريمة مثل : (**اللهُ نُور**) ، (**المِصْبَاح**) ، (**الزُّجَاجَة**) هذا الثبات في مقام الحديث عن نور الله تعالى الذي نوَّر السماوات والأرض بجلاله وبهائه ، ومنه نور الإيمان ، الذي يحتاج في حقيقته إلى ثبات ومداومة وملازمة عليه ، كحال ما بُنِيَت عليه الآية في شقِّها الأول . وفي المقابل أُخِذَ معنى **التجدُّد** من توارد مجموعـــة من الأفعـــال عُبِّر عنها بالمضـــارع نحو : (**يُوقَدُ**) ، (**يَكَادُ**) ، (**يُضِيءُ**) ، (**تَمْسَسْه**) ، (**يَهْدِي**) ، (**يَضْـــرِب**) ، وكأنَّ قضية الإيمان مِمَّا يحتاج فيها الإنسان إلى حركة دؤوب لتحصيله ثمَّ الثبـــات عليه ، فجاءت القراءة بالمضارع في هذه الآية موافقة لهذا الجو العام الذي رُسِمت فيه هذه اللوحة الفنية البديعة .

(١) يُنظر: ابن عاشور : التحرير والتنوير ، ٢٣٩/١٨

كما أنَّ القراءة بالمضارع تُوجِّه لفتةً تربوية لنا معاشر المسلمين من خلال توجيه الله تعالى لنا بالحفاظ على هذا الإيمان ، والترقِّي في درجاته ، وبنية الفعل (**يُوْقَدُ**) أوحت بهذه الدلالة ، فكما لا يخفى ما في الإيقاد من بعث الهمة ، فالإيقاد : " وضع الوقـــود ، وهو : ما يُزاد في النَّار المشتعلة ليقوى لهبها "[١] ، " وتوقَّد الشيء : تلألأ "[٢] فكـــذلك الإيمان يحتاج إلى هذا الوقود ليستمرّ ويتجدَّد ، ومن ثَمَّ تتلألأ النفس متَّقِـــدةً بنشـــاطه ، مفْعَمةً بحيويّته .

- أما القراءة بالماضي (**تَوَقَّدَ**) فقد أفادت أنَّ : " وقود الإيمان قد ثبت وتحقَّـــق "[٣] . ولا شكَّ أنَّ هذه المرحلة جاءت بعد عناء وجهد كبيرين من الحركة والحرص على الترقِّي في درجات الإيمان ومنازله ، وهذا ما فُهِم مـــن الدلالـــة الســـابقة لقـــراءة المضارع (**يُوقدُ**) ، ولمَّا أنْ حصلت المجاهدة ، واستلذَّ الإنسانُ الطاعـــةَ ، وذاق حلاوتها وصار الإيمان وصفًا لازمًا له ؛ جاء التعبير بالماضي (**تَوَقَّد**) المـــلازم للإنسان في جميع أحواله ، وبه صار علمًا ً يهتدي به الناس إلى هذا الطريق طريق الإيمان . وفي تشديد الماضي (**تَوَقَّد**) أبرز الدلالة على هذه الهدايـــة ، فبزيـــادة إيمانه ازداد تألقًا واشتعالاً ، وهذا كفيل بأن يجعله علمًا يقتدي به النَّاس ، " وهـــذا حال قلب المؤمن المنار بالإيمان من الله تعالى ، فهو إيمانٌ قويٌّ ، تأثيره كبيرٌ على المؤمنين وأفعالهم "[٤] ، يقول القاسمي ت(١٣٣٢هـــ) : " فإنَّ النور ظـــاهرٌ بذاتـــه ، مظهرٌ لغيره "[٥] .

لقد صوَّرت القراءتان حالتين مختلفتين في الشَّكل ، متكاملتين في المضـــمون يـــراد للمؤمن أن يكون عليهما ، يراد منه أن يكون حريصًا على تعاهد إيمانه ، والاســـتقامة عليه ، والتَّرقيِّ في درجاته ، كما قال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ النساء: ١٣٦

---

(١) ابن عاشور : التحرير والتنوير ،٢٣٩/١٨
(٢) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (وقد) ،٤٨٨٨
(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير،٢٣٩/١٨
(٤) جاد الله ، هدى: تفسير القرآن بالقراءات العشر(النور- النمل) ،٥٢
(٥) القاسمي : محاسن التأويل ،٤٥٢٤/١٢

، **وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ** "[(١)] . وهذه الحالة صوَّرتها قراءة المضارع (**يُوقَدُ**) ، كما أنَّ القراءة بالماضي صوَّرت حالةً أخرى يراد من الإنسان تحقيقها هي: الثبات على الإيمان ، وعدم انحطاطه عن الحد المرخَّص له فيه ، كما قال تعالى : ﴿ فَٱثۡبُتُواْ ﴾ الأنفال: ٤٥ ، " فهداية الله قد بلغت في الظهور والجلاء إلى أقصى الغايات ، وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي يكون فيه زجاجة صافية ، وفي الزجاجة مصباح يتَّقِد بزيت بلغ النهاية بالصفاء "[(٢)] . وهذه الهداية تستلزم منه أن يثبت عليها ، ويتحقَّق من وجودها في حياته العملية تمامًا كما حقَّقتها دلالة القراءة بالماضي (**تَوَقَّد**) .

وبذا يتضح للقارئ الكريم بعد دراسة هذه الصورة أنَّه من غير المقبول أن نُعِدَّها صورة عاديَّةً مفرغة من الإيحاءات والمعاني ، أو أن نتكئ من خلالها على القول بالتنويع في الأساليب ، التي تحدث في نفس الناقد والباحث تناقضًا مردُّه إلى أنَّ القرآن الكريم نصٌّ إعجازيٌّ بديعٌ في أسلوبه ، معجز في بلاغته ، والقول بالتنويع في الأساليب يشعر بأنَّ عوامل الإضجار والرتابة قد حفت به وما جاء التنويع إلا ليكسر الرتابة ويذهب السآمة . وهذا ادِّعاءٌ خطير في حق كلام الله تعالى ، فإذا كان التغيُّر عن بِنية إلى بِنية أخرى في الكلام العادي لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك كما يقول ضياء الدين بن الأثير ت(٦٣٧هـ)[(٣)] ، فكيف الحال مع أرقى لغة في الخطاب ، وأسْلَم نصٍّ من النقص ، وعليه فمن جملة ما أحدثته هذه الصورة من دلالات أنَّها أظهرت الرَّغبة في حصول الفعل ، وأنَّ المضارع لاحقٌ للماضي في التحقُّق والحصول . كما أفادت الاستمرار التجدُّدِي لاسيَّما إنْ كان الخطاب متعلِّقًا بأفعال الله تعالى كالخلق والرزق والتدبير وغيرها .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك في الصحيحين ، كتاب الإيمان ، باب إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم ، حديث(٥)

(٢) ابن عادل : اللباب في علوم الكتاب ،٣٨٦/١٤

(٣) يُنظر : ابن الأثير : المثل السائر،١٨٣/٢

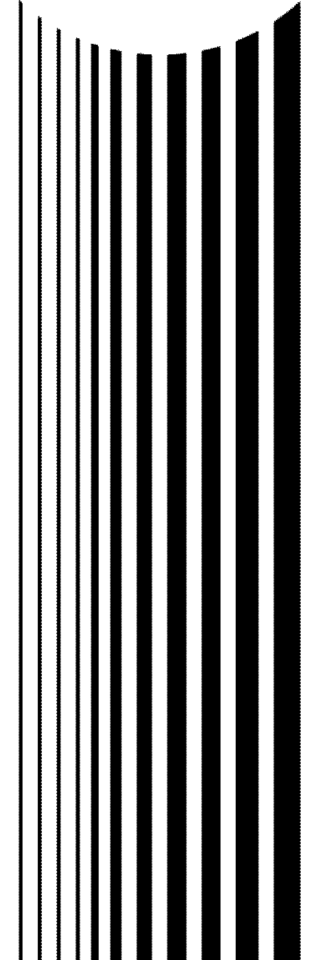


التغيُّر من الفعل الماضي إلى الأمر والعكس ، ودلالة ذلك

وفيه مبحثان :

- **المبحث الأوَّل : التغيُّر من الفعل الماضي إلى الأمر ، ودلالته .**

- **المبحث الثاني : التغيُّر من الفعل الأمر إلى الماضي ، ودلالته**





المبحث الأول :

التغيُّر من الفعل الماضي إلى الأمر، ودلالته



توطئة :

الأمر: طلب الفعل بصيغة مخصوصة[١] ، ويمثِّل التغيُّر من الماضي إلى الأمر في القراءات القرآنية عدولاً عن أسلوب الإخبار إلى الإنشاء الطلبي ، وهما أسلوبان مختلفان من أساليب اللغة العربية مبنًى ومعنًى .

وقد عُلِم فيما سبق أنَّ الماضي يحمل دلالة تحقُّق وقوع الفعل ، وحضور جميع مشاهده على مسرح الحدث ، في حين أنَّ الأمر يؤكِّد هذا الحضور ويظهر الرغبة في تحقيق وقوع الفعل على وجه الإلزام . والنَّاظر في دلالات التغيُّر من الماضي إلى الأمر يلحظ توجيهًا للكلام بصيغة مباشرة بعيدًا عن الغموض والإبهام الذي ربَّما يكتنف أسلوب الإخبار الناشئ عن عدم التحديد ، الذي قد يتوهم معه السامع معنًى غير المعنى المراد ، لذا " كان العدول إلى الأمر يدلُّ على طلب الفعل على سبيل الوجوب ، ويحمل في طيَّاته الزمن الحاضر والمستقبل"[٢] . وفي هذا تعيينٌ مباشرٌ للمتلقِّين بما يحقِّق أغراض هذا العدول . والحقيقة أنَّ دلالة الوجوب التي يُحْدِثُها فعل الأمر لا ينبغي تجريدها عن السياق ، بل ينبغي أن تُفْهَم في ضوء السياق نفسه بالمقارنة مع الفعل المعدول عنه ، الذي يمثِّل هنا الماضي ، لنرى أنَّ الوجوب ربَّما خرج إلى أغرض بلاغية أخرى على سبيل المجاز تتماشى مع السياق العام .

وقد اجتهد الباحث في استقراء الأفعال التي وردت على هذه الصورة من التغيُّر بين القراءات القرآنية فألفاها (**سبعة أفعال**) ، توزَّعت على (**أحد عشر**) موضعًا ، يحسب الباحث أنْ ليس في هذه الصورة من التغيُّر أفعالٌ سوى ما ذُكِر ، وقد أثبتها الباحث في جدول خاصٍّ في الملاحق[٣] ، وسيتناول بالتحليل والدراسة النَّماذج التالية :

(١) يُنظَر: ابن يعيش : شرح المفصل ،٥٨/٧
(٢) الهتاري ، عبد الله : الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي،٧١
(٣) يُنظر : ملاحق الرسالة

١. ﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ ﴾ :

في قوله تعالى : ﴿ **وَٱسۡتَفۡتَحُواْ** وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴾ إبراهيم: ١٥

❖ مذاهب القرّاء :

- قرأ العشرة بالماضي : (**اسْتَفْتَحُوا**) بفتح التاء .
- وقرأ ابن عباس ، ومجاهد ، وابن محيصن بالأمر : (**اسْتَفْتِحوا**) بكسر التاء ، وهي شاذَّة[١] .

❖ معاني القراءتين وتوجيههما :

تُوجَّهُ قراءة الماضي على العطف على الفعل (**أَوْحَى**) في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ **فَأَوۡحَىٰٓ** إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴾ إبراهيم: ١٣ - ١٥، وفي الضمير المتصل بالفعل (**اسْتَفْتَحُوا**) أقوالٌ ، منها[٢] :

- عائدٌ على الرُّسل الكرام : وعلى هذا يكون معنى الاستفتاح : الاستنصار : أي استنصَرُوا اللهَ على أعدائهم ، كما قال تعالى : ﴿ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُ ﴾ الأنفال: ١٩ ، أو : طلب الحكم والقضاء ، من الفُتَاحة : أي استحْكَمُوا الله تعالى ،

(١) يُنظَر : ابن خالويه : القراءات الشاذة ،١١٠، العكبري : إعراب القراءات الشواذ ،٧٣٢/١ ، الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر،١٦٧/٢
(٢) يُنظَر : ابن الجوزي : زاد المسير،٣٥١/٤ ، السمين : الدر المصون ،٧٨/٧

وطَلَبُوهُ القضاء بينهم ، كما قال تعـالى : ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ الأعراف: ٨٩ .

– أو عائدٌ على الكفار : واستفتاحهم : سؤالهم العذاب ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ الأنفال: ٣٢ ، وكقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾ ص:١٦.

– أو عائدٌ على الفريقين : لأنَّ كُلًّا طلب النَّصر على صاحبه .

أمَّا قراءة الأمر فتوجَّه على العطف على (**لنُهْلِكنَّ**) ، قـال الزمخشري ت(٥٣٨هـ) : " وقرئ (**واسْتَفْتِحوا**) بلفظ الأمر . وعطفه على (**لنُهْلِكنَّ**) ، أي : أوحى إليهم ربهم وقال لهم : لنهلكنَّ ، وقال لهم : استفتِحوا "[1] ، وتقوِّي هذه القراءةُ عودَ الضمير في الفعل على الرُّسل .

❖ أثر القراءتين على المعنى :

كثيرًا ما شهد القرآن الكريم معارك من الخصومة وإثبات الحجة والدليل بين الأنبياء وأقوامهم ممن كذَّبوهم وناصبوهم العداء ، وعندما يعرض القرآن الكريم مثل هذا النوع من الخصومات ؛ فإنَّ صورة التشخيص تبدو واضحة جليَّة في إبراز المعركة ، ونقلها من حكايةٍ تروى إلى مشهدٍ يُنْظَرُ ويُسْمَعُ ، وتُقْرَأُ كلُّ فصولِه ، وهو أسلوبٌ بديعٌ من جماليَّات الأداء في القرآن الكريم . وقد مثَّلت الآيات من سورة إبراهيم جزءًا من مساحة المناظرات والحوارات التي جرت بين الأنبياء وأتباعهم ، وبين الجاهليات المكذبة بالرُّسل والرِّسالات .

---

(١) الزمخشري : الكشاف ، ٥١٢/٢

لقد شهدت السورة منذ مطلعها معارك طاحنة بين الصنفين تزداد سخونتها كلما تقدَّم بنا السياق ، وأول ما يطالعنا الحديث عن موسى عليه السلام وقومه من بني إسرائيل المعروفين بجدالهم ، يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ إبراهيم: ٦ ، ويقول بعدها : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ إبراهيم: ٨ ، وهكذا تزداد سخونة هذه الأجواء بتزايد وتيرة الخطاب والحوار بين الفريقين حتى يحضُر المشهد التالي في قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ إبراهيم: ١٠ ، فيأتي الرد : ﴿ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ إبراهيم:١٠ ، صلَفٌ وتمرد على النواميس الإلهية ، ثم يُستَأنف الحوار على لسان الرُّسُل بقولهم : ﴿ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ إبراهيم: ١١ ، لكنَّ هذه اللغة السلِسة السهلة ، وهذا الخطاب المتَّسم بالرِّفق من أنبياءَ حرصوا على هداية أقوامهم ما كان ليؤثِّر في قلوبٍ طُبِعَ عليها ، ومُلِئَت غلا وحسدًا ، فيأتي ختام المشهد في موقف من المفاصلة والافتراق يقول فيه تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ إبراهيم: ١٣ ، إلى هنا لا ينبغي أن يتجاوز أمثال هؤلاء حدود الأدب مع أنبياء الله تعالى ، وقد غلب على خطابهم الغلظة والجفاء مع منْ لهم عليهم حقٌّ، فجاءت القراءة (**اسْتَفْتَحُوا**) بعد جملة من التوكيدات الإلهية والضَّمانات الربانية : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ ﴾ ، ﴿ لَنُهْلِكَنَّ ﴾ ، ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ﴾ ، لترسم " موقف الطغاة المتجبِّرين بقوتهم الهزيلة الضئيلة في صف ، وموقف الرُّسل الداعين المتواضعين ومعهم قوة الله سبحانه في صفٍّ . ودعا

كلاهما بالنَّصر والفتح "(١) ، وكانت العاقبة كما يجب أن تكون : ﴿ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ إبراهيم: ١٥ . لقد أحدثت القراءة بالماضي جملة من الدلالات حيث جعلت المشهد متعاورًا بين صنفين : الأنبياء ومكذِّبيهم ، فإنْ كان المُسْتَفْتِحون : الرُّسل ؛ كان المعنى : أنَّ الرسل استفتَحوا ، أي : طلبوا النَّصر فنُصِرُوا ، وظفروا بمقصودهم ، وفازوا ، و(خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) وهم قومهم ، وإنْ كان المستفتِحون : الكفرة من أقوام الأنبياء ؛ كان المعنى : أنَّ الكفار استفتَحوا على الرُّسل بطلب العذاب على سبيل التهكُّم والاستهزاء ظنًّا منهم أنَّهم على حقٍّ ، والرسل على باطل ، ومع فعلهم هذا فقد : (خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) منهم ؛ بسبب استفتاحه على الرُّسل . وإنْ قلنا : المستفتِحون هم : الفريقان : الأنبياءُ ومكذِّبوهم ؛ فإنَّهم كلَّهم سألوا الله تعالى أن ينصر المحِقَّ ، ويبطل المبطِل(٢) . ويزيد الباحث أنَّ استفتاح كلا الطرفين : الأنبياء بطلب النَّصر ، ومكذِّبيهم بطلب العذاب كان مصحوبًا بإلحاحٍ وجهد بُذِلا في سبيل تحقيق هذا الطَّلب ، ويظهر هذا المعنى من مجيء الفعل (**اسْتَفْتَحَ**) على بُنْيَة (**اسْتَفْعَلَ**) ، قال ابن سيده ت(٤٥٨هـ) : " قال أبو علي : اعلم أنَّ أصل (**اسْتَفْعَلْتُ**) الشيء في معنى طلبته واستدعيته ، وهو الأكثر "(٣) ، وزيادة المبنى تدلُّ على زيادة المعنى كما قرَّر ذلك المحقِّقون من أهل اللغة ، قال أبو هلال العسكري ت(٣٩٥هـ) : " لا يجوز أن تختلف الحركتان في الكلمتين ومعناهما واحد ، قالوا : فإذا كان الرجل عدة للشيء قيل فيه : (**مِفْعَل**) مثل : مِرْحَم ومِحْرَب ، وإذا كان قويًّا على الفعل ، قيل : (**فَعُول**) ، مثل : صبور وشكور... "(٤) ، فلمَّا حصلت الزيادة في بنية الفعل بالهمزة ، والسين ، والتاء في أوَّله ؛ أفادت زيادةً في دلالته تحصَّل منها اقتران طلب الصنفين بإلحاح وجهد زائدين عن مستوى الطلب العادي الذي يفهم من بنية الفعل مجرَّدة ، وجميلٌ إشارة من أشار بأنَّ هذه الزيادة تفيد المبالغة إمَّا : من جهة كثرة الإتيان بالفعل ، أو من الجهد

(١) قطب ، سيد: في ظلال القرآن ،٢٠٩٣/٤
(٢) يُنظَر : الرازي : مفاتيح الغيب ،١٠٣/١٩ ، أبو حيان : البحر المحيط ، ٤٠١/٥
(٣) ابن سيده : المخصَّص ،١٨٠/١٤
(٤) العسكري ، أبو هلال: الفروق اللغوية ،٢٤

الكبير الذي يبذله الفـــاعل عند إتيانه بالفعل[١] ، وينظر الباحث – والله أعلم – إلى هذه المبـــالغة على هذه القراءة من جهة كثـــرة الإتيان بالفعل فـــإنَّ الله تعــــالى أخَّـــــر الفعـــل (**اسْتَفْتَحُوا**) عن الفعلين : (**أوحى**) ، (**لنُهلِكَنَّ**) ، دلالة على أنَّ الأنبياء لم يزالوا داعين إلى أنْ تحقَّق الموعـــود من إهلاك الظـــالمين[٢] ، هذا في حقِّ الأنبياء ، أمَّا في حقِّ مكذِّبيهم فالسياق ينبئ أنّهم ما طلبوا العذاب وأكثروا من هـــذا الطلـــب إلا تَهكُّمًا وسُخريَّة ، وقد استقرَّ عندهم ألا سبيل إلى وصول صنف من أصــــناف العـــذاب إليهم ؛ لذا لا ضير أنْ يتكرَّر منهم هذا الطلب ما دام أنَّه يشبع رغباتهم باحتقار الآخرين ، وختام الآيـــة بقوله : (**وَخَابَ كُلُّ جبَّارٍ عَنِيدٍ**) يوحي بجو الغطرسة الذي يعيشـــونه وعدم مبالاتهم تجبُّرًا وعنادًا.

ولمَّا تغيرت بنية الفعل إلى الأمر : (**اسْتَفْتِحُوا**) تغيَّرت معها جملة من الـــدلالات التي ناسبت المقام والمقال . فاستفتِحوا : أمرٌ للرُّسل بطلب النُّصرة[٣] ، وعليه فقـــراءة الأمر إنَّما تتوجَّه إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ويرى فيها الباحث – والله أعلم – عددًا من الدلالات :

-الترتيب الزَّمني المستفاد من التغيُّر بين القراءتين ، فإنهم لمَّا (**اسْتَفْتَحُوا**) ســـألوا الله تعالى أن يفتح عليهم ، " أي : ينصرهم "[4] ، و" أُذِنَ لهم في الاستفتـــاح على قومهم ، والدعاء بهلاكهم "[5] ؛ أمروا به بلفظ (**اسْتَفْتِحُوا**) .

– ولمَّا كـــان استفتـــاح الكفَّـــار على أنبيائهم على سبيـــل التهكُّم والاستهزاء ، أراد الله تعالى أن ينتقم لأنبيائه ، فأهمل ذكر أعدائهم على هذه القراءة وما التفت إليهم بخطـــاب ، وفي عـــدم الذِّكر تهكُّمٌ وازدراء .

---

(١) يُنظَر : الأرناؤوطي ، زهير : دلالة استفعل على المبالغة في القرآن ، ص١

(٢) يُنظَر : الألوسي : روح المعاني ،١٩٠/٧

(٣) يُنظَر : ابن عادل : اللباب في علوم الكتاب ،٣٥٦/١١

(٤) الزجَّاج : معاني القرآن وإعرابه ،١٥٦/٣

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ،١١٧/١٢

– كما أنَّ في اختصاص الخطاب بالأنبياء دون غيرهم مزيـــد مزيَّـةٍ واهتمـــام ، ومبلغ حظـــوةٍ وإكـــرام ، فكأنَّه قال : استَفْتِحُوا أنتم لا غيركم ، واستَنْصِرُوا أنتم دون سواكم .

– ولما أسفر خطاب الكفار عن وجهه من الطغيان فلا جدال ، ولا نقاش ، ولا تفاهم ، ولا تعقُّل قائلين : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ إبراهيم: ١٣ ، بل جرأةٌ واستعلاءٌ رسم مشهدَهُمَا (**نونا التوكيد**) في الفعلين (**نُخْرِجَنَّكم**) ، (**تَعُودُنَّ**) ، وحبُّ التملك والاستحقـــاق الزائف ، الذي تمثَّـــل في ضميـــر : (**نـــا**) في الاسمين : (**أَرْضِنَا**) ، (**مِلَّتِنَا**) بما يفيد الأثرة والأنانية ، صكَّ الله تعالى وجـــوههم وأســـماعهم بخطاب أكثر جرأة واستعلاءً ، فقال : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ إبراهيم: ١٣ ، فإن استعلوا (**بنون توكيدهم**) على أنبياء الله تعـــالى ، وخصُّـــوهم لا غيـــرهم بالإخراج من الأرض والديار ؛ فإنَّ الله تعالى قـــد زاد في خطـــاب الاستعلاء علـــيهم بزيادة أعداد النونـــات : العظمـــة والتوكيـــد: ﴿ لَنُهْلِكَنَّ ﴾ ،﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ﴾ مصدَّرة بلام التوكيد في الموضعين ، واختزل مشهد التَّفصيل الذي ساقوه في موقـــف التَّحدي مع أنبياء الله تعالى من عرضهم عليهم الإخراج من الدِّيار أو الرجوع إلى ملَّتِهم بأنْ جعل الإهلاك لجميع الظالمين – جميعهم بلا تخيير ولا استثناء – استئصالاً لشأفتهم وقطعًا لأرومتهم ، تلك التفـــاصيل السابقة في هـــذا المشهد نـــاسبت أن يتوجه الأمر : (**اسْتَفْتِحُوا**) إلى الأنبياء إيثارًا لمكانتهم عند الله تعالى ، وأخذًا لحقِّهم ، ونصرةً لهم من كل جبَّار" لا يرى لأحدٍ عليه حقًّا ، وعنيدٍ يعدِل عن القصد "(١) .

وهكذا قدَّمت كلُّ قراءة من وارف ظلالها ، ومقاصد أسلوبها في سياقها الذي وردت به ، وبالقرائن التي حفَّتها ما يجعل الفكر يقف متأمِّلاً في إعجاز هذا الكتـــاب الكـــريم ولمسات بيانه وإبداعه .

(١) الزجَّاج : معاني القرآن إعرابه، ١٥٦/٣

٢. ﴿ قَالَ ﴾ :

وردت صورة التغيُّر في بنية الفعل (**قَالَ**) في المواضع التالية :

١. قال تعالى : ﴿ **قَالَ** رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الأنبياء: ٤

٢. قال تعالى : ﴿ **قَٰلَ** رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ الأنبياء: ١١٢

٣ . قال تعالى : ﴿ **قَٰلَ** كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾ المؤمنون: ١١٢

٤. ﴿ **قَٰلَ** أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ﴾ الزخرف: ٢٤

❖ مذاهب القراء :

١- الموضع الأول :

- قرأ حفص وحمزة و الكسائي وخلف (**قَالَ**) بفتح القاف وألف ، على أنَّه ماض.
- قرأ الباقون (**قُلْ**) بضم القاف بلا ألف ، على أنَّه فعل أمر[١] .

٢- الموضع الثاني :

- قرأ حفص (**قَالَ**) بالماضي .
- قرأ الباقون (**قُلْ**) بالأمر[٢] .

٣- الموضع الثالث :

- قرأ العشرة عدا ابن كثير وحمزة و الكسائي (**قَالَ**) بالماضي .
- وقرأ الثلاثة (**قُلْ**) على الأمر[٣] .

(١) يُنظَر : الداني : التيسير ،٣٦٨ ، ابن الجزري : النشر،٥٩٨ ، الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر،٢/ ٢٦١
(٢) يُنظَر : الداني : التيسير ،٣٧٠ ، ابن الجزري : النشر،٥٩٩ ، الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر ،٢/٢٦٨
(٣) يُنظَر : الداني : التيسير ،٣٧٩ ، ابن الجزري : النشر،٦٠١ ، الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر ،٢/٢٨٩

٤- **الموضع الرابع :**

- قرأ ابن عامر وحفص (**قَالَ**) ماضيًا.
- قرأ الباقون (**قُلْ**) على الأمر[١] .

❖ معاني القراءات وتوجيهِها :

تمثِّل صورة التغيُّر لبنية الفعل (**قَال**) في المواضع الآنفة الذكر انتقالاً وتغيُّرًا للكلام من الخبر إلى الإنشاء ، ومدار الاختلاف في معاني هذه القراءات هو في توجُّه الفعل إلى الفاعل :

ففي الموضع الأول :

جاءت القراءة بالماضي (**قَالَ**) إخبارًا من الله تعالى عن نبيه ﷺ أنَّه قال لهم : ﴿ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ الأنبياء: ٤ ، وذلك بعد أنْ أطلعه الله تعالى بسابق علمِه على خفِيِّ قولهم ، وأبان له عن سِرِّهِم ، وهذا الجواب منه ﷺ مناسبٌ لخطابهم المتَّسم بالنجوى والسرية المتمثِّل في قوله تعالى : ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ الأنبياء: ٣ ، وأمَّا قراءة الأمر (**قُلْ**) فتحمل توجيهًا وأمرًا من الله تعالى لنبيه ﷺ أنْ يجيب عن سؤال الكفَّار: ﴿ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ ﴾ ؟؟ الأنبياء: ٣ بقوله : ﴿ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾ الأنبياء: ٤ ، " يعلم قولكم وقول كلِّ قائل قولاً في السماوات والأرض ، وهو السَّميع لجميع ذلك ، والعليم بخلقه "[٢] .

وفي الموضع الثاني :

جاءت قراءة الماضي (**قَالَ**) على لسانه ﷺ تطلب النُّصرة والحكم من رب العالمين بعد جملة من الحوارات التي دارت بينه وبين الكفار المتعنِّتين من قومه .

---

(١) يُنظَر : الداني : التيسير، ٤٥٣ ، ابن الجزري : النشر، ٦٣٠ ، الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر، ٤٥٥/٢
(٢) أبو زرعة : حجة القراءات، ٤٦٥

مستأنِسًا في ذلك بمن مضى من الرُّسل والأنبياء حين قالوا : ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ الأعراف: ٨٩ ، وتضمنَّت القراءة بالفعل (**قُلْ**) أمرًا من الله تعالى لنبيه ﷺ أنْ يتوجَّه بالدعاء إليه كما توجَّه سلفه من الأنبياء والرسل بقولهم في الآية السابقة : ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ الأعراف: ٨٩ .

أمّا الموضع الثالث :

فقد تضمَّن المشهدُ سؤالَ الله تعالى لهؤلاء الكفار عن مدة لبثهم في الأرض تبكيتًا لهم ، وتوبيخًا على تقصيرهم في حقِّه تعالى ، وهذا السؤال إمَّا أن يكون يوم البعث ، أو في النار[١] ، والفاعل على قراءة الماضي :

- إمَّا أنْ يكون عائدًا لله تعالى ، وهذا مناسبٌ للسياق الذي ورد بإسناد الخطاب إليه تبارك وتعالى كما في الآيات :﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ المؤمنون: ١٠٨ - ١١١ ، ثمَّ إنَّهم أجابوا الله تعالى ، فقالوا : ﴿ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴾ المؤمنون: ١١٣ ، " فنسي الأشقياء لعِظَمِ ما هم فيه من البلاء والعذاب مدَّة مُكْثِهم التي كانت في الدنيا ، وقَصُرَ عندهم أَمَدُ مكثهم"[٢] .
- أو أن يكون خبرًا من الله تعالى عمَّن أُمِرَ بسؤالهم من الملائكة .

(١) يُنظَر: ابن الجوزي : زاد المسير ،٥/٤٩٤
(٢) الطبري : جامع البيان ،١٧/١٣٠

أما القراءة بــ(**قُلْ**) فيتوجَّه الأمر فيها :

- إلى المَلَكِ المأمور بسؤالهم .
- أو يكون متوجِّهًا للنبي ﷺ أنْ يسألهم : كم لبثتم في الأرض ؟

– أو يتوجَّه الأمر إلى أهل النَّار أو بعض رؤسائهم ، وعليه فقد أُخْرِجَ الكلام على وجه الأمر به للواحد والمراد الجماعة ، كما نقل ذلك الطبري ت(٣١٠هـ)[١] – وإن لم يختر القــراءة بهــذا الوجــه – ، وأبــو زرعــة ت(٤٠٣هــ)[٢] ، وردَّه الألوسي ت(١٢٧٠هــ)[٣] ، وهذا الأسلوب وارد في لغة العرب فهم يخاطبون الواحد ويريــدون الجماعة إذا كان المعنى مفهومًا ، وقد جاء القرآن الكريم بمثل هذا في أكثر من موضع ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ الانفطار: ٦ ، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ الانشقاق: ٦ .

ويرى الباحث جمعًا بين هذه الأوجه أنَّ الأمر خطابٌ لمن يأمره الله تعــالى بســؤال هؤلاء الأشقياء من المعذَّبين ، سواءٌ أكان المأمور بالسؤال محمد ﷺ ؟ أم المَلَك ؟ أم أهل النَّار وبعض رؤسائهم ؟ ، ولا مانع من أن يتعدَّد السَّائلون ليكون أبلغ لهــم فــي التبكيت والتحقير. والله أعلم .

وفي الموضع الرابع :

ذمَّ الله تبارك وتعالى التقليد الأعمى القائم على غير الدليل ، والمبنــي علــى : ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ ﴾ الزخرف: ٢٢، وقد أراد الله تبارك وتعالى في هذه الآيــات أن يبيِّن أنَّ الهداية الحقَّة ما كانت مستقاة من الوحي ؛ إذ لا وجه للمقارنــة بــين الــوحي الربَّاني والإرث البشري .

---

(١) يُنظَر : الطبري : جامع البيان ،١٧/١٣٠
(٢) يُنظَر : أبو زرعة : حجة القراءات ،٤٩٣
(٣) يُنظَر : الألوسي : روح المعاني ،٩/٢٦٧

ويتوجَّه الفاعل على هذه القراءة :

- إلى النَّذير : لتقدُّم ذكره في الآية : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ الزخرف: ٢٢ - ٢٤ ، " والنَّذير: الجماعة "[١] ، فلذلك قالوا : (**إنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُون**) .
- أو إلى الرسول ﷺ ، وناسبه الفعل (**جِئْتُكُم**) بعود الضمير إليه .

أمَّا القراءة بـــ (**قُلْ**) فإمَّا أنْ تكون أمرًا من الله تعالى للنذير أنْ يقول لهم ذلك ، ثمَّ أخبرنا الله تعالى بما أجابوا به النَّذير من قولهم : ﴿ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ الزخرف: ٢٤ ، أو أنْ تكون أمرًا من الله تعالى لنبيه ﷺ بمعنى : " قــل يــا محمــد لهــؤلاء المشركين من قومك القائلين : (**إنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ**) : أولو جئتكم أيُّهَ القــوم من عند ربكم بأهدى لكم إلى طريق الحق ، وأدلُّكم على سبيل الرشاد ... فقــال لهــم ذلك ، فأجابوه بأنْ قالوا له كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رُسُلَها لأنبيائها : ﴿ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ الزخرف:٢٤ "[٢] . ولا تعارض بين المعنيين – والله أعلم – فالنذير داخلٌ فيه الرسول ﷺ كما جاء ذلك في قوله تعــالى : ﴿ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ ﴾ فاطر: ٣٧ ، حيث فُسِّر بالشيب ، أو النبــي ﷺ ، أو مــوت الأقــارب والأهــل ، أو الحمّى[٣] .

❖ أثر القراءات على المعنى :

كان الأصل أن يُفْرد كل موضع بنموذج في التحليل مستقلّ ، لكن لمَّا كانت صورة التغيُّر في تلك المواضع متَّفِقةً من حيث انتقال الأسلوب من الخبر إلى الإنشاء ؛ ارتأى الباحث أن يجعلها تحت أُنْمُوذَجٍ واحد في التحليل ، مبيِّنًا الأثر العام لصورة هذا التغيُّر

---

(١) مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات السبع ،٢/٢٥٨
(٢) الطبري : جامع البيان ،٢٠/٥٧٤
(٣) يُنظَر : ابن الجوزي : زاد المسير ،٦/٤٩٥

على دلالة المعنى ومفهومه ، ثم يتطرق إلى دلالة كل موضع بشكل خاص في سياقه الذي ورد به .

إنَّ تغير أسلوب الخطاب من الخبر إلى الإنشاء ينطوي على معانٍ دقيقة يراد منها الإقبال على المخاطبين ، وتوجيه الكلام إليهم بالصيغة المباشرة ممَّا يكون أرسخ في الذهن ، وأدعى للفهم بحسب المقام وعدًا أم وعيدًا ، " ففي مقام الذمِّ والوعيد ينطوي هذا الأسلوب على مواجهة المتلقِّين بالتوبيخ والتقريع والإنكار ، والدَّلالة على شدة الغضب "[1] ، ويلقي بالبشارة وكامل الرّضا في مقام الوعد هذا من حيث العموم ، ومن حيث التفصيل يمكن القول :

في الموضع الأول :

القراءتان صحيحتان ، وهما بمنزلة الآيتين ، و فيهما من الفائدة " أنَّه ﷺ أُمِر ، وأنَّه قال كما أُمِر "[2] . والترتيب الزَّمني مقصودٌ في أحداث الفعلين لا سيَّما فيما يتعلق بأقوال الرسول ﷺ ، التي هي من قبيل الوحي الإلهي ، فإنَّه لا ينطق عن الهوى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم: ٤ ، وإخبار الرسول ﷺ بهذا القول ناشئٌ عن أمرٍ من الله تعالى له . ولأنَّ النبي ﷺ إذ قال قولاً ؛ فإنَّما قاله عن أمر ربه ، ولأنَّ الله تعالى إذا أمر نبيه ﷺ بأمرٍ ؛ قَالَه . وبهذا لا تعارض بين القراءتين بل حملت صورة التغيُّر إعلامًا من الله السميع العليم بنجوى هؤلاء الكفار ، وتبليغًا من الرسول ﷺ إليهم لتبكيتهم ، وإقامة الحجَّة عليهم[3] .

---

(١) محمد ، أحمد سعد : التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ،٣٤٢
(٢) النحاس : إعراب القرآن ،٦٠٠
(٣) يُنظَر للاستزادة : أحمد سعد : التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ،٢٤٦ ، سيَّب ، خير الدين: تغاير الأسلوب في القراءات القرآنية ،٩٩ ـ ١٠٠

أمَّا الموضع الثاني :

فأفادت القراءة بالماضي دعاء النبي ﷺ على من كذَّبه وعانده في دعوته أن يقضي الرحمن بين الصنفين بالحق ، كأنَّه قال : " اقضِ بيني وبين من كذَّبني بالعذاب "[١] ، ودعاء الرسول ﷺ بصيغة الإخبار بالماضي يحمل عددًا من الدلالات :

- بالرغم من عناد قومه واستعجالهم نزول العذاب ؛ فإنَّه ﷺ لم يستعجل الدعاء عليهم رحمة بهم ، ورأفة وشفقة عليهم حتى أتاه الأمر من الله تعالى بقوله : (**قُلْ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ**) كما في قراءة الأمر ، مِمَّا يفيد أن النبي ﷺ لم يدعُ عليهم إلا وقد حلَّت عليهم النقمة ، وحاق بهم الغضب فيكون الخير حينئذٍ فيما اختاره الله تعالى باستئصالهم لمصلحة الدعوة .
- بعد أنْ ظهر للنبي ﷺ بعد طول تأنٍّ ألا فائدة تُرْتَجَى من إيمانهم ؛ حُقَّ الدعاء عليهم بتعجيل العذاب طالما وحالهم كذلك ، والتعجيل بالعذاب مأخوذٌ من الاجتزاء بالكسرة عن الياء في قوله (ربِّ) ففيه سرعةٌ في النطق ، ممَّا يشير إلى طلب السرعة في الفعل وذلك باستعجال العذاب لمشركي مكة[٢] ، كما جاء الدُّعاء بطلب أن يكون العذاب المرجوُّ الذي يقع بهم هو العذاب الشديد دون غيره لقراءة الضم في (**رَبُّ احْكُمْ بِالْحَقِّ**)[٣] ، وذلك أنَّ الضمَّة هي أثقل الحركات وتدلُّ على الشدَّة والقوَّة[٤] .

وحملت القراءة بالأمر تسلية للنبي ﷺ ، وتصبيرًا له لا سيَّما وأنَّه قد بَلَغَ الغاية في البيان والنُّصح لهم ، وهم بلغوا الغاية في الكفر والعناد ، وقد برزت هذه الدلالة من وجوه :

(١) الرازي : مفاتيح الغيب ، ٢٢/٢٣٤
(٢) يُنظَر : الفلاح ، آمال: تفسير القرآن الكريم بالقراءات العشر (طه - المؤمنون) ، ١٧٠
(٣) قرأ بها أبو جعفر بضم الباء (ربُّ احكم) والباقون بالكسر ، يُنظَر : ابن الجزري : النشر ، ٥٩٩
(٤) يُنظَر : الأزهري : شرح التصريح ، ١/٥٥ ، السامرائي ، فاضل : بلاغة الكلمة ، ١٢٠

- الإذنُ له بأنْ يدعوَ عليهم إنْ شاء أسوة بإخوانه من الأنبياء حين قالوا : ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾ الأعراف: ٨٩ ، وفي الإذن تسليةٌ لفؤاده و تصبير.
- حتمية أنْ يحلَّ بهم العقاب وإنْ تأخَّر أَمَدُه ، فقد جاءت قراءة الأمر لتوحي " بأنَّ عليك الانقطاع إلى ربك ليحكم بينك وبينهم بالحق ، إمَّا بتعجيل العقاب بالجهاد وغيره ، وإمَّا بتأخير ذلك ، فإنَّ أمرهم وإنْ تأخَّر فما هو كائنٌ قريب "[١] . وهذا مِمَّا تقرَّ به عينه ﷺ ويكون فيه سلوى لتكذيبه .
- ومن الدلالات الوارفة ما أفادته القراءة من أنَّه ﷺ استعجل النَّصر عليهم بعد ما رأى من تكذيبهم ونفورهم ؛ فجاء الأمر (**احْكُمْ بِالْحَقِّ**) والمراد : احكم بحكمك الحق ، وفي حذف متعلق الفعل (**احْكُمْ**) دلالة على أنَّه استعجل النصر عليهم ، ولم يترك للسياق مجال الاستفاضة والإطناب .

<u>وخلاصة القول :</u> أنَّ صورة التغيُّر الحاصلة في هذه القراءة من الماضي إلى الأمر فيها توعُّدٌ من الله تعالى لهؤلاء المعاندين المكابرين ، بدعائه ﷺ عليهم استجابة لأمر الله تعالى له بذلك ، وفي هذا الأمر وعدٌ بالإجابة .

وفي الموضع الثالث :

يوقف الله تعالى الخلائق للسؤال يوم القيامة ، كما قال تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ الصافات: ٢٤، ولقد عظَّم الله تعالى من شأن اليوم الآخر وأكثر إيراده في كتابه الكريم ؛ لِيُحْدِث من المهابة ما يجعل النُّفوس على أهبةِ الاستعداد له ، ومن هذا المبدأ كانت صورة الفعل : (**قَالَ**) في هذه القراءة ، هو فعلٌ منْتَظَرٌ بكلِّ ما فيه من أحداث ووقائع ومع ذلك جرى بمجرى المضيِّ ، لماذا ؟! ؛ لأنَّ أخبار يوم القيامة وإنْ كانت لمَّا تأتِ بعْدُ ؛ إلا أنَّها بمنزلة ما قد تحقَّق وقوعه ومضى ، وهذا ما أشارت

(١) الرازي : مفاتيح الغيب ،٢٣٤/٢٢

إليه القــراءة (**قَالَ**) . وسواء أكان القائل : هو الله تعالى ، أم مَلَكٌ من الملائكة ؛ فإنَّ في إبهامه وعدم ذكره ملاءمة لصورة الدهشة والتبكيت التي يعيشها أصــحاب ذلــك الموقف ، فلا يهمُّ أن يُعْرَف القائل بقدر مــا يهمُّ أن يجيبوا على السؤال : (**كَمْ لَبِثْتُمْ**) ؟ ، بل حتى إجابتهم على هذا السؤال ليست مقصودة لذاتها لإرادة العلم بهــا ، بــل " لاستصغار أمر الأرض ، واستقصار أيامهم فيها ، وإنَّهم لَيَحُسُّونَ اليوم بقصــر تلــك الحياة وضآلتها ، وإنَّهم ليائسون ضيِّقوا الصُّدور ، لا يعنيهم حسابها وعدتها "[١]

كما توحي القراءة بالإخبار (**قَالَ**) أنَّ الله تعالى يوقفهم للسؤال عن المدة وهــو مــا يتوافق مع الاستفهام في رسم صورة الهلع والجزع التي هُم عليها ، فيجيبون : (**يَومًــا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ**) ؛ إلا أنَّ حالة الهلع والجزع لا تفارقهم وإنْ تَجَلَّدوا وزعموا الجــواب . لِيَظْهر في ختام حديثهم : (**فَاسْأَلِ الْعَادِّين**) ، " قال ابن عباس : أنساهم ما كانوا فيــه من العذاب بين النفختين "[٢] .

أمَّا القراءة بالأمر (**قُلْ**) فقد زادت من عقدة الموقف بالنسبة لهم ، وزادت في تبكيتهم وتوبيخهم فبعد أن اقتضت قراءة الماضي توقيفًا للسؤال ، جاءت القراءة بالأمر لتطلِــق الجواب على كل احتمالات الحسرة والنَّدامة التي هي ملابِسَتُهُمُ ابتداءً من أمر الله تعالى بــ (**قُلْ**) سواء أكان المأمور النبي ﷺ ، أم مَلَكٌ من الملائكة ، أم بعض رؤسائهم ، أم هم أنفسهم على إجراء الخطاب للجماعة مجرى الواحد فهم فــي العــذاب ســواءٌ ، لغرض التبكيت والتوبيخ وحينئذٍ تحصل لهم الحسرة على ما كانوا يعتقدونه في الدنيا من حيث أيقنوا خلافه ، ويعضُد فعلُ الأمر الاستفهامَ في تحقيق هذه الدلالة ، **وثاني** ملامح الحسرة التي لابَسَتْهُم : أنْ صدَّق الله تعالى قولهم : (**لَبِثْنا يَومًا أَوْ بَعْضَ يَــوْمٍ**) بتقالِّهم مدَّة لبثهم في الدنيا ، بقوله لهم : ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً﴾ المؤمنون: ١١٤. **وثالثها** : توبيخ الله تعالى لهم على غفلتهم التي كانوا عليها في تعاملهم مع قضايا الآخرة فقــال : ﴿لَّوْ

(١) قطب ، سيد: في ظلال القرآن ٤/ ٢٤٨٢،
(٢) الرازي : مفاتيح الغيب ٢٣/ ١٢٧

﴿ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٤. ولا يمنع على هذه القراءة إنْ قيل : إنَّ القائل هو الله تعالى أن يكون الأمر منه تعالى للمَلَك ، أو لجماعة من الكفار ، أو لأحدهم فيكون متعدِّدًا بتعدد الأحوال التي يوقَف فيها الكفار على النار ، وما ذلك إلا زيادةً في تعذيبهم بالحسرة ، وهو عذابٌ نفسيٌّ أكثر من أن يكون بدنيًّا ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنعام: ٢٧ ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ﴾ الأنعام: ٣٠ ، نسأل الله السلامة والعافية .

وهكذا تكاملت القراءتان في رسم صورة التَّحذير من الاغترار بالدنيا ، وطول الأمل رغبة للمكث فيها ، فالحياة قصيرة ، وقد وجَّهنا الشارع الحنيف لنعبُرها لا لنعمُرها ، ومهما طال نعيمُها وسرورُها ؛ فإنَّ موقف التوبيخ الذي يقِفُهُ العبد بين يدي ربه كفيلٌ أن ينسيه كلَّ أيام السرور والهناء التي قضاها وإن شعر أنَّها طويلة ممتدة ، فلا وجه للقياس بين الحياتين وإنْ مكث في الدنيا دهرًا طويلا ؛ إلا أنه سيجد أنَّ تلك الحياة التي تمتَّع بها قصيرة جدًا بالنسبة إلى موقف السؤال والتوبيخ بين يدي الله تعالى .

أمَّا الموضع الرابع :

فتضمَّنت الآيات تسفيه رأيِ الكفار ، وإبطالَ دعاويهم في التمسُّك بهدي آبائهم ، كما جاءت الآيات تبيِّن شدَّة ضلالهم في تقليدهم الأعمى ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ البقرة: ١٧٠ ، وقد جاءت القراءتان بالماضي والأمر ترسمان صورة هذا التحذير ، وتنفِّران من هذا المبدأ الجاهلي القائم على التفاخر بالآباء ، وتقليدهم في الحق والباطل .

والقراءة بالماضي إمَّا أن يكون القائل : النذير ، قال لهم : ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ﴾ الزخرف: ٢٤ ، ثم أخبر تعالى بجوابهم عنه بقولهم : ﴿ إِنَّا بِمَآ

أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ الزخرف: ٢٤ ، أو أن يكون القائل : محمد ﷺ ، والمعنيان محتملان ، فلا يبعد أن يكون كل نذير قال لقومه ذلك ، ولا يبعد كذلك أن يكون نبينا محمد ﷺ قال ذلك لقومه فجاءت القراءة بالماضي حكايةَ حالٍ لِمَا جرى بين الأنبياء والمنذِرين وأقوامهم ، ولا يبعد أن تكون القراءة بالماضي إخبارًا ، وحكاية حال حكاها الله تعالى لِمَا قاله كلٌّ نذيرٍ لقومه ، ثم أمر نبيه ﷺ أن يقول لهم ذلك ، بقوله : (**قُلْ أَولَوْ جِئْتُكُم**)[١] . ولا يبعد على قراءة الأمر أن يكون الخطاب فيها من الله تعالى للنَّذير ، وللنَّبي محمد ﷺ فامتثل كلٌّ منهما لهذا الأمر ، وقالا : ﴿ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ ﴾ الزخرف: ٢٤ .

وفي كلتا القراءتين خطابٌ شديد النَّبرة ، فيه تجهيلٌ لهم حيث إنَّهم يقلِّدون ولا ينظرون في النتائج . وفي الآيات إشارات تؤكِّد هذه الشدَّة الموسوم بها هذا الخطاب ، لاسيما وأنَّ الأمر يتعلق بقضية من قضايا المعتقد ، ومن هذه الإشارات[٢] :

- مجيء الفعل (**قُلْ**) أو (**قَالَ**) على القراءتين مفصولاً غير معطوف ؛ لأنَّه واقع في مجال المحاورة ، التي تقتضي إثبات الحجَّة بالدليل ، كما تقتضي القوة في الطرح والتمكن من القول .
- الواو في قوله : (**أَولَوْ جِئْتُكُم**) عاطفة للكلام المأمور به على كلامهم ، وهو ما سمَّاه ابن عاشور (**عطف التلقين**) مثل قوله تعالى عن إبراهيم ﷺ : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ البقرة: ١٢٤ ، فكأنَّ هذا القول : لقَّنه الله نبيه ﷺ ، والمنذِرين بنصِّه .
- الهمزة في (**أَولَوْ**) للاستفهام التقريري المشوب بالإنكار ، وقُدِّمت على الواو لأجل التَّصدير ، فكان مبدؤهم هذا مِمَّا استنكره الله تعالى عليهم ، وأغلظ عليهم العتاب فيه بما يستحق أنْ يُقَدَّم فيه الاستفهام عن سوء فعلهم .

---

(١) يُنظَر للاستزادة : الشوكاني : فتح القدير ،٧٢٢/٤ ، الجيلي ، علي : اختلاف القراءات من صيغة الماضي إلى غيرها حكمته ودلالته ،١٣١-١٣٢

(٢) يُنظَر: ابن عاشور : التحرير والتنوير ،١٨٩/٢٥-١٩٠، الشنقيطي : أضواء البيان ،٢٤٤/٥

- **(لو)** وَصْلِية ، و **(لو)** الوصلية تقتضي المبالغة بنهاية مدلول شرطها كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ آل عمران: ٩١ ، فكان المعنى : ولو جئتكم بأهدى من دين آبائكم تبقون على دين آبائكم ، وتتركون ما هو أهدى ؟!!
- وصيغة التفضيل هنا (**أَهْدَى**) لمطلق الوصف ؛ لأنَّ آباءهم لا شيء عندهم من الهداية أصلا .

وهكذا يُدرك من خلال تلك الإشارات والدلائل التي أحاطت بالقراءتين ، ما تحمله كلٌّ قراءة في سياق الآيات الذي وردت به من التشنيع على من قدَّم هدًى غير هدى الله تعالى وشرعه ، وتجهيله في كونه يقلِّد ولا ينظر في عواقب الأمور ، وقد لُقِّن هذا القول جميعُ أنبياء الله تعالى ورسله عليهم السلام أن يجيبوا أقوامهم بذلك ، كما حملت القراءتان المواساة للنبي ﷺ وأتباعه على ما يُلاقونه من أقوامهم من إعراضٍ عن دعوة الله عز وجل وتكذيبٍ للرسالة .

٣. ﴿ فَٱسۡتَبَقُواْ ﴾:

قال تعالى:﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ **فَٱسۡتَبَقُواْ** ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴾ يس: ٦٦

❖ مذاهب القرّاء :

- قرأ جميع العشرة (**اسْتَبَقُوا**) بفتح الباء على الماضي.
- وقرأ عيسى بن عمر بكسر الباء على الأمر (**اسْتَبِقُوا**)(١) ، وهي شاذة .

❖ معاني القراءتين و توجيههِما :

القراءة بالماضي عطف على (**طَمَسْنَا**) ، أمَّا القراءة بالأمر فعلى إضمار القول ، وقد تأوَّل العلماء وصول الفعل إلى ظرف المكان المختصِّ (**الصراط**) بأمور :

- إمَّا على حذف الجار . والأصل فاستبقوا إلى الصراط .
- أو أن يُضَمَّن الفعل معنى : (**ابتدروا**) .
- أو أن يكون (**الصراط**) مفعولا به مجازًا ، وذلك بأن يجعل الصراط مسبوقًا ، لا مسبوقًا إليه .
- أو أن يُنصب على الظرف ، أي : في الصراط . ويكون المعنى : ولو نشاء لأعميناهم فلوا أرادوا أن يمشوا مستبقين في الصراط الذي اعتادوا سلوكه لم يستطيعوا ، وهذا التأويل ماشٍ على القول بأنَّ الصراط والطريق ونحوهما ليست مختصَّة(٢) .

---

(١) يُنظَر : ابن خالويه : القراءات الشاذة، ١٨٧ ، العكبري : إعراب القراءات الشواذ، ٢/٣٧٠
(٢) يُنظَر : الزمخشري : الكشاف، ٤/٢٧ ، السمين : الدر المصون، ٩/٢٨٣ ، شيخ زاده : حاشية علي تفسير البيضاوي، ٧/٩٤

❖ أثر القراءتين على المعنى :

عَهِد الرحمن تبارك وتعالى إلى عباده ألا يعبدوا الشيطان ، وحذَّرهم من سلوك خطواته وسبل غيِّه لكنَّهم أبوا إلا الضلال ، فخاطبهم مبيِّنًا قدرته عليهم ، وأنَّهم عبيدٌ له يصرِّفهم كيف يشاء ، وأنَّ الهداية والنور بيده يقذفهما في قلب من يشاء ، ومعنى الآية : " كما أعمينا قلوبهم ، لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة فتبادروا إلى الطريق ، وكيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم ! فكيف يبصرون الطريق حينئذ ! "[١] .

وفي التعبير بالفعل (**استَبَقُوا**) رسمٌ لمشهدِ ما كانوا عليه من التخبُّط والضلال والشبهات . ولقد حملت القراءة بالماضي عددًا من الدلالات ، منها :

- توحي الآيات بجو من الكُلْفَة والجهد والسرعة التي كانوا عليها ، وهذه المعاني مأخوذةٌ من بنية الفعل ، فالاستباق : افْتِعَالٌ من السَّبْق ، جاء في اللسان : " فاستبقوا الصراط : جاوزوه وتركوه حتى ضلوا ... واستبقا الباب : معناه : ابتدرا الباب يجتهد كل واحد منهما أن يسبق صاحبه "[٢] ، وصيغة (**افْتِعَال**) تدلُّ على التكلُّف والاجتهاد والاضطراب في تحصيل أصل الفعل [٣] ، وهذا يستلزم تحقيق الفعل على وجه السرعة ، وهذه المعاني مناسبة للحالة التي كانوا عليها فهم رجاء أن يصلوا إلى بيوتهم قبل أن يهلكوا صاروا في حالة من التكلف والاضطراب مع الاجتهاد المقرون بالسرعة أن يصلوا لمبتغاهم لكنْ : أنَّى يبصرون !!
- دلَّ الفعل مع مجموعة من الدلالات المصاحبة له على تمكُّن الضلالة والغيِّ منهم ، بما لا يدع مجالاً لإبصارهم الحقَّ ، ومن الدلالات المصاحبة للفعل الماضي التي تتكرَّر مع الأمر :

(١) البغوي : معالم التنزيل، ٢٥/٧
(٢) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (سبق) ،١٩٢٩
(٣) يُنظر : الاستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب ،١١٠/١

- إيثاره تعالى لفعل المشيئة بالمضارع دون الماضي فقال : (**وَلَوْ نَشَاءُ**) ولم يقل (**وَلَوْ شِئْنَا**) " للدلالة على أنَّ عدم الطمس لاستمرار عدم المشيئة"[١] ، ليستدرِجهم ؛ لتتمكَّن الغواية من قلوبهم والضلال .

- (**لَوْ**) حرف امتناع لامتناع ، والمعنى : " لم نشأ طمس أعينهم فتركناهم على شأنهم ؛ استدراجًا وتمييزًا بين الخبيث والطيب "[٢] ، وهذا يوافق ما عليه المعنى السابق لفعل المشيئة .

- الطَّمْسُ : إذهاب الشيء وأثره جملة حتى كأنَّه لم يوجد[٣] ، وفي التعبير به دليلٌ على عدم وصولهم لمبتغاهم فسبيل الهداية محجوبٌ عنهم ، بل قد زال كلُّ أثرٍ يدلُّ عليه .

- (**طَمَسَ**) يتعدَّى بنفسه[٤] ؛ إلا أنَّ تعديته في الآية بحرف الاستعلاء (**عَلَى**) فيه دلالة على تمكُّن الغيِّ منهم ، واستعلاؤه على مصدر الإبصار لهم فحجب عنهم رؤية الحقيقة .

- لقد سلك بهم الرحمن تبارك وتعالى طريق الإلجاء في الاعتراف بشركهم بعد إنكارهم له ، وهذا الإلجاء جاء بعد خصومة من القول وقعت منهم ، حتى شهدت أعضاؤهم وأقرت كما قال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ يس: ٦٥ ، ومنْ كان سبيلَ إيمانِه الإلجاءُ لا شكَّ وأنَّه مرَّ بحالة تمكُّن الضلال فيها من قلبه .

- وفي الأوجه التي سبق إيرادها في إيصال الفعل إلى الظرف (**الصِّرَاط**) من : التقدير بحذف الجار ، أو تضمين الفعل (**ابتدروا**) ، أو النصب على الظرفية

---

(١) السامرائي ، فاضل : على طريق التفسير البياني ،٢/٢٣٠
(٢) يُنظَر : ابن عاشور : التحرير والتنوير،٥١/٢٣
(٣) يُنظَر : أبو حيان : البحر المحيط ،٣٢٨/٧
(٤) يُنظَر : الأحمدي : معجم الأفعال المتعدية بحرف ،٢١٩

، أو أن يجعل الصراط مسبوقًا لا مسبوقًا إليه ، على أيِّ مسلكٍ سلكناه في تعدية الفعل (**اِسْتَبَقُوا**) نجد أنَّ المعنى القائم على تمكُّن الغواية منهم وتلبُّسِهم بحالة الضلال والغي مصاحبة للوجوه جميعها ، تُحقِّقُ معنى ضلالهم وزيادة .

- ومن الدلالات في هذا المعنى إيثـار حرف الاستفهام (**أنَّى**) على غيره فيه مبالغة[1] ، يشمل معنى (**كيف**) وزيادة[2] ، وهو مناسب لضلالهم وغيِّهم ، فلا يمكن لهم أن يهتدوا لطريق ، أو يسلكوا سبيلاً طُمِسَتْ أبصارهم فيه عن إدراك مسالكه ، واستكشاف مداخله ومخارجه ، وهذا جزاء صَـلَفِ قلـوبهم وشـدة قسوتها عن إبصار الحقِّ .

ويختم الباحث الإشارة في دلالة القراءة بالماضي بكلام ماتع للدكتور فاضل السامرائي ، يقول : " فانظر كيف قال : (**طَمَسْنَا**) بدل (**أعمينا**) وهو يشمل العمـى وزيـادة . وقال : (**على أعينهم**) وهو يشمـل الطمس وزيـادة ، وهي التغطيـة والاستيثـاق ، وقـال : (**فَاسْتَبَقُوا**) وهو يشمل المسابقة وزيادة ، والمبـادرة وزيـادة ، والضـلال وزيادة ؛ إذ هو يجمع هذه المعـاني كلها . وقـال : (**الصِّرَاط**) ولـم يقـل : (**إلـى الصِّرَاط**) ليشمل معنى (**إلى**) والتعدية المباشرة ، ولو قال : (**فَاسْتَبَقُوا إلى الصِّرَاط**) لم يحتمل معنى الضلال . وقال : (**فأنَّى**) وهو يشمل معنى كيف وزيادة "[3] .

أمَّا القراءة بالأمر : (**اسْتَبِقُوا**) فعلى إضمار القول أي : يقال لهم اسْتَبِقوا ، وطَمْسُ أعينهم يعيقهم عن الاستباق – وهو معلومٌ ضرورة – وقد جاء الفعل على سبيل التعجيز ، وفي القراءة بالأمر دلالةُ الماضي وزيادة . فالاضطراب ، والجهـد ، والإسـراع ، حاصل في الفعلين ، إلا أنَّ الزيادة في الأمر أتت من جهة التغيُّر من الخبر إلى الإنشاء الطلبي الذي أفاد طلب تحقيق الفعل في الواقع . ولن يتمَّ لهم ذلك للقـرائن التعجيزيـة المحفوفة بالطلب ، التي تجعله في صورة المحال فعلُه ، وما أمْرُهم به ومطالبتهم بتنفيذه

(١) يُنظَر : ابن عطية : المحرر الوجيز، ٢٦٢/٧
(٢) يُنظَر : السامرائي ، فاضل : على طريق التفسير البياني ، ٢٣٠/٢
(٣) المرجع السابق ، ٢٣٠/٢

إلا زيادة في التبكيت والتعجيز فالدلائل تؤكِّد عدم مقدرتهم على تنفيذهم ما أُمِروا بـــه ، ومن أوجه التعجيز المحفوفة بهذا الطلب :

- تقديم المضيِّ على الرجـــوع فـــي الآيـــة بعـــدها : ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ يس: ٦٥ – ٦٧ ،" إذ الرجـــــوع أهون من المضيِّ ؛ لأنَّ المضيَّ لا ينبئ عن سلوك الطريق من قبل ، وأمَّا الرجوع فينبئ عنه ، ولا شكَّ أن سلوك طريق قد رؤي مرة أهون من سلوك طريق لم يـــرَ "[١] ، ولو سلكوا طريق الهداية ابتداءً لسُهِّل لهم الدرب ، ونُوِّر لهم الطريق لكنَّهم لمَّا ضلُّوا أُضِلُّوا ، قال تعالى : ﴿ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ هود: ٢٨ .
- بالعودة إلى أوجه تعدية الفعل (**اسْتَبقوا**) إلى (**الصراط**) وبالتأمل في القول بأنَّـــه جعل الصراط مستبِقًا لا مستبَقًا إليه وجهُ تعجيزٍ آخر ، إذ كيف يهتدون إلى طريـــق هم في الأساس في استباقٍ معه ، وكأنَّ الصراط الذي هم عليـــه ليســـوا قاصـــدينه طالبين له ، وهذا ما عبَّرت عنه حالتهم ، وإنَّما هم عليه إذا طمـــس الله أعيـــنهم لا يبصرونه ، فكيف إن لم يكونوا على الصراط أساسًا . نعوذ بالله من الخذلان .

ويرى الباحث أنَّ التعبير بالماضي (**استبَقُوا**) مثَّل حالة ما كانوا عليه من ابتـــدار الطريق واستباقه بمبادرة ذاتية وتكليف شخصي اجتهادًا منهم لتحصيل أسباب نجاتهم ، وحرصًا على عدم هلاكهم ، ولمَّا كانت هذه المعاني متعلقة بمشيئة الله تعالى ، ولمْ تأتِ من دافع إيمان وحرص منهم وإنما إلجاءً وخوفًا من العقاب انتقلت صورة الفعل إلـــى الأمر (**اسْتَبِقُوا**) أي : استمرُّوا في سباقكم وسعيكم ولو زمنًا فلن يُمْكِنَكُم ، ولا يُمْكِنُكُم الاهتداء إلى شيء ، ولا الوصول إلى طريق تعجيزًا وتبكيتًا . ومن تأمل دلالة (**فـــأنَّى يبصرون**) بالمضارع الذي يفيد التجدُّد والاستمرار ظهرت له – والله أعلم – مثل هذه

---

(١) الرازي : مفاتيح الغيب ،١٠٣/٢٦

الدلالة التي أوحت باستمرار تخبُّطهم وعدم إبصارهم ما داموا مستمرِّين في السِّباق على العوار الذي فيهم .

وهكذا تكاملت القراءتان بتعاقب البِنيتين : الماضي التي مثَّلت أسلوب الخبر ، والأمر التي مثَّلت أسلوب الإنشاء لترسم كل قراءة دلالات صوَّرت الجوانب التعبيرية التي تمَّ بها الحدث ، وذلك بالإشارة إلى ترتيب الأحداث حال ورودها ، ودلالات كل حـــدث ، وبذلك تكامل أسلوبُ الخطـــاب ومقاماتُه في القراءتين ، مع اقتصادٍ في اللفظ بـــالتعبير عن كل تلك المعاني . إنها بحقٍّ روعة هذا الكتاب العزيز .

لقد تفنَّن القرآن الكريم في نقل لغة الخطاب من أسلوب إلى أسلوب مما استدعى معه إثارة النشاط ، ولم يجر الكلام على نسق واحد ليظل السامع في تشوُّقٍ ، وتشـــوُّفٍ أن يطرق سمعه تلك العبارات المسبوكة ، والجمل المتناسقة . ومن خلال تلـــك النمـــاذج تناغمت وسائل التعبير المختلفة ، وتجاوبت دلالاتها داخل النسق القرآني ، وبتغيُّر بنية الفعل من الماضي إلى الأمر تحقَّقت العديد من الدلالات ، منها :

- تعظيم حال من أُجْري عليه فعل الأمر ، كما في : (**اسْتَفْتِحُوا**) أمرًا للرسل بطلب النصرة ، تعظيمًا وإكرامًا لمسيرة جهادهم ودعوتهم لله تبارك وتعالى .
- بيان كيفية وقوع الحدث ، كما في قراءة : (**فاسْتَبَقُوا**) التي صورت مشهد الحدث ، وأبانت عن كيفية وقوعه في جوٍّ من التعجيز والتحقير ، فهم لمَّا طُمِست أعينهم ؛ ما أمْكَنَهُم الاستباق .

وهكذا تبيَّن أنَّ في صورة التغيُّر بين الفعلين إحداثٌ لمشهدين : مشهدٍ قـــائم علـــى الغياب والإخبار بكل تفاصيله تكفَّل الفعل الماضي بإبرازه وبيانه ، مـــا يلبـــث أن ينساب بسلاسةٍ إلى مشهدٍ آخر قائم على الخطاب والحضور بكل تفاصيله مثَّله فعل الأمر فكانت معه لغة الخطاب أدعى لإقبال المخاطبين ، وتلقِّيهم دلالئله دون غموض أو توهُّم . هذا التكامل بين المشهدين في هذه الصورة لا يجد القـــارئ معـــه إلا أن

يُمْتِع نفسه بلوحات فنيَّة جميلة من تناسق اللفظ ودلالته ، " مثال ذلك – ولله المثل الأعلى – أنَّه لو رسم فنَّانٌ لوحة بالغة الجمال والدِّقة ، وتحدَّى بها أهل الصَّنعة ، فجعل أهل الصَّنعة يتأمَّلونها ويعجبون ويقولون : إنَّ هذه اللوحة لو غُيِّر أيُّ شيء فيها لفسدت ، ولأمكننا أنْ نصنع مثلها ، فيغيِّر فيها شيئًا فينظرون إليها فيزدادون عجبًا ، ويقولون : إنَّ هذا التغيير لم ينل منها ، بل زادها حسناً فما أعجب هذا الأمر! ثم يقولون : إنَّها لا تحتمل تغييرًا آخر فيها البتَّة ، ولو غيِّرت لفسدت قطعًا . فيغيِّر فيها شيئًا آخر فينظرون إليها فيقولون : ما أعجب هذا ! فإنَّها لمْ تزد إلا حسناً وجمالاً . وهكذا . كان ذلك أدلّ على عظيم قدرة الفنان وإنَّ ذلك لم يأت منه موافقة ، بل إنَّه يقدر أنْ يفعل ما يعجز عنه الآخرون متى أراد "[1] ، وهذا ما أوحت به صورة هذا التغيُّر ، فإنَّها لم تزد المعنى إلا حسناً وجمالاً .

(١) السامرائي ، فاضل : على طريق التفسير البياني ،١/١٠



المبحث الثاني :

التغيُّر من الفعل الأمر إلى الماضي، ودلالته



توطئة :

حظيت بنية فعل الأمر باهتمام بالغ لدى الفقهاء والأصوليين من خلال بيان ما يراد بها في أمور الدين من أحكام شرعية تتعلق بالمكلَّف من حيث الوجوب والندب والإباحة ، وكانت مباحث الأمر في فترة من الفترات في بعض الدراسات اللغوية والأدبية تقف عند الحدِّ الفقهي لدلالة البنية ولا تتجاوز بيان ما يترتب عليها من أحكام ، ثم جرت محاولات تجديدٍ لدراستها في سياقها اللغوي والبلاغي دون المساس أو التعرُّض لمعناها التشريعي كما ظهر ذلك جليًّا عند الزمخشري ت(٥٣٨هـ)(١) .

وتمثل حالة التغيُّر التي يدرسُها الباحث في بنية الفعل من الأمر إلى الماضي عدولا سياقيًّا ، يترتب عليه العديد من الدلالات ، تظهر بِتَصَوُّر مشهد هذا التغيُّر في سياقه العام ، بعيدًا عن البحث في جزئيات دلالة البنية مجردة عن السياق .

وقد ناقش العلماء أغراض مثل هذا النوع من التغيُّر ، ورصدوا له دلالات عدَّة تمثل في غالبها الأغراض البلاغية لفعل الأمر ، والحقيقة أنَّ مثل هذا الرصد لا ينبغي أن يكون مجردًا عن السياق ، واستخلاص دلالة عامة تحكم صورة التغيُّر في فعل الأمر كما صنع الفخر الرَّازي ت(٦٠٤هـ) حين نصَّ على أنَّ صورة هذا التغير تدلُّ على المقت و التبعيد(٢) ربَّما لا تستقيم في كثير من الأحيان مع السياق الخاص ، إذ قد ترد دلالات أخرى يُلْمِح الموضع الواحد إلى تنوُّع أغراضها ، وتعدد مقاصدها باختلاف نظر المتلقِّين للنَّص . وقد رصد الباحث (**أحد عشر**) أنموذجًا لصورة التغيُّر من الأمر إلى الماضي بين القراءات القرآنية ، منها (**ستة**) أفعال وردت بقراءات متواترة ، والبقية شاذَّة(٣) ، وسيتناول الباحث بالتحليل والدراسة النَّماذج الآتية :

---

(١) يُنظَر : أبو موسى ، محمد حسنين : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ، ٣٠٤

(٢) يُنظَر: الرازي : مفاتيح الغيب ،٧٢/١٧ ، واعترض عليه محمد ، أحمد سعد : التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ،٣٥٠

(٣) يُنظَر : ملاحق الرسالة

١. ﴿ وَٱتَّخِذُواْ ﴾ :

قال تعالى : ﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمۡنًا **وَٱتَّخِذُواْ** مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ البقرة : ١٢٥

❖ مذاهب القرّاء :

- قرأ ابن كثير وعاصم ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي بكسر الخاء من الفعل (**وَاتَّخِذُوا**) على الأمر.
- وقرأ نافع ، وابن عامر بفتح الخاء على أنه فعل ماض (**وَاتَّخَذُوا**)(١) .

❖ معاني القراءتين وتوجيهِهما :

للعلماء في توجيه قراءة الأمر أقوالٌ ، منها(٢):

- عَطْفٌ على (**اذْكُرُوا**) في قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ البقرة: ١٢٢، وعلى هذا القول يتوجه الخطاب في القراءة إلى بني إسرائيل ، أي : اذكروا نعمتي ، واتخِذوا .
- معمولٌ لقولٍ محذوفٍ أي : وقلنا اتَّخِذوا ، والمعنى متجِّه إلى إبراهيم عليه السلام وذريته ، أو لمحمد ﷺ وأمته .
- عطف على الأمر الذي تضمَّنه قوله (**مَثَابَة**) كأنَّه قال : ثوبوا واتَّخِذوا ، وهو بعيدٌ .
- أنْ يكون مستأنفًا ، ذكر هذا الوجه العكبري(١) .

---

(١) يُنظَر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ،١٦٩ ، ابن غلبون : التذكرة في القراءات الثمان ،٢٥٩/٢، مكي بن أبي طالب : التبصرة ،١٦١ ، الداني : التيسير ،٢٣٢، ابن الباذش : الإقناع في القراءات السبع ،٦٠٢/٢ ، ابن الجزري : النشر ،٥٢٦ ، السفاقسي : غيث النفع ،٩١

(٢) يُنظَر : السمين : الدر المصون ،١٠٥/٢ ، ابن عادل : اللباب في علوم الكتاب ،٤٦٢/٢

ومردُّ هذه الأقوال جميعها إلى : الإلزام والفرض[٢] سواء أكان المخاطب إبراهيم عليه السلام وذريته ، أم بنو إسرائيل ، أم محمد ﷺ وأمته ، ويرى الفخر الرازي ت(٦٠٤هـ) أنَّ الأمر هنا لأمة محمد ﷺ أن يتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، وأنَّ ورود الفعل في خلال ذكر قصة إبراهيم عليه السلام اعتراضٌ ، التقدير فيه : أنَّا لمَّا شرَّفناه ووصفناه بكونه مثابة للناس وأمنا ؛ فاتَّخِذُوه أنتم قبلة لأنفسكم[٣].

ومما يقوي توجُّه الأمرِ إلى أمة محمد ﷺ ما أخرج أبو داود في كتاب المصاحف **عن مُجَاهِدٍ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ آخِذًا بِيَدِ عُمَرَ رضي الله عنه ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْمَقَامِ، قَالَ : هَذَا مَقَامُ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ** عليه السلام **؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : " نَعَمْ "، قَالَ : أَفَلا نَتَّخِذُهُ مُصَلًّى؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ : (وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى)** "[٤] .

أما قراءة الخبر فعلى ثلاثة أوجه :

- العطف على (**جَعَلْنَا**) المخفوض بإذ ، ويكون تقدير الكلام فيه على جملة واحدة : واتَّخذ الناس من مكان إبراهيم الذي عرف به وأسكنه ذريته عنده وهو الكعبة قبلة يصلون إليها .
- العطف على مجموع (**وإذْ جَعَلْنَا**) ، وعليه فيحتاج إلى تقدير إذ ، فيكون المعنى : وإذ جعلنا ، وإذ اتَّخَذوا ويكون الكلام على جملتين ، قال أبو علي الفارسي ت(٣٧٧هـ) : " وممَّا يؤكِّد الفتح في الخاء أنَّ الذي بعده خبرٌ وهو قوله : (**وعهدنا ...**) "[٥] ، وعلى هذين الوجهين يكون المعنى إخبارًا عن ولد إبراهيم عليه السلام أنَّهم اتَّخذوا مقامه مصلًّى .

(١) يُنظَر : العكبري : إملاء ما منَّ به الرحمن ،٦٩
(٢) يُنظَر : الأخفش : معاني القرآن ،٢٨٢
(٣) الرازي : مفاتيح الغيب ٥٣/٤
(٤) ابن أبي داود : كتاب المصاحف ،٣٨١/٣
(٥) الفارسي : الحجة في علل القراءات ،٥٩/٢

- العطف على محذوفٍ تقديره : فثابوا واتَّخَذوا ، ذكره العكبري[١] .

ومردُّ هذه الأقوال إلى أنَّ القراءة بفتح الخاء في (**واتَّخَذوا**) إخبارٌ عمَّن كان قبلنا من المؤمنين من ذرية إبراهيم عليه السلام ، وممن بعده أنَّهم اتخذوا من مقامه مصلًّى ، قال في الكشف : " والتقدير واذكر يا محمد إذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا ، واذكر إذ اتَّخَذ الناس من مقام إبراهيم مصلًّى ، واذكر إذ عهدنا إلى إبراهيم فكله خبر، فيه معنى التنبيه والتذكير لما كان . فَحُمِل على ما قبله وما بعده ؛ ليتفق الكلام ويتطابق ، فـ : (**إذ**) محذوفة مع كل خبر لدلالة (**إذ**) الأولى الظاهرة على ذلك "[٢] .

❖ أثر القراءتين على المعنى :

القراءتان في سياق الحديث عن بدايات قصة بناء إبراهيم عليه السلام للبيت العتيق الذي اتصلت به أفئدة الناس وأرواحهم ، وهفت إليه قلوب كثيرٍ منهم ، ومع امتداد الحقبة التاريخية وطولها بيننا وبين تلك البدايات التي أُسِّسَت فيها قواعد هذا البيت العتيق إلا أنَّ القارئ يشعر من خلال السَّرد المتناسق للآيات بالوحدة الزمنية وكأنَّ معالم القصة وتفاصيلها حادثة تجري الآن أمام ناظريه ، وممَّا زاد السياق روعة وأكسبه بهاءً صورة التغيُّر الحاصلة في بنية الفعل من الأمر إلى الماضي ، ولنتأمل شيئًا من تلك الدلالات :

<u>القراءة بالأمر (اتَّخِذُوا) :</u>

اختارها جمعٌ وقالوا : هي آكد وأبينُ للفرض ، وبها يتحقق اللُّزوم[٣] ، بل حكم بعض الباحثين بأنَّ القراءة بها أبلغ وأفصح كونها تدلُّ على الأمر الصريح[٤] ، ولأنَّ وجوب اتخاذ المقام مصلًّى بلفظ الأمر أوجب منه إذا كان بلفظ الخبر ، لأنه إذا كان خبرًا عن

(١) يُنظَر : العكبري : إملاء ما منَّ به الرحمن ، ٦٩
(٢) مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات السبع ، ٢٦٣/١
(٣) يُنظَر : الطبري : جامع البيان ، ٢٥٤/٢ ، الزَّجَّاج : معاني القرآن وإعرابه ، ٢٠٧/١ ، الفارسي : الحجة في علل القراءات ، ٥٩/٢ ، المهدوي : شرح الهداية ، ٣٦٩-٣٧٠
(٤) يُنظَر : عيسى ، محمد : أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي ، ٢١٢

قوم اتَّخَذُوه قبلنا ؛ لم يلزمْنا اتِّخَاذه حتى نؤمر بذلك ، أو يفسِّر لنا النبـــي ﷺ أنَّ هــذا الخبر معناه الأمر .

ومنهج التَّمييز بين القراءات والموازنة بينها على أساس التفاضل منهجٌ لم يرتضــه الباحث ابتداءً ، وسطَّر ما يؤيِّد ذلك في أثناء هذه الدِّراسة ، إذ القول بفصاحة أو بلاغة قراءة على أخرى يقتضي تفضيل قراءة على قراءة ، وعقد المقارنة بين القراءتين في هذا الموضع لا يسلَّم به ؛ لأنَّ القراءتين متواترتان ، وكلاهما حقٌّ من عند الله تعالى ، كما أنَّه حين يقال بفصاحة قراءة الكسر وبلاغتها على قراءة الفتح ؛ يَبْرُزُ من يناصـــر قراءة الفتح ويجعلها الأبلغ والأفصح ، كالشاطبي ت(٥٩٠هـ) مثلا الــذي يقــول فـــي منظومته :

واتَّخَذُوا بالفتح أعمَّ وأوغلا[1] **(الطويل)**

يقول أبو شامة ت(٦٦٥هـ): " وإنَّما جَعَل الفتحَ أعمَّ ؛ لأنَّ الضمير يرجع إلى عمــوم الناس فيكون الفعل موجَّهًا إلى الأمم قبلنا نصًّا ، وإلينا بطريق الإتباع لهم ؛ لأنَّ شــرع ما قبلنا شرعٌ لنا ما لم يرد ناسخٌ ، وأمَّا قراءة الكسر فتختصُّ بالمأمورين"[2] .

والباحث يرى أنْ تنزَّل كلُّ قراءة منزلة آية كما نصَّ علــى ذلــك ابــن الجــزري ت(٨٣٣هـ)[3] ، وأنْ يُنظر في دلالات كل قراءة في سياقها الذي وردت به ، ثم نتفيّــأ من ظلال تلك المعاني والدلالات ما يكون شاهدًا على إعجاز هذا الكتــاب العزيــز ، وامتلاكه ناصية البلاغة والبيان .

ومِمَّا يمكن قوله في دلالات هذه القراءة : توجيه المؤمنين لأن يحذو حذو من سبقهم من المؤمنين في العناية بالمقدسات ، والمحافظة عليها ومن ذلك مقام إبراهيم عليه السلام ،

---

(١) الشاطبي : حرز الأماني ، البيت ٤٨٤
(٢) أبو شامة : إبراز المعاني ،٣٤٥
(٣) يُنظَر : ابن الجزري : النشر ،٤٦

حيث وردت القراءة بالأمر (**اتَّخِذُوا**) تأمرهم بالاستمرار على نهج أبيهم إبراهيم عليه السلام ، وألا يكونوا أقلَّ عناية ممن سبقهم بأماكن عباداتهم[١] .

ومن تلك الدَّلالات ما يستوحى من الوقف على كلمة (**أمْنًا**) في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ البقرة : ١٢٥ ، فإنَّ الوقف عليها على قراءة الأمر : (**اتَّخِذُوا**) وقفٌ تامٌّ ؛ لأنَّه وقْفٌ على كلامٍ تمَّ معناه ، ولم يتعلق بما بعده لا لفظًا ولا معنى ، على خلاف من قرأ بالماضي : (**اتَّخَذوا**) فإنَّه لا يحسُنُ له الوقوف على (**أمْنًا**) ؛ لتعلقه بما بعده لفظًا ومعنى ، حيث أنَّ : (**واتَّخَذوا**) جملة في موضع جر بالعطف على (**جعلنا**)[٢] . ولعلَّ هذا – والله أعلم – مناسبٌ لِما ينبغي أنْ يكون عليه الأمر من وضوح عباراته ، وقِصر مفردات خطابه ، حتى يكون أفهم عند السامع . ولمَّا تمَّ الكلام بالوقوف على (**أَمْنًا**) ؛ كان الابتداء بالأمر (**اتَّخِذوا**) واضحُ الدلالة ، بيِّنٌ . قال الزَّجَّاج ت(٣١١هـ) : " والقراءة بالكسر أبين "[٣] . أمَّا قراءة الماضي فالسَّرد القصصيُّ مستمرٌّ ، وتلاحق الأحداث متواردٌ ، والنَّفس توَّاقةٌ لسماع المزيد من تفاصيل الحكاية ، فلمَّا قال : (**وإِذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً للنَّاسِ وأمْنًا**) يتردَّد في النَّفس صدًى يقول : ثمَّ ماذا ؟ لتكتمل القصَّة : (**واتَّخَذوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهيمَ مُصَلًّى**) ، وهكذا إلى أن تنتهي الحكاية .

<u>**القراءة بالماضي (اتَّخَذُوا) :**</u>

أفادت معنى الإخبار عمَّا كان عليه الناس من ولد إبراهيم عليه السلام ، وأتباعه من ذريته من اتخاذهم لمقام أبيهم إبراهيم عليه السلام مصلًّى . لقد اختصرت هذه القراءة أجيالاً متلاحقة ، وفترات زمنية متباعدة ، جيلٌ يتلوه جيلٌ ، وزمنٌ يعقبه زمنٌ ، ومع ذلك فالحركة مستمرة والاقتداء بالأب لم ينقطع ، وقد عُبِّر عن هذه الحقبة

---

(١) يُنظَر : الجمل ، محمد: الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة ،٥١٩ ، الدليمي ، أحمد: فن الإلتفات في القراءات السبع . ص١١

(٢) يُنظَر : النَّحاس : القطع والأئتناف ،٧٨ ، الداني : المكتفى في الوقف والابتداء ١٢٨ ، الجمل ، عبد الرحمن: أثر اختلاف القراءات القرآنية في الوقف والابتداء .ص٢٩٧

(٣) الزَّجَّاج : معاني القرآن وإعرابه ،٢٠٧/١

الضَّاربة جذورًا في التاريخ ، المُمْتدَّة أحقابًا من الزَّمن بالفعل الماضي المتَّصل به واو الجماعة (**اتَّخَذُوا**) لتلخص تفاصيل موقف الاتِّباع والاقتداء .

كما أشارت القراءة إلى عِظَمِ قيمة هذا المقام وأهميته في نفوس المؤمنين والصالحين من أتباع الأنبياء ، وأنَّ المؤمنين من لدن أبيهم إبراهيم عليه السلام وهم يعظِّمونه ، ويُجلُّونه ، ويقصدونه بالصلاة[١] .

والملاحظ أنَّ كلَّ جملة فعلية وردت في هذا السياق من مثل : (**جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً**) ، (**واتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إبْرَاهِيم**) ... عبارةٌ عن خبر تحمل معنى التنبيه والتذكير لما كان عليه النَّاس في الماضي ، فحُمِلَ الكلام على ما قبله وما بعده ليتَّفِق ويتطابق وهذا ما نصَّ عليه مكي ت(٤٣٧هـ) في الكشف[٢] ، وإرادة التطابق والاتفاق في سياق الأفعال على هذه القراءة لبيان قيمة هذا المكان التاريخية وتمدُّحِ المعظِّمين له من أتباع الأنبياء[٣] ، والتعريف بأنَّ ليس كل قديمٍ يُنبَذ ، وأنَّ اقتفاء الأبناء هدي آباءهم والسير على خطاهم ليس مذمومًا على الإطلاق[٤] .

ويلْحظُ أنَّ للزمن مساحةً ونظرًا في بنيتي الفعلين ، وقد ذهب د.الهتاري إلى أنَّ القراءة بالإخبار عن وقوع الفعل قد تنزَّلت بعد قراءة الأمر به ، وترتَّبت عليها[٥] ، ووجد الباحث قريبًا من هذا الرأي عند د. خير الدين سيَّب[٦] ، ولعلَّ مستند هذا القول تساؤلٌ أثاره ابن خالويه ت(٣٧٠هـ) عند توجيههِ لهذه القراءة حين قال : " فإنْ قيل : فإنَّ الأمر ضدُّ الماضي ، وكيف جاء القرآن بالشيء وضدِّه ؟ فقل : إنَّ الله تعالى أمرهم بذلك مبتدئًا ففعلوا ما أُمِروا به ، فأثنى بذلك عليهم ، وأخبر به ، وأنزله في العرضة الثانية "[٧] .

---

(١) يُنظَر : الجمل ، محمد: الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة ،٥١٨
(٢) مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات السبع ،٢٦٣/١
(٣) يُنظَر : حبش ، محمد: القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ،٢٦٣
(٤) يُنظَر : الجمل ، محمد: الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة ،٥١٨
(٥) يُنظَر : الهتاري ، عبد الله: الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي ،٧٨ ، تحولات الأفعال في السياق القرآني ،٣٥
(٦) يُنظَر : سيَّب ، خير الدين: تغاير الأسلوب في القراءات القرآنية وأثره في اختلاف المعنى ، ٩٨
(٧) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع ،٨٧

ويرى الباحثُ خلاف ذلك ، صحيحٌ أنَّ دلالة الزمن لها حظٌّ ومساحة من بنيتي الفعلين لكنَّ الحكم بأنَّ فعل الأمر سابقٌ للماضي يحتاج إلى مستند ودليل . قد يُرى لأول وهلة أنَّ هناك أمرًا واستجابة له والترتيب المنطقي أن يكون الطلب سابقًا للجواب ، ولكنَّا إنْ نظرنا إلى دلالتي القراءتين من زاوية أخرى فيمكن القول : القراءة بالماضي سبقت الأمر من حيث أنَّ مقام إبراهيم عليه السلام لم يزل مصلًّى يتخذه المتحنِّفُون على ملته وهذه دلالة الماضي (**اتَّخَذوا**) ، فجاءت الشريعة بإقرار ذلك ثم الحثِّ عليه بقراءة الأمر : (**اتَّخِذوا**) ، والقول بأن تَنَزُّل قراءةِ الأمر كان سابقًا لقراءة الإخبار يحتاج إلى دليل ، ولا تُفهَم هذه الأسبقية من حديث عمر رضي الله عنه الآنف الذكر[1] ، بل يمكن القول أنَّ عمر رضي الله عنه قد انقدح في ذهنه أو سمع أخبارًا عن قبلة المسلمين الأولى وكيفية بنائها ، وأنَّ هذا المقام مقام إبراهيم عليه السلام وسؤاله يُنبِئُ عن علم ولو في حدِّه اليسير " **يا رسول الله هذا مقام أبينا إبراهيم ؟!** ، ولو لم تكن الدلالة الزمنية للفعل (**اتَّخَذوا**) سابقة لما بادر عمر رضي الله عنه بالعرض (**أفلا نتخذه مصلى ؟!**) ، ولماذا إذنْ الصلاة دون غيرها من سائر العبادات ، لا شكَّ أنَّ هناك خلفيَّةً تاريخيَّة في ذهن عمر رضي الله عنه ولَّدت عنده هذا العرض بغضِّ النظر عن حجمها ومقدارها . ومن هنا يمكن القول بأنَّ أسبقية تَنَزُّل قراءة الأمر على قراءة الخبر غير متحقِّقة .

والباحث يرى أنَّ الأولى إعمال القراءتين معًا ، والتَّأمُّل في دلالتيهما مجتمعتين ، بغضِّ النظر عن أيِّهما كان الأسبق تنزُّلاً ؟ فمِمَّا يحمله إعمال دلالتي القراءتين مجتمعتين :

- أنَّ الناس من أتباع الخليل عليه السلام اتخذوا من مقامه مصلًّى ، وبنية الفعل في معرض المدح باستحباب فعلهم ، وأُمِرْنا نحن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم أن نتَّخذه مصلًّى اقتداءً بهم وتأسِّيًا ؛ " لأنَّ شرع من قبلنا شرعٌ لنا ، ما لم يرد ناسخ "[2] . يقول الله تعالى :

(١) يُنظر : ص ١٢٣ من هذا البحث
(٢) يُنظر : الغزالي : المستصفى من علم الأصول ،٤٣٥/٢

﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ٦٨

- في القراءتين ذمٌّ مبطَّنٌ لليهود على القول بأنَّ الخطاب لهم[١] ، فإنَّه تعالى لمَّا فُهِم ثناؤه على المؤمنين من أتباع محمد ﷺ باتخاذهم مقام إبراهيم عليه السلام مصلَّى ؛ قدَّم زجرًا لليهود بفعل الأمر (**اتَّخِذُوا**) أي : عن إنكار التوجُّه إلى الكعبة .
- كما أثارت القراءتان العديد من المسائل الفقهية التي استنبط منها الفقهاء معاني مختلفة منها على سبيل المثال : هل تشرع الصلاة عند المقام أم لا ؟! و هل الصلاة خلف المقام سنة أم واجبة ؟ وغيرها من الخلافات الفقهية مِمَّا ليس هذا محلٌّ بسطها وتفصيلها[٢] ، لأنَّ ما يهمنا هو بيان أثر هذا التغيُّر على الدلالة والمعنى .

وهذه المعاني المتكاملة لهاتين القراءتين لم تكن لتظهر بهذا الكمال لو أنَّ القراءة كانت بوجه واحد فقط ، فتنوُّع اللفظ أدَّى ما تؤديه العبارات وزيادة ، وليس هناك أوجز وأدلُّ على المعنى من ذلك .

---

(١) يُنظَر : السيوطي : قطف الأزهار ،٣٢٢/١ ، واستبعده ابن جُزّي : التسهيل لعلوم التنزيل ،٨٣/١
(٢) يُنظَر للاستزادة : آل إسماعيل ، نبيل : علم القراءات ،٣٨٢، حبش ، محمد : القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية ،٢٦٣

☐ **٢.** ﴿ بَعِّدْ ﴾ :

في قوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ سبأ: ١٩

❖ مذاهب القرّاء :

ورد في هذا الفعل عدَّة قراءات ، منها[١] :

- قرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بفتح الباء في (**ربَّنا**) على النداء ، و (**بَعِّد**) بغير ألف مع تشديد العين وكسره ، على أنَّه فعل أمر .
- وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة و الكسائي وأبو جعفر وخلف (**ربَّنا**) بالفتح على النداء ، و(**باعِدْ**) بكسر العين مخففة مع ألف قبلها وسكون الدال على أنَّه أمر
- وقرأ يعقوب (**ربُّنا**) بالرفع ، و(**بَاعَدَ**) بفتح العين مخففة مع ألف قبلها ، وفتح الدال ، على الماضي ، ووردت قراءات أخرى من مثل : (**ربُّنا بَعَّدَ**)[٢] بفتح العين ، وتشديده ، وفتح الدال ، و(**ربَّنا بَعُدَ بينُ أسفارنا**)[٣] و(**ربَّنا بَاعَدَ بينَ سفرِنا**) [٤] و(**بُوعِدِ**) [٥] ، وغيرها[٦] ، وسيقتصر الباحث على ثلاث القراءات الأولى .

❖ معاني القراءات وتوجيهها :

اشتركت قراءة الجمهور مع قراءة ابن كثير وأبي عمرو وهشام في نصب (**ربَّنا**) على النداء أي : يا ربَّنا ، والفعل على كلا القراءتين أمرٌ (**بَاعِدْ**) و (**بَعِّد**) . وقد

---

(١) يُنظَر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ،٥٢٩ ، ابن مهران : المبسوط في القراءات العشر ،٣٦٢ ، مكي بن أبي طالب : التبصرة ،٣١٢، ابن خلف: الاكتفاء في القراءات السبع ،٢٥٠، الجندي : بستان الهداة ،٧٥٦ ، ابن الجزري : النشر، ٦١٧، حبش ، محمد : الشامل في القراءات المتواترة ،٢٤٢، محيسن ، محمد: الإرشادات الجلية ،٦٦٦
(٢) قرأ بها يحيى بن يعمر: يُنظَر : ابن مهران : المبسوط في القراءات العشر،٣٦٢
(٣) اليماني وجماعة : يُنظَر : ابن خالويه : مختصر في شواذ القرآن ،١١٢
(٤) يحيى بن يعمر : يُنظَر: المرجع السابق ،١٢٢
(٥) حكاه أبو معاذ : يُنظَر : المرجع السابق ،١٢٢
(٦) يُنظَر مثلاً : الكرماني ، محمد بن أبي نصر : شواذ القراءات ،٣٩٠ ، ابن خالويه : القراءات الشاذة ،١٨١ ، العكبري : إعراب القراءات الشواذ ،٢/ ٣٢٧

ذهب جمعٌ من العلمــاء إلى أنَّ معنى الفعلين واحــدٌ والمقصود بــه : التَّبـــاعد[١] ، مستدلين بأنَّ (**فَاعَل وفَعَّل**) يجيئان بمعنى ، كقولهم : ضـــاعف وضَـعَّف ، وقــارب وقَرَّب[٢] ، واللفظان في الآية جميعًا على معنى الطلب والدعاء ، و لفظهما الأمر.

وقد أنعم الله على قوم سبأ المخصوصين بهذه الآيات بنعم كثيرة فقد كان الرجل منهم لا يتزود ويمشي في ظل الشجر بين مساكنهم التي كانت ممتدة من اليمن إلى الشام ، " كان الغادي منعَّمًا يقيل في قرية ، والرائح يبيت في قرية إلى أن يبلغ الشام لا يخــاف جوعًا ، ولا عطشًا وعدوًّا ، ولا يحمل زادًا ولا ماءً "[٣] ، ولمَّا بطروا هــذه الــنعم ، وجهلوا العافية ، وغمطوا ما أنعم الله عليهم سألوا الله تعالى تغيير ما بهم ، والمباعــدة بين أسفارهم ، **وفي دعائهم على أنفسهم بصيغة الطلب معانٍ** :

- إمَّا أن يكون هذا الدعاء بطرًا وأشرًا منهم ؛ كونهم سئموا الراحة ، ولــم يصــبروا على العافية فتمنوا حينها طول الأسفار ، والكدح في المعيشة ، أو أن يكون بطرهم وأشرهم على سبيل التطاول على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الــزاد ، والمــاء تفاخرًا بمظهرهم واستهزاءً بالفقراء[٤] .
- وإمَّا أن يكون معتقدهم في الأصل فاسدًا لشدَّة اعتمادهم على أنفسهم ، ولأنَّهــم وإنْ سألوا ذلك فاعتقادهم أنَّ الله تعالى لن يقدر عليه – تعالى الله عن ذلك – ، رجَّح هذا ابن عاشور[٥] ، وهذا الاعتقاد ناشئٌ عن كونهم غير مقرِّين بالله تعالى تألُّهًا وتعبُّدًا مع اعترافهم بأنَّه ربُّهم .
- أو يكون دعاؤهم هذا نتيجة فساد ذوقهم في إدراك مصالحهم وقــد يكونــون مِمَّــن أدركوا تباعد الأسفار في بلادهم قبل أنْ تنتهي بهم إلى تلك النِّعم ، أو كانوا ممــن يسمعون عن أحوال الأسفار والتَّنقُّل ؛ فأُعْجِبوا بمثل هذه الأحوال فسألوها .

---

(١) يُنظَر : الأزهري : معاني القراءات ،٢/٢٩٤ ، أبو زرعة : حجة القراءات ،٥٨٨ ، مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات السبع ،٢/٢٠٧ ، الكرماني ، محمد بن أبي المحاسن : مفاتيح الأغاني ،٣٣٧
(٢) يُنظَر : الاستراباذي : شرح شافية ابن الحاجب ،١/٩٩
(٣) الزمخشري : الكشاف ،٣/٥٨٧
(٤) يُنظَر: سيكو ، كوليبالي : طبيعة الاختلاف بين القرَّاء العشرة ،٣٦٨، الألوسي: روح المعاني ،٨/١١
(٥) ابن عاشور : التحرير والتنوير ،٢٢/١٧٧

- أو كان دعاؤهم بلسان الحال فإنَّ كفرهم ومخالفتهم أمر ربهم تبارك وتعالى تستلزم أن تتحول عنهم النَّعم ، فلمَّا بطروا حلَّت بهم أسباب النقمة وتحول العافية ، والشكر قيدٌ للنعم كما أنَّ الكفر من أعظم أسباب زوالها .

أما قراءة يعقوب بالإخبار (ربُّنا باعَدَ) فتحمل معنى :

- الإخبار بأنهم استبعدوا القريب ، ورأوا أنَّ ذلك غير مقنع لهم ، وكأنّهم أرادوها متصلة الدور ، وفي هذا الإخبار تعسُّفٌ وتسخُّطٌ على أقدار الله تعالى وإرادته ، وفيه قلَّة شكرٍ لله تعالى على سابغ نعمه ، وسابق عطائه ؛ " لأنَّهم ما طلبوا التَّبعيد ، إنَّما طلبوا أقرب من ذلك القرب بطرًا وعُجْبًا مع كفرهم "[1] .
- أو أنَّهم دعوا الله تعالى أن يبعِّد بين أسفارهم بطرًا وأشرًا ، وخبَّر عنهم كما في قراءة الأمر فلمَّا فُعِل بهم ذلك ، وبوعد بين أسفارهم وتحقَّق دعاؤهم ، خبَّروا به وشكوا على وجه التَّسخُّط والتذمُّر ما فُعِل بهم .

وعلى كلٍّ فمن نصب (**ربَّنا**) فعلى النداء ، فإن جاء بعده طلبٌ كان ذلك كِبْرًا وبطرًا ، وازدراءً للنعمة ، وإن جاء بعده فعلٌ ماض فيكون (**ربُّنا باعَد**) إخبارًا وشكوى بعضهم لبعض تذمَّرًا ممَّا فُعِلَ بهم من المباعدة بين الأسفار والمراحل .

❖ أثر القراءات على المعنى :

" هذه القراءات إذا اختلفت معانيها لم يَجُز أن يقال : إحداهما أجود من الأخرى ، كما لا يقال ذلك في أخبار الآحاد إذا اختلفت معانيها "[2] ، ومن هذا المنطلق يتوجب على الباحث التعامل مع شكل التغيُّر الواقع لبنية الفعل بين القراءات .

تتحدث الآية عن قوم سبأ وما أنعم الله تبارك وتعالى عليهم من النعم الظاهرة الجلية ، من اتِّصال قُرَاهم بالشجر والثِّمار ، يسيرون فيها متى أحبُّوا من ليل أو نهار ، لا يحملون زادًا ، ومع تغادق هذه النعم عليهم إلا أنهم بدَّلوا نعمة ربهم كفرًا وبطرًا ، حتى

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، ٣٠١/١٧
(٢) النحاس : إعراب القرآن، ٧٩٠

إذا ما تحققت سنة الله تعالى فيهم أخذوا في التبرُّم والشكوى . وقد نقل لنا السياق القرآني ونسق الآية طرفًا من ذلك بوجهين من وجوه القراءة :

وجه النداء والطلب :

اختار هذا الوجه جمهورُ القراء في (**بَاعِدْ**) ، وابن كثير ومن معه في (**بَعِّد**) ، ودعاؤهم على أنفسهم دليل على أنهم ملَّوا النعمة ، وبطروا العافية ، وسئموا طيب العيش فطلبوا التبديل عن حالهم ، وتغيير ما هم عليه من النعم ، ومن رأى أنَّ الفعلين بمعنًى واحد أجرى دلالتهما على : " أنَّهم سألوا المباعدة في أسفارهم "[١] ، بيد أنَّ هناك فرقًا جليًّا بين بنيتي الفعلين تظهر من سياق سؤالهم : فالسؤال بـ (**بَاعِدْ**) فيه إشارة في طلبهم أنْ يطيل الله ذلك البعد ، وذلك مستوحى من الألف الذي يوحي بمضمون طلبهم ، وهو : المباعدة الكبيرة في المسافات بين القرى[٢] ، وممَّا يؤيد هذا المعنى إيثارهم التعبير بـ (**بين أسفارنا**) ، وهذا التركيب يعطي معنى : اجعل البعد بين أسفارنا ، يقول ابن عاشور : " ولمَّا كانت (بين) تقتضي أشياء تعيَّن أنَّ المراد : باعد بين السفر والسفر من أسفارنا ، ومعنى ذلك إبعاد المراحل ؛ لأنَّ كل مرحلة تعتبر سفرًا "[٣] . ولعلَّ في طلبهم الإطالة والمباعدة في المسافات تناسقًا مع ما وُجِّهت إليه صيغة الطلب عند الحديث عن توجيه القراءة :

- فهم طال تنعُّمهم وانغماسهم في هذه النِّعم ، بدليل أنَّهم سَئِمُوهَا ، ولا يسأم الإنسان شيئًا إلا إذا أكثر منه ، ولازمه فترة طويلة ، فطلبوا أن يُطَال في مسافات سفرهم قياسًا على طول مدة تلبُّثهِم في النِّعم على مبدأ القياس الفاسد .
- وفي طلبهم طول المباعدة بين الأسفار إيحاء صريح بحالة ما كانوا عليه من الكفر والتباعد عن ربهم تبارك وتعالى ، وإلا فإنَّهم لن يصلوا إلى مرحلة إنكار قدرة الله على التعجيل بالعقوبة إلا وهم يقفون على مسافات بعيدة عن مراد الله وأوامره .

---

(١) يُنظَر : النحاس : إعراب القرآن ،٧٩٠ ، القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ،٣٠٠/١٧
(٢) يُنظَر : البقاعي : نظم الدرر ،١٧٢/٦ ، الجمل ، محمد : الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة ،٥٢٤، قاسم ، رياض : القراءات القرآنية وأثرها في التفسير،٤٠
(٣) ابن عاشور : التحرير والتنوير ،١٧٧/٢٢

- وإن كان دعاؤهم ناشئٌ عن فساد ذوقهم في إدراك المصالح والمفاسد ؛ فإنَّ طلبهم المباعدة بين الأسفار تؤكِّد أنَّ هذا الذوق ذو مفاهيم مقلوبة ، يقف على مسافات بعيدة من مقاييس الذوق السليم ، فإنَّ ما يتمنَّاه المرء لنفسه إرادةُ النعيم ، وطلبُ الراحة ، لا الكدُّ في المعيشة ، والكدحُ في الرزق .
- كما ناسبت حالة ما هم فيه من الإيغال في المخالفة والعصيان ، وازدياد بطرهم وأشرهم بلسان حالهم ومقالهم أنْ يرِد الدعاء على لسانهم بالعقوبة التي تناسب ما هم فيه من البعد عن تعاليم ربهم تبارك وتعالى.

أمَّا السؤال بـ (**بَعِّد**) على القراءة الأخرى ففيه التَّشديد الذي يشير إلى إلحاحهم في الطلب ، كأنَّهم يقولون : بَعِّد بَعِّد ، أي : أعْظِمِ البُعْد وشدِّدْه[١] ، وفي هذا المعنى ملاحاة على الله تعالى ، وسؤالٌ بالتعنّت والتشديد يفيد حالة ما هم عليه من البطر والكفر بالنعم ، فتعدُّد الأمر على معنًى واحد يشير إلى " المبالغة والتأكيد "[٢] في أنْ يستجيب الله تعالى طلبهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ القصص: ٥٨ ، كما يفيد النداء تأكيد حصول الإلحاح منهم في الدعاء بذلك على وجه الجرأة والإنكار لنعم الله تعالى[٣] ، وفي كلتا القراءتين تصويرٌ لحالة ما وصلوا إليه من البطر ، وسأَمِ العيش ، وإملال العافية فطلبوا الانتقال عن حالةٍ كانوا عليها إلى حالةٍ أخرى من نكد العيش وكدحه ، أشاروا إلى هذا الانتقال والتحوُّل تارة بالمبالغة ، وتارة بالتأكيد قائلين : " اجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ، ونتزود الأزواد "[٤] .

---

(١) يُنظر : البقاعي : نظم الدرر ،١٧٢/٦
(٢) الجمل ، محمد: الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة ،٥٢٤
(٣) بازمول : القراءات وأثرها في التفسير والأحكام ،٤٥١
(٤) الثعلبي : الكشف والبيان ،٨٥/٨

<u>الوجه الآخر : وجه الإخبار :</u>

وهو إمَّا دليلٌ على إفراطهم في التنعُّم فاستبعدوا مسايرهم على قصرها ودنوها ، من باب إظهار الهمّ والحزن على ربهم تعالى مِمَّا صنع بهم ، قال ابن عباس : " شكوا ربهم عز وجل "(١) ، وإمَّا تصويرٌ لحالهم من شكوى بعضهم إلى بعض مِمَّا حلَّ بهم من بُعد الأسفار حينما أجاب الله طلبهم ، وكلا المعنيين ينبئ عن عدم اعتدادهم بنعم الله تعالى عليهم ، ويُظهِر حالة السَّخَط والتذمُّر التي كانوا عليها . قال ابن قتيبة (٢٧٦هـ) : " والمعنيان وإنِ اختلفا صحيحان ؛ لأنَّ أهل سبأ سألوا الله أن يفرِّقهم في البلاد فقالوا : (**ربَّنا باعِدْ بين أسفارنا**) ، فلمَّا فرَّقهم الله في البلاد أيادي سبأ ، وباعد بين أسفارهم ؛ قالوا : (**ربُّنا باعَدَ**) وأجابنا إلى ما سألنا ، فحكى الله سبحانه عنهم بالمعنيين في غرضين "(٢) .

وهكذا أبانت القراءة بالأمر عن حالة التمادي التي وصلوا إليها في إملال النعمة وبطرها ، فبَعْد أن لم تَروُق لهم تلك النِّعم الكثيرة التي مُتِّعوا بها قالوا : (**ربَّنا باعِدَ**) فدَعَوا الله تعالى أن يباعد بين أسفارهم : استخفافًا بمكر الله تعالى ، أو طلبًا للتمايز عن الفقراء على وجه السخرية بهم ، ولم يكتفوا بهذا الدعاء مرَّة واحدة ، بل استمروا في تكراره تماديا في الكفر ونكران النِّعمة ، فقالوا : (**ربَّنا بَعِّد**) ، ثمَّ أخذوا في التَّبرُّم والشَّكوى بعد أن حلَّ العذاب عليهم ، وأخبروا عن ذلك بقولهم : (**ربُّنا بَاعَد**) ، وهكذا شكَّلت هذه القراءات في مجملها وصف أحوال هؤلاء القوم وحقيقة بطرهم وتماديهم في إنكار النِّعم ، وعلى كلٍّ فهم : " في كل حالٍ بطِرون أشِرون ، منكرون نعم الله تعالى"(٣) ، وهذا دليلٌ آخر يضاف إلى دلائل إعجاز هذا الكتاب الكريم الذي استوعب النسقُ القرآنيُّ فيه الطرائقَ التعبيرية لحالات الخطاب بأخصر العبارات وأبلغها .

(١) النَّحاس : معاني القرآن ،٩٨٦/٢

(٢) ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن ،٣٣ ، و يُنظَر : المطعني : خصائص التعبير القرآني ،٣٧٩/١

(٣) يُنظَر: نهر، هادي: التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية ،١٥٥ ، : البيلي : المكشاف عمَّا بين القراءات العشر من اختلاف ،٢٠٩ ، رضوان ، سامي: تفسير القرآن الكريم بالقراءات العشر (سبأ – ص) ،٦٦

٣. ﴿ قُلْ ﴾ :

في موضعين :

- ﴿ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ الإسراء: ٩٣
- ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الجن: ٢٠

❖ مذاهب القرّاء :

الموضع الأول[١] :

- قرأ العشرة عدا ابن كثير وابن عامر بالأمر(**قُلْ**) بغير ألف.
- وقرأ ابن كثير وابن عامر بالماضي (**قَالَ**) بالألف .

الموضع الثاني[٢] :

- قرأ حفص وحمزة وأبو جعفر(**قُلْ**) بغير ألف على الأمر.
- وقرأ الباقون بالألف على الإخبار(**قَالَ**).

❖ معاني القراءات وتوجيهها :

تمثل هذه القراءة في الموضعين تغيُّرًا من الأمر (**قُلْ**) إلى الماضي (**قَالَ**) ، والتوجيه العام لمثل هذا النوع من التغيُّر أن يُقال : إنَّ الرسول ﷺ إذا قال قولاً ؛ فإنَّما قاله عن أمرٍ من ربه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ النجم: ٣ ، ويبقى أن

---

(١) يُنظَر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ،٣٨٥ ، ابن مهران : المبسوط ،٢٧٢ ، الداني : التيسير ،٣٤٥ ، ابن الباذش : الإقناع في القراءات السبع ،٦٨٧/٢ ، ابن الجزري : النشر ،٥٨٨

(٢) يُنظَر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ،٦٥٧ ، القرطبي ، عبد الوهاب : المفتاح في اختلاف القرأةِ السبعة ،٣٤٨ ، ابن الجزري : النشر ،٦٤٧ ، محيسن ، محمد: الفتح الرباني ،٢٥٦

يناقش الباحث في كلِّ موضعٍ أثر التغيُّر لبنية الفعل بين القراءتين على الدلالة والمعنى في ضوء السياق العام .

ففي الموضع الأول :

جاءت القراءة بـــ(**قُل**) لتأمر النبي ﷺ أن يقول : (**سُبْحَانَ رَبِّي**) للمشركين الذين اجتمعوا لمناظرته ومحاجَّته ، واشترطوا عليه لإيمانهم بعض الشروط التي فيهـا مـن اللَّجاجة والجفاء ما فيها ، كما بيَّنها قوله تعالى :﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ الإسراء: ٩٠ ــ ٩٤ ، ويقوِّي هذا المعنى ما ورد من تكرار بُنْية الأمر فـي الآيـات : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ ﴾ الإسراء: ٩٥ ، ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾ الإسراء: ٩٦ .

أمَّا قراءة الإخبار : (**قال**) فإنَّ المشركين لمَّا اقترحوا على الرسول ﷺ لإيمانهم ما تقدَّم من الآيات التي ليس في طاقة أحدٍ من البشر أن يفعلها ؛ قال الله تعالى لهم علـى لسان رسوله ﷺ : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ الإسراء: ٩٣ ، فـهذه الأشياء ليس في قوى البشر أنْ يأتوا بها ، بل هي مِمَّا يُظْهره الله تعالى تصديقًا للأنبياء .

أمَّا الموضع الثاني :

مــن قرأ بــ (قُل) ؛ فعلى وجه الأمــر من الله تعالى لنبيه ، أي : " يــا محمد ، قل للنَّــاس الــذين كــادوا يكــونون عليــك لبــدًا : ﴿ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ الجن: ٢٠"[1] ، والآيــات بعده تــوافق هذا المعنى وتؤكِّده ، قال تعالى : ﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴾ الجن: ٢١ - ٢٢

ومن قرأ بالخبر : (قَال) ؛ فلِمَا تقدَّم من ذكر الغَيْبَة قبله في قوله تعــالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴾ الجن: ١٨ ، ولمَّا أمره ربه تبارك وتعــالى فــي القراءة الأولى ؛ أتى بلفظ ما خاطبه الله به من الأمر له بقوله : ﴿ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ الجن: ٢٠، واختار مكي بن أبي طالب ت(٤٣٧هـ) وجهًــا آخر حيث جعل : ﴿ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ ﴾ الجن: ١٨ شرطٌ يحتاج إلى جوابٍ ، وجوابه (قال) ، لا (قل)[٢] .

❖ أثر القراءات على المعنى :

تحكي الآيات في الموضع الأول حالة العناد والعتو التي وصل إليها كفَّــــار قريش في طلب الآيات لا لغرض الإيمان بل للتعنُّت والتَّعجيز وقد اقترحوا أنواعًا من المعجزات :

- أوَّلها : ﴿ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴾ الإسراء: ٩٠

- ثانيها : ﴿ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴾ الإسراء: ٩١

- ثالثها : ﴿ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا ﴾ الإسراء: ٩٢

(١) الطبري : جامع البيان ،٣٤٨/٢٣
(٢) يُنْظَر : مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات السبع ،٣٤٢/٢

- رابعها : ﴿ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٩٢

- خامسها : ﴿ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ ﴾ الإسراء: ٩٣

- سادسها : ﴿ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الإسراء: ٩٣

ويتدفَّقُ من خطابهم كل معاني اللَّجاجة والاستكبار عن قبول الحق يشير الباحث إلى شيء من ذلك ، ليُرى مدى مواءمة صورة التغيُّر لدلالتي القراءتين :

- الينبوع : " الجدولُ الكثيرُ المــاءِ "[1] ، و(**تَفْجُر**) قُرِئت : (**تُفَجِّر**)[2] ، أرادوا كثرة الانفجــار من الينبــوع ، ومع أنَّ جريــان الماء من الينبوع واضحٌ لكل من شاهده ، إلا أنَّهم طلبوا وجهًــا آخر من وجوه التعجيز يضاف إلى قائمتهم الطويلة التي تنبئ عن عدم إيمانهم ، وإنَّما هو طلبٌ قائم على التَّشهِّي والتَّفَكُّه في طلب الآيات ظنًّا منهم أنَّ ذلك مِمَّا يعجزه تبــارك وتعالى ، فأرادوا : كثــرة الانفجار من الينبوع مع أنَّه واحــدٌ [3] ، مِمَّــا ينبئ عن عنتِهم وشِقاقِهِم .

- في قوله تبــارك وتعــالى : ﴿ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴾ الإسراء: ٩١ ، وجهٌ من التعنُّت آخر يضاف إلى مطالبهم السَّابقة مفاده : هب أنَّك لا تفجِّر هذه الأنهار لأجلنا ، ففجِّرها من أجلك ، على سبيل التَّهكُّم والازدراء

- وفــــي قولــــه تعــــالى : ﴿ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٩٢ لجاجةٌ ، ووقاحةٌ ظاهرتين ، فقــد طلبــوا أن يســقط السماء كسفًــا أي : " جُرْم السماء حالة كونها متقطِّعة قِطَعا قِطَعًا "[٤] ، وتأمَّل اللَّجاجــة

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ،٤٣٢٧ مادة (نبع)
(٢) قرأ به : ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ، يُنظر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ،٣٨٤
(٣) يُنظَر: الرازي : مفاتيح الغيب ،٥٨/٢١
(٤) الهرري : حدائق الروح والريحان ،٢٣٦/١٦

في قولهم : (**كَمَا زَعَمْتَ**) أي: كما زعمت أنَّك نبيٌّ ، أو كما زعمت أنَّ ربك إن شاء فعل .

– فإنْ لم يستجب النبيُّ ﷺ للطلبات السابقة فليأتِ بالله والملائكة قبيلاً أي: عياناً ، أو كفيلاً أنَّك رسول الله من عند الله ، أو قبيلةً قبيلةً يناصرون ويدفعون عنك ويقفون معك.

– ثم طلبوا أنْ يكون له بيتٌ من ذهب ، أو يرقى في السماء ، ولا يكفي ذلك لإيمانهم بل لا بدَّ أن يعود إليهم ومعه كتابٌ محبَّرٌ يقرؤونه يشهد له ، وهكذا قائمة طويلة لمن تأمَّلها في طلب الخوارق الماديَّة فيها من العناد والاستكبار والتبجُّحِ في حق الله تبارك وتعالى ما لا يقبله عقل ولا شرع ، بل تحمل في طياتها اقتراحات دالة على (**الطفولة العقليَّة**) كما سمَّاها سيِّد قطب ، حيث يقول : " وهكذا قصُر إدراكهم عن التطلُّع إلى آفاق الإعجاز القرآنيَّة ، فراحوا يطلبون تلك الخوارق الماديَّة ، ويتعنَّتون في اقتراحاتهم الدَّالة على الطفولة العقلية ، أو يتبجَّحون في حقِّ الذَّات الإلهيَّة بلا أدب ولا تحرُّج ... وتبدو طفولة الإدراك والتصوُّر كما يبدو التعنُّت في هذه المقترحات السَّاذجة . وهم يسوُّون بين البيت المزخرف والعروج إلى السماء ! أو بين تفجير الينبوع من الأرض ومجيء الله تعالى والملائكة قبيلا ! والذي يجمع تصوُّرهم بين هذه المقترحات كلها ، هو أنَّها : خوارق "[1] .

ولمَّا كان كلامهم على هذا الوجه من العناد والتَّبجُّح ، وليس المقصد في قرارة أنفسهم الإيمان والاستجابة ؛جاءت القراءة بـ (**قُلْ**) آمرةً الرَّسول عليه الصلاة والسلام أن ينزِّه ربَّه تبارك وتعالى عن كلِّ تلك المعاني التي أوردوها بما يدل على التعجُّب من كلامهم ، مستعملا في سبيل ذلك التعجُّب : (**سُبْحَانَ رَبِّي**) ، ثم الاستفهام الإنكاري : (**هَلْ كُنْتُ إلا بَشَرًا رَسُولا**) ، " سبحانه تنزيهًا له من عتوّكم وتمرُّدكم وقصدكم العنت وتصفية آثار الحق بعد أن عرفتموه وجرى بقيام الدلائل عليه

(١) يُنظر: قطب ، سيد : في ظلال القرآن ، ٤/٢٢٥٠

مجرى المظْهَر المشَـــاهَد "[1] ، والملاحظ أنَّه عليه الصلاة والسلام لم يؤمَر بالرَّدِّ على هذه التساؤلات وإيضاحها ، بل أُمِرَ بتنزيههِ تعالى والتعجُّب من مقترحاتهم تضخيمًا لِمَا قالوا ، وأنَّ ما قالوه لا يستحق أن يُلتفت إليه بقول ولا خطـــاب ، فالتعنُّت فيها واضحٌ لكلِّ ذي لبٍّ ، وهي لا تعدو أن تكـــون مقترحـــات ساذجة ، ولا أدلَّ على سذاجتهـــا من ذلك التخبّط في طلبها ، تـــارة تجمع بين الزخرف والعروج إلى السمـــاء ، وتـــارة بين تفجيـــر الينـــبوع من الأرض ومجيء الله سبحـــانه وتعالى والملائـــكة قبيـــلا .

ولمَّا سمع رسول الله ﷺ مقترحاتهم التي جاءت على سبيل التحدِّي ، ولقَّن اللهُ تعالى رسولَه الردَّ الذي يصدر عنه تبكيتًا لهم بما يناسب طلباتهم ؛ جاءت قـــراءة الماضـــي **(قَالَ)** مُخْبِرةً استجابته ﷺ لأمر ربه تعالى فورًا بما لا يدع مجالاً لانتقاص ما هـــو مُقَدَّسٌ في الشَّريعة ، ومربِّية على عدم السكوت عن الباطل ، الذي تمثَّل في وصف الله تعالى بما لا يجوز في حقِّه .

وفي الآيات تعليمٌ للمسلمين في كل عصر أن يسترشدوا بآيات الله تعالى في الرَّدِّ على تخرُّصات الكافرين والمجادلين بالباطل[٢] ، كما أنَّ في صورة التغيُّر من الأمـــر إلـــى الماضي ملْمَحٌ تربويٌّ وجب أن يربِّي عليه المســـلمون أجيـــالهم ألا وهـــو : ســـرعة الاستجابة لأمر الله تعالى و أمر رسوله ﷺ . وهذا إعجاز قرآني أوصلته القراءتـــان على سبيل الالتفات .

أما الموضع الثاني :

فحتى يُفْهم أثر صورة التغيُّر في هذا الموضع نعود قليلاً إلى السياق قبل هذه الآيـــة الكريمة ، قـــال الله تعـــالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ

(١) مجهول المؤلف وابن عطية : مقدمتان في علوم القرآن ، ١٢٧

(٢) يُنظَر: حمَّاد ، آمال : تفسير القرآن الكريم بالقراءات العشر(الإسراء – مريم) ، ١٢٩

أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ الجن: ١٩ - ٢٠ ، ويجدر أنْ يناقش الباحث في هذا السياق ثلاث مسائل بها يظهر أثر القراءتين على المعنى :

أولاً : من المقصود بـ (عبد الله) في الآية : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ الجن: ١٩ ؟

- قال قوم : هذا نوح عليه السلام ، وفي البحر المحيط : " أبْعَدَ من قال (**عبدالله**) هنا نوح عليه السلام كاد قومه يقتلونه حتى استنقذه الله منهم"[١] .
- وقال آخرون : هو محمد ﷺ ، وهذان الوجهان متخرّجان على القراءة بفتح الهمزة في ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ ﴾ الجن: ١٩ [٢] ، أمَّا على قراءة كسر الهمزة[٣] ، فالعبد هو محمد ﷺ .

ثانياً : هل هذا القول مما أوحاه الله لنبيه ﷺ أم من حكاية الجنّ لمَّا رجعوا إلى قومهم؟

- قال قوم : هو ممَّا أوحاه الله تعالى لنبيه ﷺ قولاً .
- وقال ابن جبير: بل هي من مقولة الجنّ لقومهم يحكون ، وعلى هذا فقوله تعالى : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ الجن: ١٦ ، وما بعده معترض بين كلام الجنّ ؛ لأنَّه ممَّا يُقْطع أنَّه ليس من كلامهم ، ويترتَّب على هذين القولين المسألة الثالثة ، وهي :

(١) أبو حيان: البحر المحيط، ٣٤٦/٨
(٢) قرأ بها : ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم ، يُنظَر : ابن مجاهد : السبعة في القراءات ، ٦٥٦
(٣) قرأ بها شعبة ونافع ، يُنظَر : المرجع السابق ، ٦٥٦

ثالثاً : إلى مَنْ يعود الضمير في قوله تعالى : (كَادُوا) في قوله تعـالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴾ الجن:١٩ ؟

- إنْ كان القول مِمَّا أوحاه الله لنبيه ﷺ ؛ فالضمير في (**كَادُوا**) يعود على[1] :
  – المسلمين في اجتماعهم على رسول الله ﷺ .
  – أو الجنّ حين استمعوا من رسول الله ﷺ قراءته .
  – أو الجنّ والإنس في تعاونهم على رسول الله ﷺ في الشرك .
- وإنْ كان القول من حكاية الجنِّ لقومهم كما نصَّ عليه ابن جبير ؛ فالضمير في (**كَادُوا**) عائدٌ إلى أصحاب محمد ﷺ ، والمعنى يتَّجه إلى إخبارهم بحال أصحابه ﷺ يَطُوعُونَ له ، ويقتدون به في الصلاة ، فهم عليه لبدًا أي : جماعات[2].

في ضوء تلك المسائل الثلاث نفهم أثر القراءتين على الدلالة : **فإنْ كان الكلام مِمَّا أوحاه الله تعالى ومِمَّا قاله** ؛ فالعبد المقصود في الآية هو محمد ﷺ ، والضمير في (**كَادُوا**) إمَّا : للمسلمين ، أو الجنّ ، أو الجنّ والإنس في تَظَاهُرِهِم عليه في الشرك ، فتكون دلالة القراءة : أنَّ الله تعالى يسوقنا بهذا الكلام إلى المشهد الأول من قصة استماع الجنِّ للقرآن الكريم ، كما هو محور السورة قبل أن يسمعوا ما أمر الله تعالى رسولَه ﷺ من قوله : (**إنَّمَا أَدْعُو رَبِّي**) .

<u>فإنْ كان الجنُّ</u> هم المقصودون بالخطاب ؛ فإنَّهم حين استمعوا القرآن كادوا يكونون عليه جماعات حرصًا على سماعهم ، أو تعجُّبًا من هذا الأمر الجديد الذي لم يعهدوه من قبل ، فلما رأى النَّبي ﷺ منهم ذلك قال : (**إنَّمَا أَدْعُو رَبِّي**) ، أي : ليس ما ترون من

(١) يُنظَر: الماوردي : النكت والعيون ،١٢٠/٦
(٢) ابن عطية: المحرر الوجيز ،٤٣٦/٨

عبادتي ورفضي الإشراك به تعالى بأمر يُتعجَّب منه ، إنما يُتعجَّب ممَّن يدعو غير الله ، ويجعل له شريكًا "[١] ، وهو ما دلت عليه قراءة (**قَالَ**) ، وهو ﷺ لم يقله إلا بعـــدما أمره الله تعالى به بقوله : (**قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو**) ، وهذا ما دلت عليه قراءة (**قُلْ**)[٢] .

وإنْ كان المقصود المؤمنين ؛ فالقـــراءة تصف حال أصحاب النبي ﷺ من تلبُّـــدهم عليه أي : تجمُّعهم حوله و اقتدائهم به ، فجاء الأمر بـــ (**قُلْ**) موجِّهًـــا لنبيـــه ﷺ أن يؤكِّد على هذا المعلم في نفوسهم (**إِنَّما أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِك بِهِ أَحَدًا**) ، فلمَّا أُمِـــرﷺ ائتمر ، وخبَّر كما أُمِر.

وإنْ كان المراد تَظَاهُر الفريقين عليه من الجنِّ والإنس في الشرك ، وفي إطفاء نور الله تعالى ؛ فإنَّ القراءة بـــ (**قُلْ**) جاءت على وجه الأمر من الله تعالى لنبيه ﷺ : يا محمد قل للنَّاس الذين كادوا يكونون عليك لبدًا : (**إِنَّما أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِك بِهِ أَحَدًا**) ، فقال للمتظاهرين عليه : (**إِنَّما أَدْعُو رَبِّي**) وليس هـــذا مِمَّـــا يســـتوجب عـــداوتكم وبغضكم .

وإنْ كان السياق من حكاية الجنِّ وهو مِمَّا يُحتَمل : فإنَّهم يحكون ما شـــاهدوه مـــن طاعة أصحاب محمد ﷺ له ، وائتمامهم به في الركوع والسجود ، فكأنَّهم قالوا : لمَّـــا قام يصلي كاد أصحابه يكونون عليه لبدًا ، ثم واصلوا حكايتهم فحكوا عن النبي ﷺ أنَّه قال لهم : (**إِنَّما أَدْعُو رَبِّي**) ، وهذه الدلالة ظاهرة لمن قرأ بـــ (**قَالَ**) . ومن قرأ بـــ (**قُلْ**) ؛ فكأنَّ فيه إشارةً إلى طبيعة الأوامر التي سيتلقاها الجنُّ ، " فالألفاظ بعد (**قل**) مقولٌ ذو بداية ونهاية ، محدَّدٌ بألفاظ معيَّنة ، ولا مجال أمام المتلقِّي المأمور في إبـــلاغ الأمر إلا بالصيغ التي نطق بها الآمر"[٣] ، وفي هذا تمهيد عامٌّ لنمط الخطاب الموجَّـــه إليهم ، القائم على الأمر بعبادة الله تعالى وحده ونبذ الشرك ، كما أنَّ فيه إعلامًا بأنَّـــه

(١) الزمخشري : الكشاف ، ٦٣٣/٤
(٢) يُنظَر : الجيلي ، علي : اختلاف القراءات من صيغة الماضي إلى غيرها حكمته ودلالته ، ص١٣٣
(٣) العتوم ، كامل : جمال التعبير في النَّص القرآني ، ص١٧٣

ينبغي عليهم تلقِّي الأمر بالصيغة التي وردت ، ويجعلهم في حالة من الترقُّب والاعتناء بما سيُؤمر به ، ويشير إلى نقيضه فكما أنَّه أُمِر بقول : (**إنَّمَا أَدْعوا رَبِّي**) ؛ لزم منه الأمر بعدم القول بنقيضه وهو الشرك فكأنه قال : ولا تقل غير ذلك . وقد جاء مفتتح السورة بفعل الأمر : ﴿ **قُلْ** أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ الجن: ١ ، ممهِّدًا لهم ، ومهيئًا النفوس لجملة التكاليف بعده من مثل : ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ الجن: ٢١ ، و﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ الجن: ٢٢ وغيرها ، وهكذا دارت صورة التغيُّر مع الدلالات السابقة ، محدثة اتِّساقًا عامًّا في المعاني بشكل التفات بليغ ، أحدث أثره مع كل صنفٍ من المخاطبين ، مربِّيًا الجميع على الاستجابة لأمر الله تعالى من غير تباطؤٍ أو توانٍ ، بنمطين من القراءة : متَّسقة ، و منقطعة على الاستئناف ، والمعنيان صحيحان: قلْ لهم ، فقال : (**إنَّما أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِك بِهِ أَحَدًا**) .

وهكذا تناوب فعل الأمر في عدد من الدلالات التي أحدثها السياق القائم على التغيُّر بين بنيتي الفعلين : الأمر والماضي ، ولوحِظ أنَّ استبدال الماضي بالأمر في هذه القراءات حقَّق عددًا من المقاصد الدلالية التي ناسبت الأحداث ، والمواقف ، والدعوات ، ومعاني الأحكام الشرعية بالدقة الإعجازية التي لا تُحدُّ ، مِمَّا هو سمت القرآن الكريم و خصائصه في كلِّ أسرار بنائه اللغوي ، ومن هذه الدلالات التي أوحت بها صورة هذا التغير:

١. الثناء والمدح :

كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ البقرة: ١٢٥. والتي تمدَّحت المعظِّمين للمقام اقتداءً بإبراهيم عليه السلام ، وأثنت على المقتفين سبيل الأنبياء .

٢.التوبيخ والتبكيت :

ويكثر أن ترد هذه الدلالة مع مجادلة الكفار لأنبيائهم ، كما في قوله تعـــالى : ﴿ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴾ الإسراء: ٩٣. فقد حمل التغيُّر طبيعة الرَّدِّ الموجَّه لطلبات هؤلاء القوم المبنيَّة على التَّعنُت والجدال بلغة تناسب تمامًا حالتهم التي هم عليها ؛ تنبيهًا لفظاعة جرائمهم ، وإبطالا لتُرَّهاتهم ، وفيه من التوبيخ والتقريع ما يكتسي معه الخطاب لهجة شديدة صريحة تتناسب مع المقام ، ثمَّ تتحوّل المواجهة بتغيُّر بنية الفعل إلى الماضي لتحقيرهم و إذلالهم و إهانتهم وذلك بالإعراض عن مخاطبتهم أو الردِّ على مطالبهم ، وإنَّما بالحديث عنهم بطريق الغيبة ، وإبعادهم عن مقام الحضـــور ، إذ هـــم ليسوا بأهل للخطاب .

٣. التقرير والإثبات :

كثير من القضايا المهمة يُسلَك للتأكيد عليها ، وتحقيق حصولها سبيل التغيُّـــر بـــين أساليب الخطاب ، فتارةً تَرد بصيغة الأمر المباشرة بما يحمل على إلزام المتلقي وعدم غموض الدلالة عليه ، وتارة تَرِدُ بالماضي لتؤكِّد القضية وأنَّها ينبغي أن تكون دخلـــت حيِّز التنفيذ ، بل لزمها المتلقي وصارت عنده في حكم ما قد مضى ، و يتضح هذا جليًّا في القراءة بقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ الجن: ٢٠، فقضيَّة خطيرة كقضيَّة المعتقد هذه ؛ لجديرٌ أن يتنوع أساليب الخطاب فيها للتأكيد على أهميتها ، يقول ابن عاشور: " وقد يتطلب وجه التفرقة بين ما صيغ بصيغة الخبر وما صيغ بصـــيغة الطلب ، فنفرق بين الصنفين : بأنَّ ما صيغ بصيغة الطلب كان في مقام أهمّ ، لأنَّه إمَّا تمثيل لإبطال الشرك ، وإمَّا لوعيد المشركين ، وإمَّا نحو ذلك خلافًا لِمَا صيغ بصـــيغة الخبر فإنَّه كائنٌ في مقام العبرة ، والموعظة للمسلمين وأهـــل الكتـــاب" [١] . وســـياق الخطاب هو من يحدد هذا المعنى أو ذاك.

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير ،٤٠١/٢٣

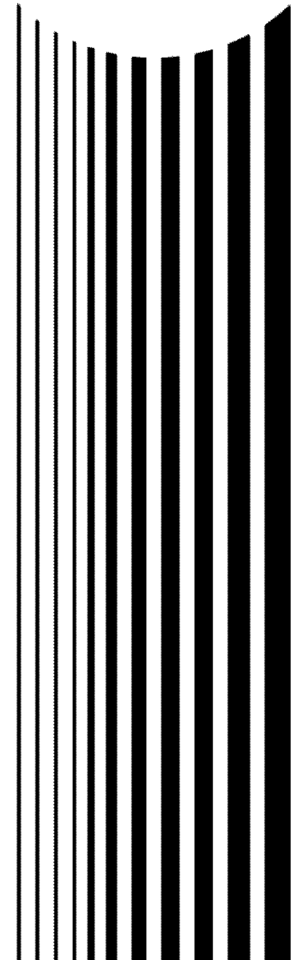
٤.المقت و التبعيد :

كما في قراءة : ﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾سبأ: ١٩، وهذه الدلالة تلائم الحالــة التي كانوا عليها من المقت لنعم الله تعالى ، واستبعاد الخير عنهم ، وأنَّ النعم التي كانوا ينعمون بها صباح مساء ما عادت تَروقُ لهم ، وأضحت أحاديث غوابر ملُّوها وسئموها فلما مَقَتُوا النِّعم مُقِتُوا ، ولما تباعدوا عن شكر المنعِمِ تبارك وتعالى ؛ أبعدهم . وإيــراد الآية بطريق الدعاء فيه مزيد تَعاسة وإبعاد لهم ، كما أنَّ إيراده على هيئة الخبر نـــوع إهانة وتحقير ، بالإضافة إلى كون الأمر المدعو به عليهم متحقِّقٌ لا محالة ، ومحصَّل القراءتين ما زادتهم إلا ثُبُورًا .

وهكذا مثَّل هذا التغيُّر بين بنيتي الفعلين ميدانًا كبيرًا لعمل النحوي والمفسِّر يريان من خلاله الوجوه التي تؤكد السِّمة الإعجازية في العبارة القرآنية ، وصدق الله تعالى حين قال : ﴿ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ هود: ١ .



الفصل الثالث



التغيُّر من الفعل المضارع إلى الأمر والعكس ، ودلالة ذلك

وفيه مبحثان :

- **المبحث الأوّل : التغيُّر من الفعل المضارع إلى الأمر ، ودلالته .**

- **المبحث الثاني : التغيُّر من الفعل الأمر إلى المضارع ، ودلالته**



المبحث الأول:

التغيُّر من الفعل المضارع إلى الأمر، ودلالته



توطئة :

يتميَّز الفعل المضارع عن الماضي والأمر بما يحدثه في نسق السياق من الحركة والتجدُّد لمشهد الحدث ، والمضارع إذ يتَّسم بذلك لا بدَّ وأن يظهر أثره على الدلالة الزَّمنية للفعل . بينما الأمر يفيد المستقبل أبدًا[١] ، لأنَّه " مطلوبٌ به حصول ما لم يحصل ، أو دوام ما حصل "[٢] ، وخالف بعض النُّحاة في هذه الدلالة لفعل الأمر فابن السرَّاج ت(٣١٦هـ) لا يرى وجود دلالة على الزَّمن في فعل الأمر حيث ذكر صيغتي : (**فَعَلَ**) و(**يَفْعَلُ**) وأوضح أنّ الزمان ماضٍ ، وحاضر ، ومستقبل ، وأغفل بُنْية الأمر في تقسيمه[٣] ، ولمَّا قسَّم ابن يعيش ت(٦٤٣هـ) أصناف الأفعال الدَّالة على الزَّمان ؛ لم يذكر الأمر[٤] .

والتغيُّر الحاصل بين البِنْيَتَين : المضارع والأمر يلقي بظلاله على سياق الكلام ، وهو إحدى صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر التي ذكرها البلاغيُّون وعلماء البيان ، إذ يخرج فيه المضارع عن ظاهره . ويكاد ينحصر التغيُّر بين بِنيتي الفعلين في مظهرين اثنين[٥] :

- الأول : ما احتمل سياقه تغاير الوجهين ، فيُحْمَل كلُّ أسلوب على ما يناسبه من المعنى .
- الثاني : ما حُمِل وجه الإخبار فيه على الأمر بأن اتُّخِذَت القراءة بلفظ الأمر وليجةً للتدليل عليها . وهذا مقصود الباحث في هذا التغيُّر .

والسياق هو من يُعيِّن دلالةً بعينها ، كما أنَّه هو المسؤول عن تشكيل بنية الخطاب وشكله والاتجاه الذي يسير فيه ، ومِمَّا يمنح هذه الصورة امتيازًا معنويًّا على نظائرها من صور التغيُّر في الماضي : امتداد دلالاتها في الزَّمان[٦] .

---

(١) يُنظَر : سيبويه : الكتاب ، ١٢/١
(٢) السيوطي : همع الهوامع ، ١٦/١
(٣) يُنظَر : ابن السراج : الأصول في النحو ، ٣٨/١-٣٩
(٤) يُنظَر : ابن يعيش : المفصل ، ٢٤/٧
(٥) يُنظَر : محمد ، أحمد سعد : التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية ، ٢٣٨
(٦) يُنظَر : الكردي : وجوه الاستبدال في القرآن الكريم ، ١٥٦

واتَّضح للباحث من خلال استقراء المواضع الواردة في صورة التغيُّـــر مـــن الفعـــل المضارع إلى الأمر بين القراءات القرآنية قِلَّتها مقارنة بغيرها من صور التغيُّر السَّابقة ، حيث بلغت في مجملها (**ثمانية**) نماذج ، منها : (**نموذجان**) من القراءات المتواترة ، وما تبقى يدخل في حيِّز القراءات الشاذّة [1] ، وهذا دليلٌ على القِلَّة التي أشـــار إليهـــا الباحث . وسيتناول الباحث بالدراسة ، والتحليل النماذج التالية :

(١) يُنظر : ملاحق الرسالة

١.﴿ أَعۡلَمُ ﴾ :

قال تعالى : ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ **أَعۡلَمُ** أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ البقرة:٢٥٩

❖ مذاهب القراء :

- قرأ ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وأبو جعفر ويعقوب : (**أَعْلَمُ**) مقطوعة الألف ، مضمومة الميم على أنَّ الفعلَ مضارعٌ .
- وقرأ حمزة والكسائي(**اعْلَمْ**) موصولة الألف ساكنة الميم على أنَّ الفعلَ أمرٌ[(١)].

❖ معاني القراءتين وتوجيهِهما :

القراءة بالفعل المضارع (**أعلمُ**) إخبارٌ من عزير صاحب القصة عن نفسه ، فالفاعل ضمير مستتر عائد عليه ، حيث إنَّه لمَّا شاهد قدرة الله تعالى في إحياء الموتى تيقَّن قلبُه واطمأنَّ والمعنى : " أَعلمُ أنَّ هذا الضرب من العلم لم أكنْ أعلمه معاينة "[(٢)] ، ويرى الطبريُّ ت(٣١٠هـ) أنَّه إنَّما قال ذلك بعدما اتَّضح له ما كان مستنكرًا في قدرة الله تعالى عنده ، ثمّ تيقَّن أمر ذلك بالمعاينة[(٣)] ، ولم يوافقه ابنُ عطية ت(٥٤٢هـ)[(٤)] ورأى أنَّه إنَّما كان الاعتذار باعثه . قال أبو حيان ت(٧٤٥هـ) : " قال ذلك على سبيل الاعتبار ، كما أنَّ الإنسان إذا رأى شيئًا غريبًا قال : لا إله إلا الله "[(٥)] .

---

(١) يُنظَر : العكبري : إعراب القراءات الشواذ ،٢٧٣/١ ، ابن الجزري : النشر،٥٣٣ ، الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر ،٤٥٠/١
(٢) مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات السبع ،٣١٢/١
(٣) يُنظَر: الطبري : جامع البيان ، ٦٢٠/٤
(٤) يُنظَر: ابن عطية : المحرر الوجيز ،٤٨/٢
(٥) أبو حيان : البحر المحيط ،٣٠٧/٢

أمّا القراءة بوصل الألف ، وسكون الميم على الأمر فتحتمل وجوهًا :

- أن يكون المَلَك قال له : (**اعْلَمْ**) .
- أن يكون أمرًا معناه الخبر ، وذلك أنَّه لما عاين الإحياء ، وتيقَّن قدرة الله تعالى على ذلك أنزل نفسه منزلة غيره فخاطبها كما يخاطب غيره فقال : " اعلم أيُّها الإنسان أنَّ الله على كل شيء قدير "[١] .
- أو أنْ يكون أمرًا من الله تعالى . واستبعده مكي بن أبي طالب ت(٤٣٧هـ)[٢] ، والوجه عنده : أنَّه لا معنى لأنْ يأمره الله تعالى بالعلم وقد أظهر له ما يتـيقَّن صِحَّتَه مشاهدةً .

ويرى الباحث – والله أعلم – أنَّ القول بأنَّ الأمر من المَلَك لا يدعمه السياق ، فلم يرد للمَلَك ذِكرٌ في الآيات ، إلا إنْ كان مستندُ هذا القول قراءةَ ابن مسعود ﷺ ببناء الفعل للمفعول وحذف الفاعل : (**قيل اعْلَمْ أنَّ الله على كل شيء قدير**)[٣] ، فيحتمل أن يكون القائل : المَلَك ، ولا يميل الباحث إلى القول بهذا في ظلِّ ثبوت القراءة المتواترة ، ولِما ثبت عن ابن عباس ﷺ أنَّه كان يقرأ الآية (**قَالَ أَعْلَمُ**) ويقول : أهو خيرٌ أم إبراهيم عليه السلام ؟ – يقصد سؤال إبراهيم عليه السلام ربه عن إحياء الموتى – إذ قيل له : ﴿ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٦٠[٤] .

أمَّا القول بأنَّه خطابٌ منه لنفسه أنزلها منزلة غيره فهذا واردٌ في لغة العرب ، وممَّا تفعلُه ، فإنَّ أحدهم يُنزِلُ نفسه منزلة الأجنبيِّ فيخاطبها كما يخاطبه ، واستشهد أبو علي الفارسي ت(٣٧٧هـ)[٥] بأبيات في هذا المعنى من مثل قول الأعشى ت(٧هـ) :

وَدِّعْ هُرَيرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ[٦] (**بسيط**)

---

(١) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه ، ٣٤٤/١
(٢) يُنظَر : مكي بن أبي طالب : الكشف عن وجوه القراءات السبع ، ٣١٢
(٣) يُنظَر : ابن خالويه : القراءات الشاذة ، ٣٥
(٤) يُنظَر : أبو زرعة : حجة القراءات ، ١٤٤
(٥) يُنظَر : الفارسي : الحجة في علل القراءات ، ١٩٢/٢
(٦) الأعشى : ديوان الأعشى الكبير ، ٥٥ ، التبريزي : شرح القصائد العشر ، ٢٨٨

فخاطب نفسه بالوداع كما يخاطب غيره ، وقال : أيها الرَّجل وإنَّما يعني نفسه . قال العكبري ت(٦١٦هـ) : " وهذا يسمَّى التجريد "[١] ، ومثله قول الأعشى ت(٧هـ) :

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عيناكَ ليلةَ أَرْمَدَا ... وعادَكَ مَا عادَ السَّليمَ المسَهَّدَا[٢] **(الطويل)**

وهو إنَّما يخاطب نفسه ، وهذا وجهٌ محتملٌ في القراءة .

وإنْ قلنا : بأنَّ القائل هو الله تعالى ؛ فيناسبه الأوامر السابقة في الآية مثل : **(فَانْظُرْ)** ، **(وانْظُرْ)** ويؤيِّده قراءة ابن مسعود ﷺ الآنفة الذِّكر **(قِيلَ اعْلَمْ)** على إبهام الفاعل والذي يحتمل أن يتوجَّه إلى الله تعالى لدلالة السِّياق عليه ، وإنَّما لم يتوجَّه إلى المَلَك على القول الأول لعدم ورود السياق به ، أمَّا القول بأنَّه لا وجه لأنْ يأمره الله تعالى وقد شهد دلائل القدرة والإحياء عيانًا ممَّا كان يسأل عنه ؛ فيبيِّنُه ما أمر الله تعالى به نبيه إبراهيم عليه السلام حين قال له : ﴿ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٦٠ ، والأمر في الموضعين على معنى : " لَزِمَ هذا العلم لمَّا عاينت وتيقَّنت "[٣] . والقراءة تتوجَّه إلى المعنيين الأخيرين : إمَّا أن يكون هو القائل على سبيل التَّجريد ، أو أن يكون القائل الله تعالى كما سيبيِّن الباحثُ ذلك في أثر القراءتين على الدلالة والمعنى .

❖ أثر القراءتين على المعنى :

لو نوقِشت دلالةُ كل قراءةٍ منفردة عن الأخرى لَمَا أفادت القراءتان ما تفيدهما حال الاجتماع ؛ ذلك أنَّ القراءتين تُظهِران المعنى القرآني متكاملًا غير مجذوذ ولا منقوص ، ولبيان ذلك :

حينما مرَّ هذا الرَّجل على هذه القرية الخاوية على عروشها ، التي لم يبق منها إلا معالم قد دُرِسَت ، وأطلال تبقى في عِدَاد الماضي راوده سؤالٌ لا يُعْتَقد أنَّه من قبيل الشكِّ ، وإنَّما كان من قبيل البحث عن اليقين في مسألة إحياء الموتى[٤] سطَّره بقوله :

---

(١) العكبري : إملاء ما منَّ به الرحمن ، ١١٧،
(٢) الأعشى : ديوان الأعشى الكبير ، ١٣٥،
(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ٣٠٩/٤،
(٤) يُنظَر : العبادلة ، حسن : من أوجه القراءات القرآنية إبدال الحروف وأثره على التفسير ، ص(٤٢)

﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ البقرة: ٢٥٩، ثمَّ أراه الله تعالى من الآيات بعد أن أماته ما يُظْهِر قدرته على الإحياء والجمع والإعادة ، حينها قال : أعلمُ أنَّ الله على كل شيء قدير .

والذي يدفع إلى القول بأنَّ سؤال هذا الرجل - سواءٌ أكان نبيًّا أم عبدًا صالحًا على خلافٍ بين أهل التفسير[١] - لم يكن سؤال شكٍّ أو جحودٍ ، إنَّما طلب رسوخ في العلم هو ما عبَّرت عنه **القراءة بالمضارع (أعلمُ) :**

الذي يحمل التجدُّدَ ، فلمَّا أتى بِبِنْيَة المضارع فُهِم أنَّه يُجدِّد علمه بشيء قد علمه من قبل وإن كانت اختلفت درجة العلم عنده في الحالين : قبل المشاهدة ، وبعدها ، قــال ابن عاشور : " وجاء المضارع ليدلَّ على ما في كلام هذا النبيِّ من الدلالة على تجدُّدِ علمه بذلك ؛ لأنَّه عَلِمَه من قبل ، وتجدَّدَ علمُهُ إيَّاه "[٢] ، " فهو يودُّ لو ارتقى إيمانه ليصل إلى اليقين ، وكأنَّه قال : أنا أعلمُ أنَّ الله على كل شيء قدير ولا أشكُّ في ذلك ، ولكن أردتُ أن يطمئنَّ قلبي "[٣] ، واستعراض مشاهد القدرة والإحياء بين عينيه لاشكَّ وأنَّها أوصلته إلى مثل هذه المرحلة من اليقين والاطمئنان .

أما قراءة الأمر (اعْلَمْ) :

- فإنْ تَوجَّه المعنى فيها إلى أنَّه خاطب نفسه كما يخاطب غيره على سبيل (**التَّجريد**) فهذا ملمسٌ فَطِنٌ يدلُّ على عِظم التأثُّر ، فلا يليق بعبدٍ أماته الله مائة عام ثم بعثه وأراه طعامه وشرابه إلا أن يقف هذا الموقف بين يدي ربه[٤] ، كما أنَّ في إلزامه نفسه بالعلم توبيخٌ له عن سؤاله من جهة أنَّه استشعر بعد أنْ عاين تلك الدلائل أنَّه ما كان ينبغي له أن يسأل مثل هذا السؤال ، بل الأصل أنْ يجري التسليم والانقياد على لسانه وقلبه . قال د. الجمل : " وفي هذا تربيةٌ لنا ونحن نقرأ قصته ونضع أنفسنا مكانه لنتعلم من تجربته

(١) يُنظَر: ابن الجوزي : زاد المسير ،٢٥٩/١
(٢) ابن عاشور : التحرير والتنوير ،٣٨/٣
(٣) الجمل ، محمد: الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة ،٥٢١
(٤) يُنظَر : أبو راس ، منصور : اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع ،١٧٢

، ونفيد من درسه ، كما نفيد منه سرعة التسليم لله تعالى فقد قال الله تعالى له : (**اعْلَمْ**) فبادر هو إلى القول : (**أَعْلَمُ**)"[1] .

ويظهر من هذا المعنى مقدار اليقين الذي وصل إليه من الإيمان بالله تعالى وقدرته وإعجازه فاستوى عنده الخطابان: خطاب النفس ، وخطاب الغير على مسلك التَّجريد. بل يسعى أن يؤمن غيرُه بهذه القضيَّة كما ازداد هو إيمانًا بها .

– وإنْ توجَّه المعنى إلى أنَّ القائل هو الله تعالى ، ففيه استحضارٌ لكلِّ معاني الهيبة والجلال ، فحين يحضر خطاب الله تعالى وأمرُه أو نهيُه لا ينبغي أن يعارَض بقولٍ ، أو سؤالٍ ، أو اعتراضٍ بل السبيلُ سبيلُ الاعتبار والاتّعاظ بمثول هذه الدلائل والبيِّنات أمام عينيك ، ولا يليق بالعبد حينها إلا التَّسليم والإيمان ، كما قال تبارك و تعالى : ﴿كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ آل عمران: ٧ ، ولعلَّ هذا الأمر يحمل نفحة عتابٍ خفيفٍ أَنْ صدر منه هذا السؤال ، والله أعلم .

وبعيدًا عن منهج المفاضلة بين القراءتين كمن حكم بأنَّ قراءة الجزم أجود في المعنى[2] ، أو أنَّ قراءة الرفع أوضح[3] ، يرى الباحث أنَّ صورة التغيُّر في بنية الفعل مثَّلت حالات اليقين ومراحله التي مرَّ بها صاحب هذه القصة ، وذلك أنَّ في سؤاله عن مظاهر إحياء الله تعالى للموتى إفادةٌ بوجود العلم عنده ، خاصَّةً وأنَّ سؤالَه سؤالُ اعتبار ، وباحث عن الحقِّ ، لا سؤال متعنِّتٍ وصاحب هوى ، والإجابات الأولى للسؤال ماثلة أمام عينيه إلا أنَّه يحتاج تأكيدًا لها ، ويمكن أن نطلق على هذه المرحلة (**علم اليقين**) ، فلما قامت الدلائل أمام ناظريه ، ومَثُلَتِ الشواهد بين عينيه لم تدع مجالًا للشكِّ ، وأزالت كثيرًا من الغموض ، وأجابت عن جملة من التساؤلات التي كانت تختلج في نفسه انتقل من خلالها إلى مرحلة (**عين اليقين**) ، " وفي عين اليقين زيادة طمأنينة ليست في علم

---

(١) الجمل ، محمد : الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة ،٥٢١
(٢) يُنظَر : الأخفش : معاني القرآن ،٣٢١
(٣) يُنظَر : الحميري ، قاسم : التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في تبيان العكبري ،١١٠

اليقين "[1] ، ثم لمَّا جاء الأمر له من الله تعالى بالعلم بقولــه : (**اعلمْ**) أي : ازدد يقيناً فيما رأيت ، امتثل الرجل مباشرة ، فقد قام في قلبه من الدلائل ما يحمله على تلبية الأمر ، وعدم الإبطاء بالجواب فقال : أَعْلَمُ أنَّ الله على كل شيء قدير ، ويمكن أن يطلق الباحث على هذه المرحلة (**حق اليقين**) وهي مرحلة متقدِّمةٌ عن سابقتيها لما حملته من دلالة التسليم والانقياد المباشر دون الحاجة إلى عرض الآيات ودلائل القدرة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ﴾ الحجرات: ١٥ والله أعلم .

(١) القونوي : حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ،٥/٤٢٠

٢. ﴿ تُؤْمِنُونَ - وَتُجَاهِدُونَ ﴾ :

في قوله تعالى ﴿ **تُؤْمِنُونَ** بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ **وَتُجَاهِدُونَ** فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ الصف: ١١ .

❖ مذاهب القرّاء :

- قرأ جميع العشرة بالمضارع (**تُؤْمِنُونَ وتُجَاهِدُونَ**) .
- وقرأ ابن مسعود ﷺ بالأمر (**آمِنُوا وَجَاهِدُوا**)(١) .

❖ معاني القراءتين وتوجيههما :

للعلماء في توجيه قراءة المضارع أوجهٌ ، منها :

- (**تؤمنون**) استئنافٌ : " كأنَّهم قالوا : كيف نعمل ؟ فقال : تؤمنون "(٢) .
- وذهب ابن عطية ت(٥٤٢هـ) إلى تقدير الفعل بـ : (**ذلك أنَّه تؤمنون**)(٣) ، قال أبو حيان ت(٧٤٥هـ) : " وهذا ليس بشيءٍ لأنَّ فيه حَذْف المبتدأ ، وحَذْف أنَّه وإبقاء الخبر ، وذلك لا يجوز "(٤) .
- وذهب الأخفش ت(٢٠٧هـ) إلى أنَّ الفعل عطفُ بيانٍ على (**تجارة**)(٥) ، وسبيله أن يقدَّر الفعل بمصدر فيكون أصل الفعل (**أن تؤمنوا**) ، ثم حذف (**أن**) فارتفع الفعل . وله شاهدٌ في قول الشاعر :

ألا أيُّهذا اللائِميُّ أَحْضُرُ الوَغَى(٦) (**الطويل**)

---

(١) يُنظَر : ابن خالويه : القراءات الشاذة ،٢٢٩ ، الفرّاء : معاني القرآن ،٣/ ١٥٤
(٢) الزمخشري : الكشاف ،٥٢٦/٤
(٣) ابن عطية : المحرر الوجيز ،٢٩٦/٨
(٤) أبو حيان : البحر المحيط ،٢٦٠/٨
(٥) نقله عنه : أبو حيان : البحر المحيط ،٢٦٠/٨ ، ويُنظَر : ابن يعيش : المفصَّل ،٧/٢ ، ولم يجد له الباحث أصلا في معاني الأخفش .
(٦) صدر بيت لطرفة بن العبد ، وعجزه : وأن اشهد اللّذات هل أنت مخلدي . يُنظَر : ابن العبد : ديوان طرفة ،٢٥ ، السيوطي : همع الهوامع ،١٢/١ ، البغدادي : خزانة الأدب ،١١٩/١

يريد : (أَنْ أَحْضُرَ) ، فلما حذف (أَن) ارتفع الفعل ، وحذف (أَنْ) لقرينة ذكرها في المعطوف في الشطر الثاني للبيت (وأنْ أشهدَ) . وعليه يكون تقدير الآية على هذا القول : هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم : إيمانٍ بالله ، ورسوله ، وجهاد في سبيله .

– وذهب المبرد ت(٢٨٥هـ)[١] ، وتابعه أبو حيان ت(٧٤٥هـ)[٢] إلى أنَّه فعلٌ على الأمر ، صورته صورة الخبر ، ومعناه معنى الأمر ، ومستند هذا القول على :

– مجيء (يغفر) مجزومًا .

– قوله : ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ إبراهيم: ٣١ ، أي : ليقيموا.

– قراءة ابن مسعود ﷺ (آمِنُوا وَجَاهِدُوا)[٣] .

– تقول العرب : اتقى الله امرؤٌ فعل خيرًا ؛ يُثَبْ عليه ، أي : لِيتَّقِ الله . جيء به على صورة الخبر .

أمَّا قراءة الأمر فظاهرة الدلالة على الإيجاب والإلزام ، وجواب الأمر فيها (يغفر) .

❖ أثر القراءتين على المعنى :

نزلت هذه الآية حين قال الصحابة رضي الله عنهم : لو عَلِمْنَا أيَّ الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى لَعَمِلْنَا به أبدًا فدلَّهم الله على ذلك ، وجعله بمنزلة التجارة لمكان ربحهم فيه[٤].

وتمثِّل صورة التغيُّر بين بنيتي الفعلين عدولاً عن الإخبار إلى الأمر لا يحكم بأنَّ أحدهما أبلغ من الآخر في الكلام ، أو أنَّ هذا الأسلوب أوثر من ذاك ، وإنَّما الأصل أن نستقي مدلولات هذا التغير البلاغية من خلال استقراء مقاماته في سياقه القرآني .

وفي القراءة بالمضارع (تُؤْمِنُونَ وَتُجَاهِدُونَ) عددٌ من الدلالات البلاغية التي يمكن فهمها في ضوء السياق ، وفي ضوء ما تمَّ تخريج القراءة عليه ، ومنها :

(١) يُنظَر : المبرِّد : المقتضب ، ٨٠/٢
(٢) يُنظَر : أبو حيان : البحر المحيط ،٢٦٠/٨ ، ويُنظَر : ابن يعيش : المفصَّل ،٤٨/٧
(٣) سبق تخريجها ، ص١٥٨
(٤) يُنظَر : ابن الجوزي : زاد المسير ،٢٥٤/٨

- تُشعِر هذه القراءة بأنَّ الامتثال لهذين التوجيهين : الإيمان والجهاد ، قائمٌ متجدِّدٌ في نفوس المؤمنين بدليل الوصف بالمضارع الذي يفيد التجدُّد .
- وفيها تعريضٌ بالمنافقين وتحذيرٌ من التغافل عن ملازمة الإيمان وشؤونه ، كما أشار إلى ذلك ابن عاشور[1] .
- وفيها امتداحٌ لسبيل المؤمنين القائم على الاعتناء بإيمانهم وجهادهم ، فهم يجمعون بين الإيمان والجهاد ، كما أنَّهم مستمرون على هذا السبيل ، فإنْ نادى صارخ الفتن ؛ ظهر بريق الإيمان يدفع عنهم ما غشيهم من لوثَاتِها ، وإذا استُنْفِرُوا للجهاد هبُّوا . وتجدر الإشـــارة في هذا المقام إلى أنَّ الله تعالى صدَّر الآيـــات بقـــولـــه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ الصف: ١٠ ، ثمَّ جـــاء بالمضـــارع : (**تُؤْمِنُونَ**) فما وجه دعائهم إلى الإيمان والجهاد ، وقد سماهم مؤمنين ؟! والجواب : أنَّ النداء في الآية على سبيل الوصف لا التسمية . قال الطبري ت(٣١٠هـ) : " إنَّه جل ثناؤه لم يسمِّهم مؤمنين ، وإنَّمـــا وصفهم بأنَّهم آمنـــوا ، وذلك وصفٌ لهم بخصوصٍ من التصديق "[2] .

وفي هذه الدلالة إشارة إلى أنَّ التسمية في الإيمان لا تجدي ، إنَّما المعوَّل عليه أنْ يجمع الإنسان بين الوصف والعمل الذي يرقِّيه لينال شرف هذا الوصف ، كما جمعت الآية بين الوصف : (**يا أيها الذين آمنوا**) ، والفعل : (**يؤمنون**) حينها يُنَال المسمى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا ﴾ الأنفال: ٧٤.

- والقراءة بالمضارع أشبه ما تكون بصفة ملازمة لهؤلاء المؤمنين ثابتة فيهم ، وهذا المعنى مأخـــوذ من توجيـــه القراءة بعطف الفعلين عطف بيـــانٍ على الاسم (**تجارة**) ، " كأنَّ التجارة لم يدرَ ما هي ؟ فبيِّنت بالإيمان والجهاد ، فهي هما في المعنى "[3] ، والاسم يدل على الثبوت ، وفي ربط الفعلين بمسمَّى

---

(١) يُنظَر : ابن عاشور : التحرير والتنوير ،١٩٤/٢٨
(٢) الطبري : جامع البيان ،٥٩٥/٧
(٣) ابن عادل : اللباب في علوم الكتاب ،٦١/١٩

التجارة تحبيبٌ في الإيمان والجهاد وتشويقٌ لهما ، كحبِّ النفوس للتِّجارة وإلفِهَا لها ، بل وربما قدَّمتها النَّفس على غيرها من المحابِّ ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ﴾ الجمعة: ١١ . وقد جاء في الآية على طريق ما يدل على خير التجارة لا على نفس الخبر ، كأنَّه أراد : خير التجارة الإيمان بالله والجهاد في سبيله ، وليس التجارة الإيمان بالله والجهاد على سبيل الإخبار ، بل أراد الأفضليَّة فلا يستقيم : التجارة تؤمنون ، وإنما : التجارة أنْ تؤمنوا[1] . ومن هنا ظهرت هذه الدلالة .

- ولعلَّ القراءة بالمضارع (**تؤمنون وتجاهدون**) جاءت لتخفِّف من بنية الأمر التي لا تخلو من الجزم المشعر بالاستعلاء ، ومع أنَّها مقبولة في نفوس المؤمنين ؛ لأنَّ الآمر هو الله تعالى ، إلا أنَّ الأمر في أصل بنيته يفيد هذه الدّلالة ، وقد أرادت القراءة تجنيب هذه اللغة في خطاب المؤمنين المجاهدين الذي صحبوا النبي ﷺ ، وعلِم الله سابقتَهم وفضلَهم في الإسلام فمع أنَّ الخطاب في ذاته أمرٌ ، إلا أنَّه جاء بهذا التخفيف ملاطفة لهم ، والنفس الإنسانية من طبعها النفور من الاستعلاء ، فإذا ما وقع الخطاب بصيغةٍ فيها من الملاطفة كان أدعى إلى القبول والاستجابة[2] ، لذا خاطبهم الله تعالى في هذا الموضع بالإخبار وأراد الأمر ، وهذا ليس على إطلاقه فإنَّ أسلوب الخطاب يتغيَّر تبعًا للسياق الذي يرِد بهما الإخبار والأمر .

- كما أنَّ طبيعة الإيمان والجهاد شاقَّيْنِ على النفوس . فالإيمان يحتاج إلى مجاهدة ومداومة عليه حتى لا ينقص ، كما قـال تعـالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ النساء: ١٣٦ ، **وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ** ﷺ ، **قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ** ﷺ : " **إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الْخَلِقُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ**

(١) يُنظَر : المجاشعي ، علي : النكت في القرآن ،٦٢٢
(٢) يُنظَر : العمري ، ظافر : بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال الفعل ،٧٣

أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ "[1] . وفي هذه المداومة مشقَّة ، كما أنَّ في الجهاد بذلا للرُّوح في ذات الله تعالى وهي أغلى ما يملكه الإنسان في حياته ، ومشقَّته واضحة بارزة ، كما قال تعـالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ البقرة: ٢١٦، لذا نجد أنَّ الله تعالى أخَّر ذكره في الآية لتقدُّمِ الإيمان عليه فهو الدافع له ، ولو لم يمتلئ القلب إيماناً لما أقدم المرءُ في مواطن الجهاد مضحِّيًا بنفسه ، وكذلك لمشقَّة الجهاد على النفس ، فلو ظفر الإنسان بالتأخُّرِ ؛ لتأخَّر . ومثل هذا المعنى في الآيات بعـد هـذه الآيـة : ﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾ الصف: ١١ ، حيث قدَّم الأموال وأخَّر الأنفس للمشقَّة الحاصلة من الجهاد بالنَّفس ، ومع هاتين المشقَّتَينِ : المشقة الحاصلة من الدوام على الإيمان ، ومشقة الجهاد جاءت القراءة بالمضارع (**تُؤْمِنُونَ وتُجَاهِدُونَ**) لتخفِّفَ ثقل هذه المشاقّ على النفوس ، إذ لو كانت القراءة بالأمر ابتداءً لثَقُلَت على النُّفـوس ، ولَمَا قَدَر عليها الخلق ، ولَشَعَرُوا معها بنفور واستثقال ، كما قال تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ التوبة: ٣٨ ، فلمـا أنْ رُغِّبوا وهُيِّئَت نفوسهم سألوا عن أحبِّ الأعمال المقربة إلى الله تعالى فَدُلُّوا على الأمر بالإيمان والجهاد ، حينها طاعت نفوسهم ، وصارت مهيأة لقبول الأمر ، قال تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾البقرة:٢٠٧.

أمَّا القراءة بالأمر (**آمِنُوا وَجَاهِدُوا**) فجاءت بعد جملة من التمهيدات التي هَيَّأتْ نفوسَهم لتلقِّي الأمر بالإيمان والجهاد ، وإن كانوا رضي الله عنهم قد تلقَّفوا الأمـر وفهِموه من بنية المضارع ، إلا أنَّ قراءة الأمر يُستَأنَسُ بها في التأكيد على بعض الدَّلالات ، منها :

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب الإيمان ، حديث(٥) ، ص(٢)

- قوله تعالى (**هَلْ أَدُلُّكُمْ**) في معنى الأمر عند الفرَّاء ت(٢٠٧هـ) تقول : هل أنت ساكتٌ ؟ أي : اسكت[١] ، قال الرازي ت(٦٠٤هـ) " هل بمعنى الاستفهام ، ثمَّ يتدرَّج إلى أن يصير عرضًا وحثًّا ، والحثُّ كالإغراء ، والإغراء أمر"[٢] . فالأمر في الآية محفوفٌ بإغراءٍ حثًّا للنفوس ، وتشويقًا لها على فعل المأمور بهما .

- رواية ابن عباس ﷺ : قالوا : لو نعلم أحبُّ الأعمال إلى الله تعالى لفعلنا ؟ فنزلت هذه الآية ، فمكثوا ما شاء الله يقولون يا ليتنا نعلم ما هي ؟ فدلَّهم الله تعالى عليها بقولـــه : ﴿ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ الصف: ١١ [٣] ، تُظْهِر لنا مقدار ما كانوا عليه من تشوُّقٍ وتطلُّعٍ إلى معرفة هذه التجارة وطرائقها ، فلما أنْ بُيِّنَ لهم السبيل سَهُلَ على نفوسهم ما كانوا تشوَّقوا إليه ، وتطلَّعتْ نفوسهم له ، قال الزمخشري ت(٥٣٨هـ) : " الأمر الوارد على النُّفوس بعد تشوُّقٍ وتطلُّعٍ منها إليه : أوقع فيها وأقرب من قبولها له مما فوجئت به "[٤] .

- وفي عطف الفعل (**وبَشِّرِ**) في قوله : ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الصف: ١٣ ، على الفعل (**تؤمنون**) تأكيد لدلالة استجابتهم لأمر الله ومراده ، كمـــا أنَّ فيه تثبيتًا لنفوسهم بعد تلقِّي الأمر بعد أن هُيِّئَت من قبل ، كأنَّه قيـــل : " آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم ، وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك "[٥] .

وهكذا تكاملت القراءتان في حثِّ المؤمنين على الإيمان والجهاد مهيِّأةً نفوسهم ابتداء بقراءة المضارع : (**تُؤْمِنُونَ وَتُجَاهِدُونَ**) ، مشوِّقة لهم بمـــا أعده الله تعالى من نعيم لمن حمل صفتي الإيمـــان والجهاد ، فلمَّا أنْ طرقت أسماعهم ، وألفوا نمط خطابها ، جـــاءت القراءة بالأمر (**آمِنُوا وَجَاهِدُوا**) لتذِلَّ لها قلوبهم وتنقاد .

(١) يُنظر : الفراء : معاني القرآن ،١٥٤/٣
(٢) الرازي : مفاتيح الغيب ،٣١٧/٢٨
(٣) المرجع السابق ،٣١٨/٢٨
(٤) الزمخشري : الكشاف ،٥٢٧/٤
(٥) المرجع السابق ،٥٢٧/٤

٣. ﴿ أَتْلُوَاْ ﴾ :

في قوله تعالى ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ النمل: ٩٢

❖ مذاهب القرّاء :

- قرأ العشرة (**وأَنْ أَتْلُوَ**) بهمزة قطع أول الفعل ، وإثبات الواو بعد اللام ، والنصب للفعل المضارع .
- وقرأ عبد الله بن مسعود ﷺ ، وأبيٌّ بن كعب ﷺ بهمزة وصل أول الفعل ، وإسقاط الواو من آخره (**وأنِ اتْلُ**) على أنه أمرٌ ، وهي قراءة شاذة[١] ، قال النَّحاس ت(٣٣٨هـ) : " ولا نعرف أحدًا قرأ هذه القراءة ، وهي مخالفة لجميع المصاحف "[٢] .

❖ معاني القراءتين وتوجيههما :

القراءة المتواترة بالمضارع : (**وأَنْ أَتْلُوَ القُرآنَ**) فيها توجيهان :

- الأول : من التِّلاوة أي : القراءة ، فيكون المعنى : وأمرت أن أقرأ القرآن عليكم ؛ لأنَّ ما بعده من التقسيم مناسبٌ لهذا المعنى وهو قوله : ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ النمل: ٩٢ ، رجَّحه أبو حيان ت(٧٤٥هـ)[٣] .

- الثاني : من التُّلُوِّ ، وهو: الإتِّبَاع ، أي : وأمرت أن أتَّبِع القرآن ، وله نظائر كثيرة في القرآن الكريم ، كقوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ الأنعام: ١٠٦، وقوله تعالى : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الأعراف: ٣ ، واعترض بعضهم

(١) يُنظَر : العكبري : إعراب القراءات الشواذ ،٢٤٩/٢
(٢) النحاس : إعراب القرآن ،٧٠٩
(٣) أبو حيان : البحر المحيط ،٩٦/٧

بأنَّ هذا المعنى خلاف الظاهر مستدلا بما جاء في القراءة الشاذّة من الأمر بالتلاوة أي : القراءة[1].

أمَّا القراءة بالأمر : (**وأنِ اتْلُ**) فهي وإنْ كانت شاذَّة ؛ إلا أنه يُسْتَأنسُ بها في تأكيد المعنى الأول لقراءة المضارع ، (**وأَنْ**) على قراءة الأمر يجوز أن تكـــون المفسرة على إضمار : (**وأمرت أنِ اتلُ القرآن**) ، ويجوز أن تكون المصدرية وصلت بالأمر ، وإنكار النَّحاس ت(٣٣٨هـ) أو غيره من الأئمة لهذه القراءة إنَّما هو من قبيل القراءة بها وثبوت تواترها على ما جرى بيانه في معنى الشاذ في تمهيد هذه الدِّراسة ، إلا أنَّ معناها موافقٌ لما عليه القراءة المتواترة . قال الفرَّاء ت(٢٠٧هـ) : "(**وأنِ اتْلُ**) بغير واو مجزومة على جهة الأمر . قد أسقطت منها الواو للجزم على جهة الأمر ؛ كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام: ١٤ ، فجعل الواو مردودة بالنهي على حرف قد نصب بأنْ ؛ لأنَّ المعنى يأتي في (**أُمِرْتُ**) بالوجهين جميعًا ، ألا ترى أنَّك تقول : أمرت عبد الله أن يقوم ، وأنْ قُمْ . وقال الله تعالى : ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧١ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ الأنعام: ٧١ - ٧٢ "[2] .

❖ أثر القراءتين على المعنى :

الفعل في القراءتين معطوف على جملة من الأوامر التي قبله ، أمر الله بها نبيه محمدًا ﷺ من عبادة الله تعالى ، وأن يكون من المسلمين ، وهذا العطف يربِّي المؤمنين تربية غير مباشرة على الاعتناء بالقرآن تلاوة وعملاً ، وأَنْ يُولُوهُ أهميَّةً في حياتهم بدليل عطفه على مفاصل رئيسية في الدين ، وأيُّ شيءٍ أعظم من الإسلام ، والتوحيد .

(١) يُنظَر : الألوسي : روح المعاني ،٧/ ٢٤٨
(٢) الفرَّاء : معاني القرآن ،٢/٣٠٢

لقد رسمت قراءة المضارع (**وأَنْ أَتْلُوَ**) طريقين للتعامل مع القرآن الكريم يجب على المسلم أن يسلكهما :

- طريق التلاوة بتدبُّر وتفكُّر .
- وطريق الاتِّبَاع بانقياد واستسلام .

وهذان الطريقان مسْتَقَيَان من هذه القراءة فقد أُمِر النبي ﷺ بتلاوة القرآن الكريم والمداومة عليها ، كما أمر باتِّبَاع هذا الكتاب العزيز ، واقتفاءِ أثره ، ولقد قام ﷺ بالمعنيين أتمَّ القيام وأبلغه[1] .

ويُفْهَم من هذه القراءة معنى المواظبة منه ﷺ على هذين الطريقين ، ويرى الباحث أنَّ همزة القطع أول الفعل (**أَتْلُوَ**) توحي بقدر من الجهد والعناء اللَّذين بُذِلا في سبيل تحصيل هذه المواظبة ، التي ترتَّب عليها الخفَّة في الأداء فيما بعدُ ، ومعلومٌ ما تحتاجه الهمزة من جهد عضلي يزيد عمَّا يحتاجه أي صوتٍ آخر ، وما من شكٍّ أنَّه ﷺ جاهد نفسه أوَّلَ ما نزلت عليه هذه التكاليف ، وأخذها بمحمل العزيمة والاجتهاد كما نلحظ في أمر الله تعالى له بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴾ المزمل: ١ - ٥ ، هكذا : (**قَوْلاً ثَقِيْلاً**) اختصر بها كل معاني الجهد والثِقَل الملقى على كاهله ﷺ ، ومن تأمَّل شيئا من سنَّته ؛ ظهر له هذا المعنى وزيادة كما في قيامه ﷺ ليلة كاملة بقوله تعالى : ﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ المائدة: ١١٨ ، كما أنَّ وصل واو الفعل بالفتح (**أَتْلُوَ القرآن**) أفاد معنى المواظبة أيضًا من جهة أنَّ الفتح أخفُّ الحركات[2] ، ومعلوم أنَّ الالتزام بوردٍ ثــابت من التلاوة والتدبر ، والعمل والاتِّبَاع ممَّا يصعب على النَّفس ويشقُّ عليــها ، لأنَّ من طبيعتها عدم حبِّ التكـــاليف بقدر حبِّها الدَّعة والرَّاحة . لكنْ لمَّا أنْ واظب ﷺ على تلاوة القـــرآن الكريم وتدبُّره ، ولزمه

(١) يُنظَر : البقاعي : نظم الدرر ١٤/ ٢٢٨ ، عبد الشكور، سامي : القراءات الشاذة بين الرواية والتفسير ،٤٥٢
(٢) يُنظَر : الأزهري : شرح التصريح ،٥٥/١

منهجَ حياةٍ ؛ سَهُلَ أمرُه عليه ، وصار جزءًا لا يتجزَّأُ من حياته اليوميَّة ، فناسب إيصال الفعل (**أَتْلُوَ**) إلى معموله (**القرآن**) بأخفِّ الحركات وأيسرها ، إشارة إلى أنَّ من لزم مثل هذا الطريق سُهِّل الأمر عليه ، ويُسِّر له .

وعليه فإنَّ ابتداء الفعل (**أَتْلُوَ**) بهمزة قطع ؛ أوحى بحجم الجهد والعناء المبذولين ، كما أنَّ ختم الفعل بالفتح الذي هو أخفُّ الحركات والموصل إلى معموله (**القرآن**) ؛ كان جزاءً لما بُذِلَ ، وتقديرًا للتعب ، وإلماحًا إلى أنَّ من اجتهد في البدايات كانت العقبى له في النِّهايات ، والله أعلم .

أما القراءة بالأمر (**وأَنِ اتْلُ**) فقد جاءت مؤكِّدة لمعنى الأمر بتلاوة القرآن وتدبُّرِه و(**اتْلُ**) معناه : " تابع بقراءتك بين آياته ، واسردْ "[1] . وهي بهذا تؤكِّد جزءًا من معنى القراءة بالمضارع حيث أبانت عن أهمية التدبُّر ومكانته في استلهام الفتوحات الربَّانية ، فإنَّ المواظبة على قراءة القرآن الكريم من أعظم أسباب فتح باب الفيوضات الإلهيَّة ، والأسرار القدسيَّة ، وفي المواظبة على تلاوته كشفٌ لحقائقه الرائعة المخزونة في تضاعيفه شيئاً فشيئاً[2] .

وقد لفت نظرَ الباحث النَّغمةُ الصَّوتية للفعل في قراءة الأمر : (**أَنِ اتْلُ**) حيث جاءت مغايرةً لِمَا عليه الفعل في قراءة المضارع : (**أَنْ أَتْلُوَ**) ، فقراءة المضارع صُدِّرَ الفعل فيها بهمزة قطعٍ ، وخُتِم بالفتح ، بينما قراءة الأمر صُدِّر فعلها بهمزة وصلٍ متأثرة بالكسر قبلها التي تعدُّ من أخفِّ الحركات التي تلي الفتحة ، وقُفِل بالضمِّ الذي هو أثقل الحركات وأشدُّها[3] ، وكأنَّه إشارة – والله أعلم – إلى أنَّ السامع يحدِّث نفسه أنَّ الأمر في ظاهره ميسورٌ ، مقدورٌ عليه ، خفيفٌ تكاليفه ، لكنَّه بمجرَّد أن يدخل في صلب التكليف ، يرى أنَّه أمرٌ يحتاج إلى جهدٍ ، ومشقَّةٍ تمامًا كحال ما أحدثته الكسرة من يسر في ابتداء الفعل ، وما أحدثته الضمة من ثقل في آخره .

---

(١) ابن عطية : المحرر الوجيز ، ٥٦٧/٦

(٢) يُنظَر : الألوسي : روح المعاني ، ٢٤٨/٧

(٣) يُنظَر : الأزهري : شرح التصريح ، ٥٥/١ ، السامرائي ، فاضل : بلاغة الكلمة ، ١٢٠

وهكذا أوصلت القراءتان رسالةً مفادها : تربية الناس على الجمع بين العلم والعمل ، بين التلاوة والاتِّبَاع ، أبان معالم هذه الرِّسالة وتفاصيلها مجيء الفعل في هاتين القراءتين على بنيتين مختلفتين : تارة بالمضارع ، وتارة بالأمر بما أضفى على السياق دلالة لا يمكن أن تفهم إلا في ضوء إعمال القراءتين معًا .

وبِذا تبيَّن أنَّ التعبير القرآني يورِد الفعل على بِنْيَة المضارع دلالة على أنَّه قد خرج من حيِّز الأمر إلى حيِّز التنفيذ إعلامًا بسرعة الامتثال ، وإشارةً إلى عدم التقاعس في التطبيق ، أو أن يستدرَّ عطف السامع ويحثَّه على العمل بطريقةٍ غايةٍ في اللطف ، كحال الخطاب ين الربِّ وعبده ، " ولذا فإنَّ المولى تعالى إذا خاطب عبده راغبًا في أن يرعيه سمعه ويوليه وجهه ، بعد أن تحوَّل عنه ، نجده يجتنب أن يخاطبه بتلك الصيغة الموحية بالاستعلاء وهي صيغة الأمر (**افعل**) متحريًّا للَّفظ المتأدِّب"[1] ، وإن كانت هذه الدلالة ليست على إطلاقها في جميع القرآن الكريم ، لكنَّها مما يمكن أن تُحمل عليه بعض دلالات هذا التغيُّر بين الأسلوبين .

---

(١) العمري ، ظافر: بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال الفعل ،٧٣



المبحث الثاني:

التغيُّر من الفعل الأمر إلى المضارع، ودلالته



توطئة :

من الدلالات التي تُحْدثها بنية المضارع دلالة التكرار والتَّجدُّد ، التي يمتلك الملتقِّي من خلالها حضورًا فاعلا وحيويًّا على مسرح الحدث الذي يشهده بكل دقائقه وتفاصيله ، كما أنَّها تستدعي الصورةَ ولو كانت من أعماق الماضي السحيق لتَمْثُل واضحة في الذِّهن دون تكسُّرات أو تموُّجات ، ولا يمكن أن ينهض بهذه المهمَّة إلا المضارع .

هذا حال المضارع في صورته الاعتيادية ، التي تستَثْمر معه تلك الدلالات سياقيًّا في مقاماته المتعدِّدة ، وتحسُن الصورة أكثر عندما تشهد بنية المضارع تحوُّلا إليها ، كما يحصل في التغيُّر من بنية الأمر إلى المضارع ، خاصَّة أنَّ هذا التحوُّل يكسر الرَّتابة ، ويفتح تقاسيم النَّص على مراد المتكلِّم وشعوره من خلال السِّياق الذي ورد به .

إنَّ انغلاق الفعل على دلالة زمنية محدَّدة ليس خاصيِّة مطَّردة ، فالدلالة الزَّمنيَّة للفعل تتَّسِم بالمرونة والطواعيَّة ، وفي ظلِّ هذه المرونة تبرز خصيصتان[١] :

١. قابلية التَّفريغ الزَّمني .
٢. قابليَّة الاستبدال والتَّناوب الزَّمني .

وصورة التغيُّر التي نحن بصدد الحديث عنها هي من قبيل الاستبدال والتناوب الزَّمني بين بنيتي الأمر والمضارع ، وينبغي أن نفهم هذا التَّناوب بين البُنْيَتَيْن وفق تقسيم الزَّمن إلى نوعين :

١. الزَّمن الصَّرفي : وهو الزمن الذي تدلُّ عليه الصيغة المفردة خارج السياق .
٢. الزَّمن النَّحوي : وهو الذي تحدِّده القرينة اللفظيَّة ، أو الحاليَّة ، أو هو معنى الفعل في السياق[٢] .

والأولى أنْ يُعْمل الزَّمنان معًا ، لا أنْ يُلغِي أحدهما الآخر ، ولا أن يُفْرَغا من دلالتيهما . وعند النَّظر في الدلالة التي ينتقل بها الفعل من معنًى إلى معنًى بشكل يجعله

---

(١) الحمادي ، جلال:العدول في صيغ المشتقات ،٨٨
(٢) يُنظر : المطلبي : الزمن واللغة ،٨٣ ، حسان ، تمام : اللغة العربية معناها ومبناها ، ٢٤٠

منسجمًا مع حالات المتكلم وأزمنته المتعددة ، تَظْهرُ آفاقٌ رحبة من الدلالات الزَّمنية المنفتحة على النَّص ونمط خطابه ، وتُستَوعبُ مقامات المتكلِّم وأغراضه .

وبنية الأمر عندما تشهدُ تغيُّرًا إلى المضارع ؛ فإنَّ الغالب فيها أنَّ منزلة المخاطب هي التي دعت المتكلِّم لذلك الاحتراز[1] من إطلاق الأمر بِبُنْيته التي لا تخلو من الجزم المشعر بالاستعلاء ، وتجتنب في صيغ الخطاب ملاطفة وتحببيًا كأنْ يكون المقامُ مقامَ خطابٍ بين العبد وربِّه تعالى ، كما في الدُّعاء وإنْ كان يرِد أيضًا على بنية الأمر ، والسِّياق هو من يحدِّد هذا المقام أو ذاك .

وقد أورد الباحث هذا المبحث – مع قصره – حتى يحصل التناسق بين مبحثي هذا الفصل ، وقد أعيا الباحثَ استقصاءُ صورة التغيُّر لبنية الفعل من الأمر إلى المضارع بين القراءات القرآنية فألفاها لم تَرِدْ إلا في (**سبعة**) مواضع ، جميعها من القراءات الشاذَّة عدا موضعين في سورة طه من المتواترة . وكان الغالب على نماذج الشاذَّة أنَّها من قبيل التفسير وليس مِمَّا يستدعي المقامُ الوقوفَ عندها بالتحليل والدِّراسة حيث لا يترتَّب عليها كبير أثر على الدلالة والمعنى ، فاكتفى الباحث بتحليل موضعي سورة طه وعذره في ذلك قلَّةُ نماذج هذه الصورة . ولا يزعم الباحث أنَّه بلغ مرتبة الإحصاء الدَّقيق الذي لا يفوته شيء ، لكنْ يعلم الله تعالى أنَّه ما اكتسب همَّة ولا تحصَّل على نشاط إلا بذلهما في سبيل تحرِّي الدقة في استقراء مواضع هذه الصورة وسابقاتها مِمَّا جرى به القلم في سطور هذه الدِّراسة ، وعلَّ المولى يقيِّض من يستكمل النَّقص ، ويسدُّ الخلل . هو وحده سبحانه حسبي وعليه التكلان .

---

(١) يُنْظَر : العمري ، ظافر : بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال الفعل ،٧٥

١. ﴿ ٱشْدُدْ - وَأَشْرِكْهُ ﴾ :

قال تعالى : ﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴾ طه: ٣١ – ٣٢

❖ مذاهب القرّاء :

- قرأ العشرة عدا ابن عامر بوصل الألف من الفعل (اُشْدُدْ) ، وقطع الألف ، وفتحها من الفعل (أَشْرِكْهُ) ، كلاهما على الأمر .
- وقرأ ابن عامر بقطع الهمزة ، وفتحها من الفعل (أَشْدُدْ) ، وقطع الهمزة ، وضمها من الفعل (أُشْرِكْهُ) إخبارٌ بالمضارع[١].

❖ معاني القراءتين وتوجيههما :

في قراءة العشرة عدا ابن عامر (اُشْدُدْ – أَشْرِكْهُ) . جاءت بِنية الفعلين على طريقة الدعـــاء بلفظ الأمر ، والمعنى : " قوِّ ظهري "[٢] ، وأشركه في أمري : " أي : في نبوتي "[٣] ، ودعاء موسى عليه السلام بلفظ الأمر له ما يوافقه من أدعية القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ الأعراف: ٨٩ ، وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا ﴾ آل عمران: ١٤٧ . والقراءة بالأمر مناسبة للأفعال الواردة قبله في سياق الآيات ، كما في قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴾ طه: ٢٥ - ٣٠ ، فقد وردت بالأمر (اِشْرَحْ) ، (يَسِّرْ) ، (احْلُلْ) ، (اجْعَلْ) مِمَّا أُجْرِيَ معه الكلام على نسقٍ واحدٍ بلفظ الأمر وإنْ كان في حقيقته دعاء وطلبًا .

---

(١) يُنْظر : الداني : التيسير ،٣٦٢ ، مكي بن أبي طالب : التبصرة ،٢٧١ ، الدمياطي : اتحاف فضلاء البشر ٢٤٦/٢

(٢) الكرماني : محمد بن أبي المحاسن : مفاتيح الأغاني ، ٢٧٢

(٣) أبو زرعة : حجة القراءات ٤٥٢

كما أنَّ القراءة بهذا الوجه مناسبة لمعنى الإشراك المعنيِّ به في الآية : النُّبوَّة ، التي لا تكون إلا من الله تعالى ، فلمَّا كان الخطابُ من موسى عليه السلام دعاءً لله تعالى أن يُشْرِكَ معه أخاه هارون عليه السلام في أمر النبوة ؛ ساغ جريان الخطاب بلفظ الأمر كون النُّبوَّة مما اختصَّ الله تعالى بها مَنْ شاء من عباده ، وموسى عليه السلام كليم الرحمن وهو مِمَّن اختصَّهم الله تعالى بمنزلة عنده وحظوة . وقد استدل أبو علي الفارسي ت(٣٧٧هـ) بهذا المعنى على أنَّ الوجه في القراءة الدعاء دون الإخبار في (**أُشْرِكْهُ**) ، يقول : " فأمَّا الإشراك فيبعُد فيه الحمل على غير الدعاء ، لأنَّ الإشراك في النبوة لا يكون إلا من الله سبحانه ، اللهمَّ إلا أنْ يجعل أمره شأنه الذي هو غير النُّبوة ، وإنَّما ينبغي أن يكون النُّبوة ، ألا ترى أنه قد جاء : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ النازعات: ١٧، فقال : ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ القصص: ٣٤ "[١] .

وتُوجَّه قراءة ابن عامر على الإخبار من موسى عليه السلام عن نفسه بمعنى : " اجعل أخي وزيرًا ، فإنَّك إنْ فعلت ذلك ؛ أَشْدُدْ به أزري "[٢] ، واعترض النَّحاس ت(٣٣٨هـ) بأنَّ الوجه في (**أُشْرِكْهُ**) ليس المقصود به أمر النُّبوة والرِّسالة ، فهذا ليس إليه عليه السلام فيخبرَ به ، وإنَّما إلى الله تعالى فحقُّه السؤال والدعاء ، لا الإخبار[٣] ، وحكم الطبري ت(٣١٠هـ) على القراءة بأنَّ لها وجهًا مفهومًا ، إلا أنَّه لم يختر القراءة بها ؛ لخلافها قراءة الحجَّة التي لا يجوز خلافها[٤] ، ويَعْجبُ الباحث من قول الطبري ت(٣١٠هـ) مع أنَّ القراءتين متواترتان ، ولا مندوحة من القول بأنَّها قرآن منزَّلٌ ، ولعلَّ القراءة لم تثبت عنده ثبوت تواتر في زمنه ، والله أعلم .

والجزم للفعلين (**أَشْدُدْ - أُشْرِكْهُ**) على جواب المجازاة ، كما تقول زُرْني ؛ أكرمْك وأنفعْك ، والمعنى هنا : إنْ فعلت ذلك ؛ أَشْدُدْ به أزري ، وأُشْرِكْه في أمري .

---

(١) الفارسي : الحجة في علل القراءات، ١٥٧/٣
(٢) الزجاج : معاني القرآن وإعرابه، ٣٥٦/٣
(٣) يُنْظَر : النحاس : إعراب القرآن، ٥٨١
(٤) يُنْظَر: جامع البيان : الطبري، ٥٦/١٦

ويرى الباحث – والله أعلم – أنَّ اعتراض النَّحاس ت(٣٣٨هـ) ليس في محلِّه ؛ فالقراءة متواترةٌ ، وحقُّها القبول والتسليم ، ولا تُرَدُّ لعدم استقامة المعنى فيها أو عدم وضوحه ، وورود الآية بنمطين من القراءة : الإخبار ، والدعاء أزال شيئًا من الغموض الذي ربَّما توهَّمه البعض كما سيبينه الباحث لاحقًا .

وممَّا يمكن قوله هنا : أنَّ مقصودَ الأمر في الآية النُّبوةُ ليس على إطلاقه ، إذْ لم يجرِ لها ذكرٌ قبل ذلك في سياق الآيات ، ومجئ اللفظ (**أَمْرِي**) يوحي بالعموم : النُّبوة وغيرها ، وما حكاه أبو علي الفارسي ت(٣٧٧هـ) من أنَّه ينبغي أن يحمل الأمر على النبوة لم يرتضه أبو حيَّان ت(٧٤٥هـ) حيث قال : " لا يريد به النُّبوة ، بل يريد تدبيره ومساعدته "[١] ، وحتى لا يفهم التعارض والتناقض بين هذه المعاني يمكن الجمع بينها بأن يقال : " أشركه أنا في أمري بإشراككَ إيَّاه في النُّبوة "[٢] . والله أعلم .

❖ أثر القراءتين على المعنى :

حملت كلُّ قراءة دلالة ونمطًا في الأسلوب مختلفًا عن نظيرتها ، لكنهما تتكاملان انتهاءً في رسم طبيعة دعوة موسى عليه السلام وحرصه على هداية قومه في مقابل تعنُّتهم وتكبُّرهم عن اتباع الحق .

<u>فقراءة الأمر</u> (اُشْدُدْ – أَشْرِكْهُ) جاءت ضمن سلسلة من الأفعال قبلها كلها بصيغة الأمر . والأصل في بنية الأمر أن تحمل دلالة الجزم المشعر بالاستعلاء ، ومثل هذه البنية تُجْتَنَبُ في كثير من الأحيان عند مخاطبة شخص لآخر من باب التأدُّب والتلطُّف معه ، إلا أنَّ هذه الدلالة ليست تُفْهَم من هذه القراءة . فإنَّ موسى عليه السلام كليم الرحمن تعالى ، وهو مَنْ هُوَ في علمه بربه تعالى ، وأدبه معه ، وإنَّما كانت طبيعة هذا الخطاب ناشئةً من حرصه عليه السلام على استكمال أدوات التبليغ والرسالة ، حتى يَنْفُذَ بها إلى أمر الله تعالى له حين أمره بقوله : ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ النازعات: ١٧، ويظهر هذا

(١) أبو حيان : البحر المحيط ٦/٢٢٥
(٢) يُنْظَر: ابن أبي مريم : الموضح في وجوه القراءات ،٥١١

الحرص جليًّا في تكرار (**لِيْ**) ، وتقديمها على معمول الفعــل في الآيات : ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴾ طه: ٢٥، ﴿ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴾ طه: ٢٦ ، وكأنَّه عليه السلام أراد أنْ يمتَلِئَ صدره انشراحًا ، ويزداد أمره تيسيرًا وما ذلك إلا حرصًا منه على أن يبلِّغ فرعون الدعوة والرسالة ، مستوفيًا مقوِّمات القوة في البلاغ .

ثم تنتقل صـــورة هذا الحـــرص في تقسيـــم آخر بديـــع يتضمن إلحاق يـــاء المتكلم من (**لِسَانِيْ**) و(**قَوْلِيْ**) من الآيـــات :﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ طه: ٢٧، ﴿ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾ طه: ٢٨ ، التي تفيد اختصاصه بهذا الموقف أمام فرعون ، حيث أراد عليه السلام استكمال أدوات التبليغ فتُحلَّ عنه عقدة لســانه ، ويُفْقَه عنه قوله .

ولمَّا كانت مثل هذه المقوِّمات يترتَّب عليها أنَّ موسى عليه السلام سيقف موقفًا صعبًا أمام طاغية متَّسمٍ بالتجبُّر ، معروفٍ عنه عناده وطغيانه ؛ استدعى نمط الخطاب أنْ يخرج فعل الأمر عن معناه الأصلي المشعر بالاستعلاء إلى خطاب مِلْؤُه الدعاء والتَّأدُّب ، وإظهار الفاقة والحاجة للرحمن تعالى في تحقيق المهمَّة ، يرى فيه الباحث – والله أعلم – خطاب إدلالٍ على الله تعالى وتمنٍّ عليه ، ولا يكون مثل هذا النَّمط من الخطاب إلا بين من بلغت المحبَّة غايتها منهما ، فلا يقع إدلالٌ إلا من محبٍّ على حبيبه ، ونحن نعلم منزلة موسى عليه السلام عند ربه تعالى . ومِمَّا يوحي بهذه الدلالة :

- صوت (**الياء**) الذي ملأ أركان هذا النَّص وأشاع جوًّا من اللين والهدوء في جنبات السياق ، ومعلوم أنَّ الياء منسفلة جدًّا[1] أي : ليست من حروف الاستعلاء الموسومة بالقوَّة في المخرج ، وهذه الصفة للياء توحي بتلك المعاني التي أشار إليها الباحث ، التي استدعت أنْ تخـــرج بِنية الأمر عن دلالتها الأصلية .
- تكرَّرت اليـــاء في هـــذا السيـــاق أكثـــر من (**عشر مرات**) من مثل : (**لِيْ**) ، (**صَدْرِيْ**) ، (**أَمْرِيْ**) ، (**لِسَانِيْ**) ... ، تشكَّل معها دلالاتٌ من التلطُّف

(١) يُنْظَر : ابن الجزري : التمهيد ، ١٥٠

والقرب من الرحمن تعالى في أنْ يعينه عليه السلام على وطأة التبليغ وثِقله ، وغلظة فرعون وشدَّته .

- إظهـــار التَّضعيف ، وفكُّه في الفعلين (**احْلُلْ**) ، (**اشْدُدْ**) من قـــوله تعالى : ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴾ طه: ٢٧ ، وقوله تعالى : ﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴾ طه: ٣١ ، يوحي – والله أعلم – بالتَّخفيف والتَّيسير المتَّرتبين على السهولة في النطق بالفعلين ، مِمَّا تكون معه نفسية موسى عليه السلام متأهِّبةً للتبليغ والدَّعوة دون خوف أو ترهُّبٍ من الموقف الذي سيقفه بين يدي جبَّار عنيد ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴾ القصص: ٣١ . ولمَّا زال التَّضعيف في القول ؛ زالت مترتِّباته في النَّفس .
- لمَّا علم موسى عليه السلام أنَّ في دعوة فرعون فتنةً له تستلزم أن يسأل اللهَ الإعانة على الخلاص منها ؛ جاء بالأمرين (**اُشْدُدْ – أَشْرِكْهُ**) ليُظْهِر مدى حرصه على تحصيل منقبة الدعوة ، لعلمه أنَّها منقبةٌ عظيمةٌ ، وأراد أن يكون ألحق النَّاس بالخير أخاه هارون عليه السلام فسأل الله تعالى أن يشدَّ به أزره ، ويشركه في أمر النبوة على وجه الإدلال على ربه والتضرُّع ، وما ذاك إلا لعظيم مكانته عليه السلام عند ربه تبارك وتعالى .

<u>أما قراءة المضارع (أَشْدُدْ – أُشْرِكْهُ):</u>

فتظهر دلالتها من خلال الشَّرط المُتَضمَّن في القراءة ، والمعنى : إنْ تجعلْه وزيرًا لي ؛ أَشْدُدْ به أزري ، وأُشْرِكْه في أمـــري . فــ (**أَشْدُدْ**) جـــواب شرط مقـــدر مجـــزوم ، و (**أُشْرِكْهُ**) معطوف عليه . وبهذا المعنى تكون قراءة المضارع مترتِّبة على قراءة الأمر، ويكون الترتيب بين معنى القراءتين : أنَّ موسى عليه السلام سأل ربه تعالى ابتداءً أنْ يجعل له من هارون عليه السلام سندًا يشدُّ به أزره ، ويُشْرِكه معه في أمر النُّبوة ، ثمَّ أَخْبَر

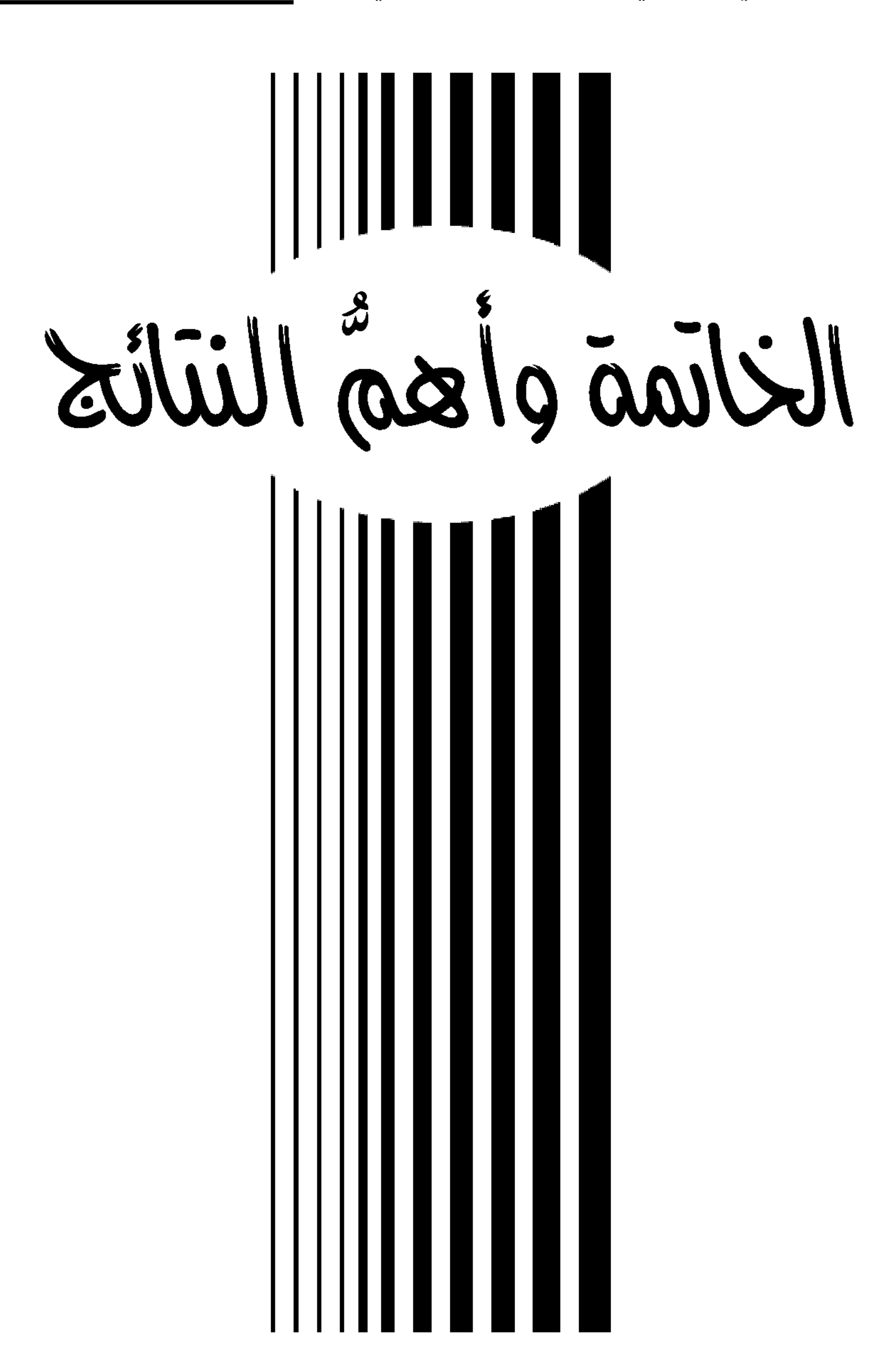
موسى عليه السلام بمحصَّل فعلِه إنِ استُجيبَتْ دعوتـــه ، فاستجـــاب الله تعالى له ذلك بقوله :
﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ طه: ٤٣ .

وعليه فلا وجه – فيما يرى الباحث – للاعتراض على هذه القراءة بأنَّ موسى عليه السلام أخبر عن إشراك أخيه في النُّبوة وذلك ليس إليه ، ولا يُحَلُّ هذا الإشكال إلا بإعمال دلالتي القراءتين معًا حتى لا تُفْصَل كلُّ قراءة عن سياقها " فموسى عليه السلام قال ذلك ؛ لأنَّه علم أنَّ هارون عليه السلام يشدُّ عَضُدَه ، وهو أكبر منه سنًّا ، وأفصح منه لسانًا ، ثم إنَّه سبحانه حكى عنه ما لأجله دعا بهذا الدعاء فقال :﴿ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ طه: ٣٣ – ٣٤ "[1] . هذا إنْ كان المراد بالإشراك : الإشراك في النُّبوة ، أمَّا إنْ عُمِّمَ فيزول الإشكال .

ومع قلة ورود هذه الصورة من التغيُّر التي لا ترِدُ إلا لنوع خصوصيَّة يقتضيها السياق ، لا يتوخَّاها إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطَّلع على أسرارها ، وفتَّش عن دفائنها ، وهي وما شاكلها ضربٌ من ضروب علم البيان ، وأدقِّها فهمًا ، وأغمضِها طريقًا كما يقول ضياء الدِّين ابن الأثير ت(٦٣٧هـ)[2] ؛ فإنَّها تبقى شاهدةً على وجهٍ آخرَ يضاف إلى إعجاز هذا الكتاب العزيز ، في تفرُّع دلالاته ، وتنوُّع أساليب خطابه ، فهو تارة يورد الخبر ويريد به الأمر ، وتارة يخرج الأمر على هيئة من اللطف والهدوء تأسر النفس ، وتجعلها مهيأة للقبول والتلقي ، مستعدَّة للتنفيذ والتطبيق ، وتارة يغاير بين شكل الخطاب خبرًا وإنشاءً ليؤكِّد أحدهما معنى الآخر ، فمن لم يدرك الدلالة من أسلوب الإخبار ، لا يمكن أن تفوته من أسلوب الإنشاء ، وهكذا يمتلك غاية الإمتاع ، وقمة الإبداع ، وروعة التأثير مستنهضًا النفوس مستحثًّا عزائمَها ، ليبقى معجزة الله الخالدة على تعاقب العصور وتلاحق الدهور .

---
(١) الرازي : مفاتيح الغيب ٥٠/٢٢
(٢) ابن الأثير : المثل السائر ،١٨٠/٢

وهكذا استثمَر القرآن الكريم أقلَّ ما يمكن من الألفاظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني ، ومهما استجدَّت الدراسات فيه ؛ فإنَّه يبقى قبلةً للباحثين يؤمُّون محرابه طالبين دقائق أسراره ، ومنهلا للظَّامئين يروون عطشهم بتلمُّس إعجازه . واختلاف القراءات القرآنية وتغيُّرها بين هذه البنية أو تلك مسلكٌ من مسالك البلاغة ، وضربٌ من ضروبها ما كانت لتؤدِّي إلى تناقضٍ ولا إلى تضادٍ ، بل القرآن كلُّه على تنوُّع قراءاته يشهد بعضُه لبعضٍ ، ويعضُد بعضه بعضًا على نمطٍ واحدٍ في علوِّ الأسلوب والتعبير ، ومعنى هذا أنَّ الإعجاز يتحقَّق بهذه القراءة أو بتلك ، ومن هنا يتعدَّدُ الإعجاز بتعدُّد المعاني والدلالات ، والله أعلم



الخاتمة وأهمُّ النتائج

لقد كان من فضل الله تعالى على هذه الأمَّة أن اختصَّها بالقرآن الكريم ، وتكفَّل لها بحفظه ، ذلك السِّجل الذي حوى من الإبداع أعلاه ، ومن البيان أحلاه ، أَسَرَ القلوب ، وسبى الألباب ، ينتقي لأقوى المعـاني أقوى الألفـاظ بشكل يدلُّ على انسجـام وترابط ، وإنَّ الناظر في بلاغة الخطاب ليدرك بداهةً أنَّ لكل حال مقامًا يقتضيه ، كما يدرك أنَّ تجاوب طرق الأداء والسياق مع الصياغة والبنية تبرِز هذه الدلالة أو تلك من متنوَّع الدلالات التي تسهم في ثراء المعنى وتوضيحه ، وقد ناقش الباحث الدلالات المترتِّبة على صُوَر التغيُّر لبنية الفعل في نطاقه الزَّمني ، سواء الماضي منه أو المضارع ، أو الأمر بين القراءات القرآنية ، ورأى ما أحدثته صورة الانتقال من بنية إلى أخرى في نفس المتلقِّي ، إذ تبدو للوهلة الأولى أنَّ كلَّ بنية صرفيَّة لا ارتباط لها بالأخرى ، وأنَّ كل صورة مستقلة عن الأخرى ، وما أنْ يتَّقِد الذهن وينشط لتلمُّس أوجه الربط بين البنيتين باستصحاب دلالات السياق لكل صورة ؛ ترتسم أمامه تلك اللوحة الفنية الرائعة من التناسق والتكامل بين تلك البُنَى ، وهذا ما استدعى أن يدير الباحث فكره في تلمُّس تلك الدلالات من خلال مجموعة من النماذج المناسبة لكل صورة ، وقد تتبَّع الباحث صور هذا التغيُّر كاشفًا عن دلالاته ، محلِّلا لبعض المواضع الواردة على هيئته ، على سبيل الدلالة والإشارة لا الاستقصاء والاستحصاء ؛ فإنَّ ذلك يقتضي عملا أكثر ، وجهدًا أوفر ، وتضلُّعًا أوسع .

والتغيُّر الحاصل في البنية الصرفية للأفعال يثير دهشة القارئ والسَّامع ، ويفْجأُ المتلقِّي لخروجه عمَّا هو متوقَّعٌ لديه ، فبينا هو منسجمٌ مع نمط معيَّن من السياق ، مسترسلٌ بحواسِّه معه ، يوليه اهتمامه ، فجأة يبدأ بحثه عن الأبعاد الدلالية ، وينظر في المؤثِّرات السِّياقيَّة التي أكسبت الخطاب لونًا جديدًا ، ونمطًا آخر لم يكن يألفُه سمعُه ، أو تخطُر دلالاته على ذهنه .

ولم يقف الباحث أثنـاء تنـاوله صور التغيُّر لبنية الفعل في رسـالته الموسومة بـ : (**التغيُّر الزمني للأفعال في القراءات القرآنية وأثره في المعنى**) عند حدود التعليل النَّحوي فقط ، بل يتجاوزه إلى التعليل والتَّحليل البلاغي ، والبياني رابطًا التَّركيب

بالمعنى ، والبنية بالسياق للوقوف على دلالات أزمنة الأفعـــال من خلال سيـــاقها القرآني ، ولم يقتصِر على الدلالة الصرفية خارج السياق اللغوي ، وإنَّما تناولها في السِّياق الواردة فيه من حيث الدلالة الزَّمنيَّة ، ودرس أثرها على المعنى .

ولقد خرجت الدراسة بجملة من النتائج يورد الباحث أهمَّها فيما يلي :

١. أكَّدت الدِّراسة على أنَّ التغيُّر الحاصل بين القراءات القرآنية إنَّما هو من قبيل التنوُّع لا التضاد ، فالقراءات أبْعَدُ ما تكون عن الرأي ، كما أنَّه لا تَعَارُضَ بين مدلولاتها .
٢. أظهرت الدِّراسة مدى تأثير السياق في فهم الدلالات المتعددة للقراءات القرآنية ، كما أنَّ لكل صورة من صُوَر التغير جملة من الفوائد تختص بها ، فمنها : ما يُسرِّع من وتيرة الحدث ، ومنها ما يركِّز على المآلات والنتائج ، ومنها ما يلفت انتباه القارئ إلى ترتيب الاهتمامات والأولويَّات في نمط الخطاب ، إلى غيرها من الفوائد التي تختلف باختلاف السياق والمقام .
٣. اهتمَّت صورة التَّغيُّر من الماضي إلى المضارع ، ومن المضارع إلى الماضي بمشهد حَدَث الفعل من خلال الإطالة في مفرداته ، وزيادة تفاصيله بما يحمل على استحضاره بحيث يبقى ماثلا أمام الذِّهن كما في قضايا اليـــوم الآخر : (**نُنْزِل**) ، أو الحثِّ على الديمومة على العمل ، الذي يعبَّر عنه بالاستمرار التجدُّدي كما في الحث على التطوُّع : (**تَطَوَّع**) ، وقيام الليل : (**أُخْفِي**) ، أو إظهار الرغبة في حصول الفعل كما وردت بذلك الأمثلة في وصف اليهود ، والمنافقين من حرصهم على القتل ، والصدِّ عن دين الله : (**يَقْتُلُون**) ، (**نَمْنَعْكُم**) .
٤. جاءت صورة التغيُّر بين بُنْيتي الماضي والأمر مراوحة بين سياقين : التَّبْكيت والذَّم كمسلك من مسالك التهديد كما في : (**اسْتَفْتِحُوا**) ، (**اسْتَبِقُوا**) ، والمدح والوصف من باب التخفيف والتيسير كما في : (**اتَّخَذُوا**) .

٥. التغيُّر الحاصل من بنية المضارع إلى الأمر ، ومن الأمر إلى المضارع جاء فيما يطلب تحقيقه على الفـور ؛ كونه مِمَّا لا يستدعي التأخُّر عنه كما في قضايا الإيمان والجهـاد : (**تُؤْمِنُونَ – تُجَاهِدُون**) ، أو كان مِمَّا يلزم المسارعة بالامتثال لفعله كما في التسليم لله تعالى والانقياد له : (**أَعْلَمُ**) ، وتلاوة القرآن : (**أَتْلُوَ**) ، وتبليغ الدعوة : (**اُشْدُد – أَشْرِكْه**) ، وهذه الأوامر يحتاج المرء أن يأخذ مساحة زمنيَّة من الممارسة حتى يألف الفعل إن كان طلبًا ، أو الترك إن كان نهيًا ، وذلك ثقيلٌ على النفس ، عزيزٌ في النَّاس .

٦. القول بأبلغيَّة قراءة على أخرى ، أو التَّرجيح بينهما يوهم بتدافع القراءات في المعنى ، أوإسقاط الأخذ ببعضها ، وإنْ جاز مثل هذا الأمر فيما بين القراءات الشاذَّة ، فهو غير جائز فيما بين القراءات المتواترة .

٧. تشير صور التغيُّر لبنية الفعل بين القراءات القرآنية إلى لفتات تربوية وفكرية تسهم في بناء القيم الإسلامية ، وحينما نجد قراءة تؤكِّد على قيمة معيَّنة نجد القراءة الأخرى تشير إلى قيمة جديدة لا تقل أهميَّة عن الأولى في سياق متكامل غير متَّسم بالتناقض والتدافع ، كما في النماذج : (**أَعْلَمُ**) ، (**قال**) ، (**قُلْ**) .

٨. الإكثار من المعاني في الآية الواحدة مقصدٌ من مقاصد التَّغاير بين القراءات القرآنية ، وهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلُّها حقٌّ من عند الله تعالى ، فكلُّ قراءة تسدُّ مسدَّ آية ، وكلُّ قراءة مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية . وهذا ضرب من ضروب البلاغة والاعجاز .

يوصي الباحث في ختام هذه الدِّراسة بما يلي :

١. أهميَّة دراسة أوجه الاختلاف بين القراءات القرآنية وبيان أثرها اللغوي و الدلالي كلون من ألوان الاعجاز البياني القرآني ، وباب هذا البحث فيما يراه الباحث – والله أعلم – لا يزال غضًّا طريًّا أمام الباحثين لتقصي مثل هذه الدلالات خاصَّة مع كثرة القراءات واختلافها .

٢. تتبُّع الظواهر الصرفيَّة بين القراءات القرآنية – على غرار ما تناولته هذه الدِّراسة – والتي يتمخَّض عنها دلالات بلاغيَّة وبيانيَّة تُبرِز روعة التنوُّع في الأداء الفنِّي الجمالي.

إنَّ الباحث في حقل القراءات القرآنية ليدرك جليًّا قصوره عن أن يقِف على أسـرار النَّص القرآني ودلالاته ، أويستوفي كلَّ معانيه ودقائقه ، فدون ذلك خرق القتاد ، وظمأ الأكباد ، وإنَّ ذلك مِمَّا استأثر به مولى العباد تبارك وتعالى ، وقد وقف ذوو القامات من كبار الباحثين في هذا الميدان معترفين بالقصور علانيـة علـى الـرَّغم مـن دقـائق استنباطاتهم ، وجميل تذوُّقاتهم لمثل هذه النُّصوص كما هو حال سيد قطـب رحمـه الله حين قال : " كثيرًا مـا أقف أمام النُّصوص القرآنية وقفة المتهيِّب أن أمسَّها بأسـلوبي البشري القاصر ، المتحرِّج أن أشوبها بتعبيري البشري الفـاني "(١) .

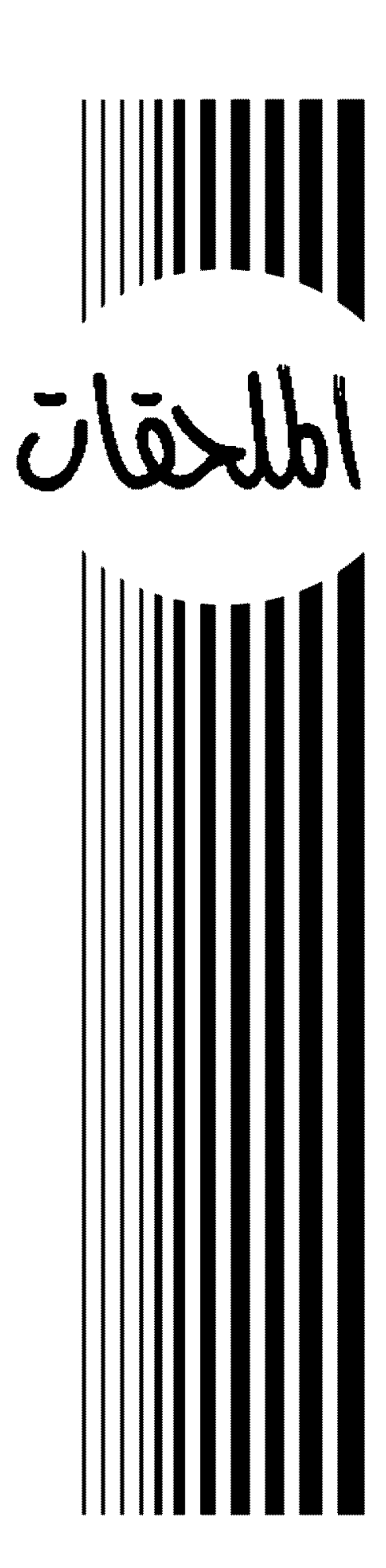
فإنْ كان هذا مقال تلك القامات مع تبحُّرِها وتدفُّقِها ، فكيف حال من قلَّت بضـاعته ، ولم تُؤْمَن زلَّته ، ولولا شغف الباحث بكتاب الله تعالى لآثر السَّلامة ، فالسَّلامة لا يعدِلها شيء ، إلا أنِّه سعى بهذا العمل لخدمته ، وإبراز جانب من جوانب إعجازه وعظمتـه ، فإن وافق رضاه ربِّي فهو غاية المطلب والمؤمَّل ، وإلا فإنِّه يسأله بمنِّه وفضله أنْ يجعله موافقًا لرضاه ، آخذًا بيده يوم يوافيه ويلقاه .

ثمَّ إنَّ هذه الدِّراسة من ثمرة تحصيل الباحث وما أفضى إليه اجتهاده ، وكان المتَّكأ على الله اعتمادَه ، فإنْ أُلهِم التوفيق فيما قرّر ، وقارب السَّداد فيما حرَّر – وهو ما يرجو ويؤمِّل – فهو من فضل الله تعالى عليه تكرُّمًا وامتنانًا ، وإن كانت الأخرى فما هو إلا جهدُ المُقِلِّ ، وحسبه أنَّه قد بذل غاية الجهد ، وللعبد عند الله تعالى ما قصد . وليس الكمال إلا لله وحده ، فلا تؤاخذنا ربَّنا إن نسينا أو أخطأنا .

الباحث

والحمد لله على توفيقه وامتنانه ،،،

(١) قطب ، سيد : في ظلال القرآن ، ٢٠٣٨/٤


الملحقات

ملحق (١) التغيُّر من الفعل الماضي إلى المضارع

	السورة	رقم الآية	الماضي	المضارع	القارئ	حكم القراءة
١	البقرة	٧٠	إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا	(تَشَابَهُ) (تَشَّابَهُ) (يَشَّابَهُ)	الحسن ويحي بن يعمر الأعرج و الحسن المطوعي	شاذّة
٢	البقرة	١٥٨	وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرًا	يطّوعْ	حمزة ، الكسائي ، يعقوب	متواترة
٣	البقرة	١٨٤	فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرًا	يطّوعْ	حمزة ، الكسائي	متواترة
٤	آل عمران	١٨١	سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ	يقولون	ابن مسعود ، طلحة بن مصرف	شاذة
٥	المائدة	٢	قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ	إن يصدّوكم	الأعمش ، ابن مسعود	شاذّة
٦	المائدة	٢٧	فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا	فيُقبَل	الحسن	شاذّة
٧	المائدة	٤٥	فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ	يتصدّق	أبيّ بن كعب	شاذّة
٨	الأنعام	٢	ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗا	ليقضي	ابن أبي محيصن	شاذّة
٩	الأعراف	١٨٩	فَمَرَّتۡ بِهِۦ	فاستمرت به	ابن عباس ، أبو العالية	شاذّة
١٠	يونس	٢٧	كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ	تغشى	أبيّ	شاذّة
١١	هود	٣	وَإِن تَوَلَّوۡاْ	تُوَلُّوا	عيسى بن عمر ، اليماني	شاذّة
١٢	هود	٥٧	فَإِن تَوَلَّوۡاْ	تُوَلُّوا	الأعرج ، عيسى الثقفي	شاذّة
١٣	يوسف	١١٠	فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ	فنُنْجِي	العشرة عدا ابن عامر ويعقوب وعاصم	متواترة

ملحق (١)

التغيُّر من الفعل الماضي إلى المضارع

	السورة	رقم الآية	الماضي	المضارع	القارئ	حكم القراءة
١٤	إبراهيم	٢٣	وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟	وأُدخِلُ	الحسن ، عمرو بن عبيد	شاذّة
١٥	إبراهيم	٤٥	وَتَبَيَّنَ لَكُمْ	ونبيّنُ	السُّلمي	شاذّة
١٦	الفرقان	١٠	جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ	يجعل	عبد الله بن مسعود	شاذّة
١٧	الفرقان	٢٥	وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا	نُنْزِلُ	ابن كثير	متواترة
١٨	الشعراء	٤	ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ	فتظل	طلحة	شاذّة
١٩	السجدة	١٧	مَّآ أُخْفِىَ لَهُم	أُخْفِيْ	حمزة ويعقوب	متواترة
٢٠	الشورى	٧	وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ	نوحي	أبو عمرو ، أبو حيوة	شاذّة
٢١	محمد	٢٥	سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ	أُمْلِيْ	يعقوب	متواترة
٢٢	المجادلة	١	قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ	يسمع	عبد الله بن مسعود	شاذّة

ملحق (٢)

التغيُّر من الفعل المضارع إلى الماضي

	السورة	رقم الآية	المضارع	الماضي	القارئ	حكم القراءة
١	البقرة	٢٢٦	لِلَّذِينَ **يُؤْلُونَ** مِن نِّسَآئِهِمْ	آلوا	عبد الله بن مسعود	شاذّة
٢	آل عمران	٦	هُوَ ٱلَّذِى **يُصَوِّرُكُمْ**	تَصَوَّرَكم	طاووس	شاذّة
٣	آل عمران	٢١	**وَيَقْتُلُونَ** ٱلَّذِينَ	وقاتلوا	ابن مسعود ، الأعمش	شاذّة
٤	آل عمران	٣٠	وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ **تَوَدُّ**	ودَّت	ابن مسعود ، ابن أبي عبلة	شاذّة
٥	النساء	٤٢	لَوْ **تُسَوَّىٰ** بِهِمُ	تَسَوَّى	حمزة والكسائي وخلف	متواترة
٦	النساء	١٤١	**وَنَمْنَعْكُم** مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ	ومنعناكم	أبيّ بن كعب	شاذّة
٧	الأنعام	٢٣	ثُمَّ لَمْ **تَكُن** فِتْنَتُهُمْ	وما كان فتنتهم	ابن مسعود ، الأعمش	شاذّة
٨	الأنعام	١٤٥	عَلَىٰ طَاعِمٍ **يَطْعَمُهُۥٓ**	طعمه	عائشة ، ابن مسعود	شاذّة
٩	الأعراف	١٣١	**يَطَّيَّرُواْ** بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ	تطّيروا	طلحة بن مصرف ،	شاذّة
١٠	التوبة	١١٠	إِلَّآ أَن **تَقَطَّعَ**	قطّعت ، قطِعت	ابن مسعود	شاذة
١١	التوبة	١١٧	مَا كَادَ **يَزِيغُ** قُلُوبُ	ما زاغت	ابن مسعود	شاذّة
١٢	الإسراء	٤٤	**تُسَبِّحُ** لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ	سبّحت	المطوعي ، الأعمش	شاذّة
١٣	النور	٣٥	**يُوقَدُ** مِن شَجَرَةٍ	توقَّد	ابن كثير ، أبو عمرو ، أبو جعفر ، يعقوب ،	متواترة

ملحق (٢)

التغيُّر من الفعل المضارع إلى الماضي

	السورة	رقم الآية	المضارع	الماضي	القارئ	حكم القراءة
١٤	الشعراء	٤	إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم	لو شئنا	–	شاذّة
١٥	الشعراء	٤	إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ	لأنزلنا على قراءة " لو شئنا "	–	شاذّة
١٦	الأحزاب	٣٩	يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ	بلَّغوا	ابن مسعود	شاذّة
١٧	سبأ	١٤	تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ	أكلت	ابن مسعود	شاذّة
١٨	الإنسان	٣٠	إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ	ما شاء	ابن مسعود	شاذّة
١٩	النازعات	٣٦	لِمَن يَرَىٰ	رأى	ابن مسعود	شاذّة

ملحق (٣)

التغيُّر من الفعل الماضي إلى الأمر

	السورة	رقم الآية	الماضي	الأمر	القارئ	حكم القراءة
١	آل عمران	٣٧	فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا	فتقبّلْها	مجاهد	شاذة
٢	آل عمران	٣٧	وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا	وأنبِتْها	مجاهد	شاذة
٣	آل عمران	٣٧	وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا	وكفِّلْها	مجاهد	شاذة
٤	إبراهيم	١٥	وَٱسۡتَفۡتَحُواْ	واستفتِحوا	ابن محيصن ، مجاهد	شاذة
٥	الأنبياء	٤	قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ	قل	ابن كثير ، نافع ، ابن عامر ، أبو عمرو ، عاصم ، يعقوب ، شعبة ، أبو جعفر	متواترة
٦	الأنبياء	١١٢	قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ	قل	ابن كثير ، نافع ، ابن عامر ، أبو عمرو ، يعقوب ، شعبة ، أبو جعفر ، والكوفيُّون	متواترة
٧	المؤمنون	١١٢	قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ	قل	ابن كثير ، حمزة ، الكسائي	متواترة
٨	المؤمنون	١١٤	قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ	قل	ابن كثير ، حمزة ، الكسائي	متواترة
٩	يس	٦٦	فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ	فاستبِقوا	عيسى	شاذة
١٠	الزخرف	٢٤	قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم	قل	ابن كثير ، نافع ، أبو عمرو ، يعقوب ، شعبة ، أبو جعفر ، الكوفيُّون	متواترة
١١	ق	٣٦	فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ	فنَقِّبوا	أبو عمرو ، الحسن	متواترة

ملحق (٤)

التغيُّر من الفعل الأمر إلى الماضي

	السورة	رقم الآية	الأمر	الماضي	القارئ	حكم القراءة
١	وبشِّر	البقرة	وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ	وبُشِّر	زيد بن علي	شاذّة
٢	البقرة	١٢٥	وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ	واتَّخَذُوا	نافع ، ابن عامر	متواترة
٣	الأعراف	٤٩	ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ	دخلوا	عكرمة	شاذّة
٤	يوسف	٢٩	يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ	أعرَضَ	–	شاذّة
٥	الحجر	٤٦	ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ	اُدْخِلوها	الحسن ، يعقوب ، رويس	متواترة
٦	الإسراء	٩٣	قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي	قال	ابن كثير ، ابن عامر	متواترة
٧	الإسراء	١٠١	فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ	فسأل	ابن عباس	شاذّة
٨	الكهف	٢٦	أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ	أبصَرَ به وأسْمَعَ	عيسى	شاذّة
٩	سبأ	١٩	فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ	باعَد	يعقوب	متواترة
١٠	الجن	٢٠	قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي	قال	نافع ، الكسائي ، خلف ، يعقوب ، ابن كثير ، أبو عمرو ، ابن عامر ، شعبة	متواترة
١١	المرسلات	٣٠	ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ	انطَلَقوا	رويس ، يعقوب	متواترة

ملحق (٥)

التغيُّر من الفعل المضارع إلى الأمر

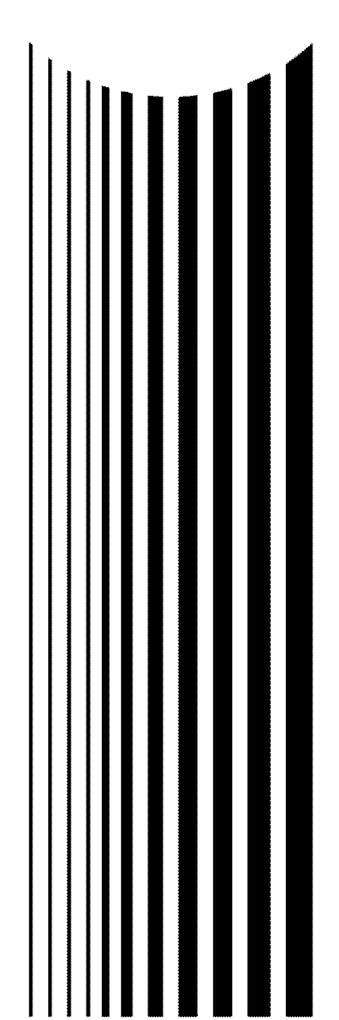
	السورة	رقم الآية	المضارع	الأمر	القارئ	حكم القراءة
١	البقرة	١٢٦	فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا	فأمْتِعْه	مجاهد ، قتادة	شاذة
٢	البقرة	١٢٦	ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ	اضْطَرَّهُ	مجاهد ، قتادة	شاذة
٣	البقرة	٢٥٩	قَالَ أَعْلَمُ	قال اعْلَمْ	حمزة ، الكسائي	متواترة
٤	يونس	٥٨	فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ	فافْرحوا	أبي بن كعب	شاذة
٥	النمل	٢٥	أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ	ألا يا اسجدوا	الكسائي ، رويس ، أبو جعفر ، يعقوب	متواترة
٦	النمل	٩٢	وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ	وأنِ اتْلُ	عبد الله بن مسعود	شاذة
٧	الصف	١١	تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ	آمِنوا	عبد الله بن مسعود	شاذة
٨	الصف	١١	وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ	وجاهِدوا	عبد الله بن مسعود	شاذة

ملحق (٦)

التغيُّر من الفعل الأمر إلى المضارع

	السورة	رقم الآية	الأمر	المضارع	القارئ	حكم القراءة
١	الأعراف	١٧١	وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ	وتذْكُروا	ابن مسعود	شاذة
٢	النحل	٢	أَنْ أَنذِرُوٓا	لِيُنذِرُوا	–	شاذة
٣	النحل	٥٥	فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ	فيُمْتعوا	أبو العالية ، أبو رافع	شاذة
٤	طه	٣١	ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى	أَشدُدْ	ابن عامر	متواترة
٥	طه	٣٢	وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى	وأشرِكْه	ابن عامر	متواترة
٦	الروم	٣٤	فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ	فيُمَتَّعوا	أبو العالية	شاذة
٧	ص	٦	أَنِ ٱمْشُوا وَٱصْبِرُوا	يمشون	ابن مسعود ، ابن عباس	شاذة

الفهارس



- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأبيات الشعريَّة
- فهرس المصادر و المراجع



فهرس الآيات القرآنية



	الآية	رقمها	الصفحة
	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾	٢٠٧	١٦٢
	﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾	٢١٠	٥٣
	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾	٢١٦	١٦٢
	﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾	٢٥٩	١٥٢-١٥٥
	﴿ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	٢٦٠	١٥٣-١٥٤
	﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾	٢٦٨	٦٥
	﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾	٢٧٤	٤٢
	آل عمران		
	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾	٥	٧٣-٧٦
	﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾	٦	٧٣-٧٦
	﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾	٧	١٥٦
	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾	٢١	٧٧-٧٩
	﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ ﴾	٦٨	١٢٩
	﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾	٨٣	٤٣

	الآية	رقمها	الصفحة
	﴿ وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾	٩١	١١٢
	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ ﴾	١١٢	٧٨
	﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا ﴾	١٤٧	١٧٢
	﴿ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ ﴾	١٧٨	٦٦
	﴿ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ ﴾	١٨٣	٧٨
	النساء		
	﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾	١	٣١
	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ **فَتَبَيَّنُواْ** ﴾	٩٤	٢٦
	﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ ﴾	١١٩	٦٦
	﴿ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾	١٢٠	٦٦
	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾	١٣٦	٩٠-١٦١
	﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ ﴾	١٤١	٨٢-٨٥
	المائدة		
	﴿ إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾	١١٨	١٦٦
	الأنعام		

	﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾	١٤	١٦٥
	﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا ﴾	٢٧	١١٠
	﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ ﴾	٣٠	١١٠
	﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٧١ - ٧٢	١٦٥
	﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	١٠٦	١٦٤
الأعراف			
	﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾	٣	١٦٤
	﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ ﴾	٥٤	٧٥
	﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾	٨٩	٩٦-١٠٣- ١٠٨-١٧٢
	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾	١٧٢	٧٥
	﴿ وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾	١٨٣	٦٥-٦٦
الأنفال			
	﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ﴾	١٩	٩٥
	﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ ﴾	٣٢	٩٦

	﴿ فَٱثۡبُتُواْ ﴾	٤٥	٩١
	﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ ﴾	٤٨	٦٥
	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا ﴾	٧٤	١٦٠
	التوبة		
	﴿ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٣٨	١٦٢
	﴿ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖ ﴾	٦٧	٨١
	هود		
	﴿ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	١	١٤٧
	﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا ﴾	١٥	٤١
	﴿ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾	٢٨	١١٧
	الرعد		
	﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾	٢٤	٤٧
	إبراهيم		
	﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾	٦	٩٧
	﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ ﴾	٨	٩٧

	﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١٠	٩٧
	﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾	١١	٩٧
	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ ﴾	١٣-١٤	٩٥-٩٧-١٠٠
	﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾	١٥	٩٥-٩٨
	﴿ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾	١٨	٨٧
	﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ ﴾	٢١	٤٧
	﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ ﴾	٢٣	٤٦
	﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٣١	١٥٩
	﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾	٤٨	٦٠
	الحجر		
	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ ﴾	٩	٥٠
	النحل		
	﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾	٥٣	٤٢
	﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾	٦٣	٦٥

الإسراء			
	﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴾	٩٠-٩٤	١٣٧-١٣٨
	﴿ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾	٩٣	١٣٦-١٣٧-١٤٦
	﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ ﴾	٩٥	٥٣-١٣٧-
	﴿ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ ﴾	٩٦	١٣٧
	﴿ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾	١٠٦	٥٠
طه			
	﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴾	٢٥ - ٣٠	١٧٢-١٧٥
	﴿ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾	٣١ - ٣٢	١٧٢-١٧٦
	﴿ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴾	٣٣-٣٤	١٧٧
	﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	٤٣	١٧٧
	﴿ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾	٦٣	٣٠
الأنبياء			
	﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾	٣	١٠٢

	﴿ قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾	٤	١٠١-١٠٢
	﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾	١١٢	١٠١
	الحج		
	﴿ فَأَمۡلَيۡتُ لِلۡكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ ﴾	٤٤	٦٥-٦٦
	﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ ﴾	٤٧	٥٥
	﴿ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾	٤٧	٥٨
	المؤمنون		
	﴿ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾	١٠٨-١٠٩	١٠٣
	﴿ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴾	١١٢	١٠١
	﴿ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ﴾	١١٣	١٠٣
	﴿ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾	١١٤	١٠٩
	النور		
	﴿ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	٣	٨٩
	﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا ﴾	١٢	٨٩
	﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾	١٧	٨٩

	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	١٩	٨٩
	﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾	٣١	٨٩
	﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ ﴾	٣٥	٨٦
الفرقان			
	﴿ يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجۡرٗا ﴾	٢٢	٥٢
	﴿ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾	٢٥	٦١-٥٤-٤٩
	﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ ﴾	٢٦	٥٧-٥٣
	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ ﴾	٣٢	٥٣
الشعراء			
	﴿ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾	٤	٥٢
	﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾	١٩٣	٥٠
	﴿ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ﴾	١٩٨	٥٠
النّمل			
	﴿ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ ﴾	٩٢	١٦٤

	القصص		
	﴿ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴾	٣١	١٧٦
	﴿ فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾	٣٤	١٧٣
	﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَا ﴾	٥٨	١٣٤
	لقمان		
	﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۗ ﴾	٢٨	٧٥
	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ ﴾	٣٤	٧٥
	السجدة		
	﴿ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ ﴾	١٤	٥٩
	﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا ﴾	١٦	٦٠
	﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾	١٧	٣٧-٥٩-٦١-٦٩
	﴿ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾	١٩	٥٩
	سبأ		
	﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾	١٩	١٣٠-١٤٧
	فاطر		

	﴿ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ ﴾	٣٧	١٠٥
يس			
	﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم ﴾	٦٥	١١٥
	﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ ﴾	٦٦	١١٣
	﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ ﴾	٦٧	١١٧
الصافات			
	﴿ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴾	٢٤	١٠٨
ص			
	﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾	١٦	٩٦
الزمر			
	﴿ يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ ﴾	٦	٧٦
	﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ ﴾	٦٢	٧٥
فصلت			
	﴿ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾	١١	٤٣
	﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ ﴾	١٧	٢٦

الزخرف			
	﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ ﴾	٢٢-٢٤	١٠٤-١٠٥
	﴿ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ ﴾	٢٤	١٠١-١٠٥-١١٠
	﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ ﴾	٣١	٥٠-٥٢
الدخان			
	﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ﴾	٣	٥٠
محمد			
	﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ ﴾	١٦	٦٨
	﴿ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ ﴾	٢٠	٦٨
	﴿ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾	٢٢	٦٨
	﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾	٢٥	٣٥-٦٤
	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ ﴾	٢٦	٦٥
الحجرات			
	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾	٦	٢٦
	﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ ﴾	١٥	١٥٧

	النجم		
	﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾	٣	١٣٦
	﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾	٤	١٠٦
	القمر		
	﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾	٤٩	٢٥
	الحديد		
	﴿ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	٣	٧٥
	الصف		
	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾	١٠	١٦٠
	﴿ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ﴾	١١	٢٣-١٥٨-١٦٢
	﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	١٣	١٦٣
	الجمعة		
	﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾	١١	١٦١
	القلم		
	﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٤٤	٦٧

		المعارج	
٥٥	٤	﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ ﴾	
		الجن	
١٤٥	١	﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾	
١٤٢	١٦	﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾	
١٤٢-١٤١-١٣٨	١٨	﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾	
١٤٦-١٣٨-١٣٦	٢٠	﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾	
١٤٥-١٣٨	٢١ ـ ٢٢	﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى ﴾	
		المزمِّل	
١٦٦	١ ـ ٥	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾	
٤٩	٨	﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴾	
		الإنسان	
٥٥	٢٧	﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾	
		النبأ	
٥٤	١٩	﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴾	
		النازعات	

	﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾	١٧	١٧٤-١٧٣
	الانفطار		
	﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾	١ - ٤	٥٨
	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾	٦	١٠٤
	المطففين		
	﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾	٦	٥٥
	الانشقاق		
	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴾	٦	١٠٤
	الفجر		
	﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾	٢٢	٥٥
	القدر		
	﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾	١	٥٠



فهرس الأحاديث النبويَّة



م	مطلع الحديث	الراوي	المخرِّج	رقم الصفحة
١	إِنَّا كُنَّا فِي شَرٍّ، فَذَهَبَ اللَّهُ بِذَلِكَ الشَّرِّ	حُذَيْفَة بن الْيَمَانِ	أحمد	٣٩
٢	إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ	عَبْد اللَّهِ بْنِ عَمْرِو	الحاكم	٩١- ١٦٢
٣	إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ	عبد الله بن مسعود	البخاري	٧٤
٤	حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ	أَنَس بْن مَالِك	مسلم	٤٥
٥	سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ	جُبَيْر بن مطعم	النسائي	٢٨
٦	سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ	عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ	البخاري	٢٨
٧	قال : قيام العبد من الليل	معاذ بن جبل	أحمد	٦٠
٨	يَا أَبَا عُبَيْدَةَ قَتَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلاثَةً وَأَرْبَعِينَ	أَبو عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاح	البزَّار	٧٩
٩	يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ	عبد الله بن مسعود	الترمذي	٥٤



فهرس الأبيات الشعريَّة



م	الشطر الثاني	القائل	الصفحة
قـــــافيـــة الدَّال			
١	وعادَكَ مَا عــادَ السَّليــمَ المسَهَّدَا	الأعشى	١٥٤
٢	وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هلْ أَنْتَ مُخْلِديْ	لطرفة بن العبد	١٥٨
قـــــافيـــة اللام			
٣	وَهَلْ تُطِيــقُ وَدَاعًــا أَيُّهَا الرَّجُلُ	الأعشى	١٥٣
٤	عشــرةٍ كفــاعــل مِــنْ فَعــَلا	ابن مالك	١٣
٥	واتَّخَذُوا بــِالفَتْحِ أَعمَّ وأوغــــلا	الشاطبي	١٢٥



فهرس المصادر و المراجع



أوَّلا : القرآن الكريم

ثانيًا : المصادر والمراجع الأخرى :

١. ابن الأثير ، ضياء الدين محمد بن محمد ت (٦٣٧هـ) :

- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور . د.ط . تحقيق : مصطفى جواد وجميل سعيد . العراق : المجمع العلمي العراقي . ١٣٧٥هـ .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر . ط. الثانية . تحقيق : أحمد الحوفي و بدوي طبانه . القاهرة : دار نهضة مصر . د.ت .

٢. الأحمدي ، موسى أحمد : معجم الأفعال المتعدية بحرف . ط.الأولى . بيروت : دار العلم للملايين . ١٩٧٩م .

٣. أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي ت(٧٤٥هـ) : البحر لمحيط .ط.الثانية . تحقيق : عادل أحمد و علي معوّض و زكريا النوتي و أحمد الجمل . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

٤. الأخفش ، سعيد بن مسعدة ت بعد(٢٠٧هـ) : معاني القرآن . ط.الأولى . تحقيق : عبد الأمير الورد . بيروت : عالم الكتب .١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

٥. الأزهري ، خالد عبد الله ت(٩٠٥هـ) : شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو . ط.الأولى . تحقيق : محمد باسل عيون السود . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

٦. الأزهري ، محمد بن أحمد ت(٣٧٠هـ) : معاني القراءات . ط.الأولى . تحقيق : عيد درويش وعوض القوزي . الرياض : مركز البحوث بكلية الآداب بجامعة الملك سعود . ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

٧. الإستراباذي ، رضى الدين محمد بن الحسن (٦٨٦هـ) : شرح شافية ابن الحاجب . د.ط . تحقيق : محمد نور الحسن ومحمد الزقراف ومحمد محيي الدين عبد الحميد . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م .

٨. إسماعيل ، شعبان محمد : رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة . ط.الثانية . القاهرة : دار السلام . ٢٠٠١م .

٩. آل إسماعيل ، نبيل محمد : علم القراءات: نشأته و أطواره و أثره في العلوم الشرعية . ط.الأولى . الرياض : مكتبة التوبة . فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية . ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

١٠. الأشموني ، أحمد محمد : منار الهدى في بيان الوقف والابتدا . ط.الثانية . مصر : شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي . ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .

١١. الأشوح ، صبري : إعجاز القراءات القرآنية دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء . ط.الأولى . القاهرة : مكتبة وهبة . ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

١٢. ابن أبي الأصبع ، زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد ت(٦٥٤هـ) : بديع القرآن . د.ط . تحقيق : حفني محمد شرف . القاهرة : نهضة مصر . د.ت .

١٣. الأصفهاني ، الراغب الحسين بن محمد ت(٤٢٥هـ) : مفردات ألفاظ القرآن . ط.الرابعة . تحقيق : صفوان داوودي . دمشق : دار القلم . بيروت : الدار الشامية . ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .

١٤. الأعشى ، ميمون بن قيس : ديوان الأعشى الكبير .د.ط . د.ت

١٥. آغا ، طه صالح : التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في معاني القرآن . ط. الأولى . بيروت : دار المعرفة . ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

١٦. الألوسي ، شهاب الدين السيد محمود ت(١٢٧٠هـ) : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني .ط.الثالثة . تحقيق : علي عبد الباري عطية . بيروت : دار الكتب العلمية . ٢٠٠٩م .

١٧. الأنباري ، عبد الرحمن بن محمد أبو البركات ت(٥٧٧هـ) : الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين . ط.الأولى . تحقيق : جودة مبروك ورمضان عبد التوَّاب . القاهرة : مكتبة الخانجي . ٢٠٠٢م .

١٨. الأنباري ، محمد بن القاسم ت(٣٢٧هـ) : كتاب الأضداد . د.ط . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . بيروت : المكتبة العصرية .١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

١٩. أنيس ، إبراهيم . الأصوات اللغوية . د. ط . مصر : مكتبة نهضة مصر ، د.ت .

٢٠. ابن الباذش ، أحمد بن علي بن أحمد ت(٥٤٠هـ) : الإقناع في القراءات السبع . ط.الأولى . تحقيق : عبد المجيد قطامش . دمشق : دار الفكر . د.ت .

٢١. بازمول ، محمد عمر : القراءات وأثرها في التفسير والأحكام . ط.الأولى . الرياض : دار الهجرة .١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

٢٢. الباقولي ، علي بن الحسين الملقب بجامع العلوم ت(٥٤٣هـ) : كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في إعراب القرآن وعلل القراءات . ط.الأولى . تحقيق: د.عبد القادر لسعدي . عمَّان : دار عمار. ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .

٢٣. البحلوز ، علاء الدين مصطفى : النظير ودوره في توجيه القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث . د.ط . القاهرة : دار البصائر . ٢٠٠٦م .

٢٤. البخاري ، محمد بن إسماعيل ت(٢٥٦هـ) . صحيح البخاري . الرياض : دار السلام . ط. الثانية . ١٤١٩هـ .١٩٩٩م .

٢٥. بدوي ، أحمد : من بلاغة القرآن . ط. الخامسة . القاهرة : نهضة مصر . ٢٠٠٨م .

٢٦. البزار ، أبو بكر ت(٢٩٢هـ) : البخر الزَّخَّار بمسند البزَّار. تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله . ط.الأولى . المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم . ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

٢٧. البغدادي ، عبد القادر عمر ت(١٠٩٣هـ) : خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب . ط.الرابعة تحقيق : عبد السلام هارون . القاهرة : مكتبة الخانجي . ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

٢٨. البغوي ، الحسين بن مسعود ت(٥١٦هـ) : معالم التنزيل . د.ط . تحقيق : محمد النمر و عثمان ضميرية و سليمان الحرش . الرياض : دار طيبة . ١٤٠٩هـ .

٢٩. البقاعي ، إبراهيم بن عمر ت(٨٨٥هـ) : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. د.ط . القاهرة : دار الكتاب الإسلامي . د.ت .

٣٠. البكري ، محمد وسيم : البكريات في توجيه مفردات الآيات . ط.الأولى . عمَّان : دار البشير . ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .

٣١. البيلي ، أحمد : المكشاف عما بين القراءات العشر من اختلاف . ط.الأولى . الخرطوم : الدار السودانية للكتب . ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

٣٢. التبريزي ، يحي بن علي ت(٥٠٢هـ) : شرح القصائد العشر . د.ط . مصر : إدارة الطباعة المنيرية . ١٣٥٢هـ .

٣٣. التِّرمذي ، محمد بن عيسى ت(٢٧٩هـ) : الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل . تحقيق : أحمد محمد شاكر. بيروت : دار إحياء التراث العربي . د.ت .

٣٤. التَّفتازاني ، مسعود بن عمر سعد الدين ت(٧٩٣هـ) : شرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف . ط.الثامنة . تحقيق : عبد العال سالم مكرم . القاهرة : المكتبة الأزهرية . ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

٣٥. الثعلبي ، أبو إسحاق أحمد (٤٢٧هـ) : الكشف والبيان . ط.الأولى . تحقيق : أبو محمد بن عاشور . بيروت : دار إحياء التراث العربي . ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .

٣٦. ابن جبر ، مجاهد ت(١٠٢هـ) : تفسير مجاهد بن جبر . ط.الأولى . تحقيق : محمد أبو النيل . مدينة نصر: دار الفكر الإسلامي الحديثة .١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

٣٧. الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن ت(٤٧١هـ) : دلائل الإعجاز. تعليق : محمود محمد شاكر. د.ط . القاهرة : مكتبة الخانجي . د.ت.

٣٨. ابن الجزري ، محمد بن محمد بن علي ت(٨٣٣هـ) :

- التمهيد في علم التجويد . ط.الأولى . تحقيق : علي البوَّاب . الرياض : مكتبة المعارف . ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

- منجد المقرئين ومرشد الطالبين . ط.الثانية . تحقيق : علي محمد العمران . السعودية : دار عالم الفوائد . ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .

- النشر في القراءات العشر . د.ط . تحقيق : نجيب الماجدي . بيروت : المكتبة العصرية . ٢٠٠٨م - ١٤٢٩هـ .

٣٩. ابن جُزِّي ، محمد بن أحمد ت(٧٤١هـ) : التسهيل لعلوم التنزيل . ط.الأولى . تحقيق : محمد سالم هاشم . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٤٠. ابن جماعة ، بدر الدين محمد بن إبراهيم ت(٧٣٣هـ) : شرح كافية ابن الحاجب . د.ط . تحقيق : محمد محمد داود . القاهرة : دار المنار . د.ت .

٤١. الجمل ، محمد أحمد : الوجوه البلاغية في توجيه القراءات القرآنية المتواترة . ط.الأولى . عمَّان : دار الفرقان . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

٤٢. الجندي ، أبو بكر ت(٧٦٩) : بستان الهداة في اختلاف الأئمة والرواة . د.ط . تحقيق : حسين العواجي . المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية.١٤١٦هـ .

٤٣. ابن جنِّي ، أبو الفتح عثمان ت (٣٩٢هـ) :

- الخصائص . د.ط . تحقيق : محمد علي النجار. القاهرة : دار الكتب المصرية . د.ت .

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها . تحقيق : علي النجدي وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي . القاهرة : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

٤٤. ابن الجوزي ، جمال الدين عبد الرحمن بن علي ت(٥٩٧هـ) : زاد المسير في علم التفسير .ط. الثالثة . بيروت : المكتب الإسلامي . ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م .

٤٥. الجوهري ، إسماعيل بن حماد ت(٣٩٦هـ) : الصحاح " تاج اللغة وصحاح العربية " . ط.الرابعة . تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار . بيروت : دار العلم للملايين . ١٩٩٠م .

٤٦. حبش ، محمد :

- الشامل في القراءات المتواترة . ط.الأولى . دمشق : دار الكلم الطيب . ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

- القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية . ط.الأولى . دمشق : دار الفكر . ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٤٧. حسَّان ، تمَّام :

- البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنَّص القرآنـــي . ط. الثالثـــة . القاهرة : عالم الكتب . ١٤١٣هـــ-١٩٩٣م .

- اللغة العربية معناها ومبناها . د.ط . الدار البيضاء : دار الثقافة . ١٩٩٤م .

٤٨. ابن حنبل ، أحمد بن محمد ت(٢٤١هـــ) . مسند أحمد بن حنبل .د.ط . بيروت : دار إحياء التراث العربي . ١٤١٤هـــ – ١٩٩٣م .

٤٩. ابن خالويه ، الحسين بن أحمد ت(٣٧٠هـــ) :

- إعراب القراءات السبع وعللها . ط.الأولى . تحقيق : أبو محمد الأســيوطي . بيروت : دار الكتب العلمية . ٢٠٠٦م .

- إعراب القراءات السبع وعللها . ط.الأولى . تحقيق : عبد الرحمن العثيمـــين . القاهرة : مكتبة الخانجي ١٤١٣هـــ – ١٩٩٢م .

- الحجة في القراءات السبع . ط.الأولى . تحقيق:عبد العال مكـــرم . بيـــروت : مؤسسة الرسالة . ١٤٢١هـــ – ٢٠٠٠م .

- القراءات الشاذة . ط.الأولى . تحقيق: محمد الشعباني . طنطا : دار الصـــحابة للتراث . ١٤٢٨هـــ- ٢٠٠٨م .

- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البـــديع . د.ط . تحقيـــق : برجستراســـر. القاهرة : مكتبة المتنبي . د.ت .

٥٠. الخراط ، أحمد محمد : الإعجاز البياني في ضوء القراءات القرآنية المتـــواترة . د.ط . المدينة المنورة : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف . ١٤٢٦هـــ .

٥١. الخطيب ، عبد اللطيف : معجم القراءات . ط.الأولى . دمشق : دار سعد الدين . ١٤٢٢هـــ – ٢٠٠٢م .

٥٢. ابن خلف ، أبو الطاهر إسماعيل ت(٤٥٥هـ) : الاكتفاء في القراءات السبع المشهورة . ط.الأولى . تحقيق : حاتم الضامن . دمشق : دار نينوى . ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

٥٣. الدَّاني ، عثمان بن سعيد أبو عمرو ت(٤٤٤هـ) :

- التيسير في القراءات السبع . ط.الأولى . تحقيق د. حاتم الضامن . الشارقة : مكتبة الصحابة . ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .
- المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله عز وجل . ط.الثانية . تحقيق : يوسف المرعشلي . بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م

٥٤. الدمياطي ، أحمد البنّا ت(١١١٧هـ) : إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر المسمى منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات . ط.الأولى . تحقيق: شعبان محمد إسماعيل . بيروت : عالم الكتب . القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية . ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

٥٥. الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد ت(٧٤٨هـ) : معرفة القراء الكبار على الطبقات و لأعصار . د.ط . تحقيق : طيار آلتي قولاج . استانبول : ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .

٥٦. الراجحي ، عبده . اللهجات العربية في القراءات القرآنية . د.ط .مصر : دار المعرفة الجامعية . ١٩٩٦م

٥٧. الرّازي ، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين ت (٦٠٤هـ) :

- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب . ط.الثالثة . بيروت : دار الكتب العلمية . ٢٠٠٩م .
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز . ط.الأولى . بيروت : دار صادر .١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .

٥٨. الرضي ، الشريف ت(٤٠٤هـ) : تلخيص البيان في مجازات القرن . د.ط . تحقيق : علي محمود مقلّد . بيروت : دار مكتبة الحياة . ١٩٨٦م .

٥٩. الزَّجَّاج ، إبراهيم بن السَّرِي (٣١١هـ) : معاني القرآن وإعرابه . ط.الأولى . تحقيق : عبد الجليل عبده شلبي . بيروت : عالم الكتب . ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٦٠. أبو زرعة ، ابن زنجلة عبد الرحمن بن محمد ت(٤٠٣هـ) : حجة القراءات . ط.الخامسة . تحقيق : سعيد الأفغاني . بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .

٦١. الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله ت (٧٩٤هـ) : البرهان في علوم القرآن . د.ط . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . السعودية : دار عالم الكتب . ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

٦٢. الزمخشري ، محمود بن عمر أبو القاسم ت (٥٣٨هـ) : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل .ط.الثانية . تحقيق : عبد الرزاق المهدي . بيروت : دار إحياء التراث العربي . ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

٦٣. الساقي ، فاضل مصطفى : أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة . د.ط . القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

٦٤. السامرَّائي ، إبراهيم : الفعل زمانه وأبنيته . الطبعة الثالثة . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـ ،١٩٨٣م .

٦٥. السامرائي ، فاضل صالح :

- التعبير القرآني . ط.السادسة . عمَّان : دار عمَّار . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
- الجملة العربية تأليفها وأقسامها . ط. الثانية . عمَّان : دار الفكر ناشرون . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م .

- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني . ط. الخامسة .عمَّان : دار عمَّار . ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م .

- على طريق التفسير البياني . د.ط . الشارقة : مركز البحوث والدراسات بجامعة الشارقة . ٢٠٠٥م .

- معاني الأبنية في العربية . ط. الثانية .عمَّان : دار عمَّار . ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

- معاني النحو . ط.الثانية . القاهرة : شركة العاتك . ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .

٦٦. السجستاني ، عبد الله بن سليمان بن الأشعث ت(٣١٦هـ) : كتاب المصاحف .ط.الأولى . تحقيق : محب الدين واعظ . قطر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .

٦٧. السَّخاوي ، علي بن محمد ت(٦٤٣هـ) : جمال القراء وكمال الإقراء . ط.الأولى . تحقيق : مروان العطية ومحسن خرابه . بيروت : دار المأمون للتراث . ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م .

٦٨. ابن السَّرَّاج ، محمد بن سهل ت(٣١٦هـ) : الأصول في النَّحو. ط.الثالثة . تحقيق : عبد الحسين الفتلي . بيروت : مؤسسة الرسالة .١٤١٧هـ –١٩٩٦م .

٦٩. أبو السعود ، ابن محمد العمادي ت(٩٨٢هـ) : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم .د.ط . تحقيق : عبد القادر عطا . الرياض : مكتبة الرياض الحديثة . د.ت .

٧٠. السفاقسي ، علي النوري بن محمد ت(١١١٨هـ) : غيث النفع في القراءات السبع .ط.الثانية . تحقيق: أحمد الحفيان . بيروت : دار الكتب العلمية . الثانية . ٢٠٠٨م .

٧١. السكَّاكي ، يوسف بن محمد ت (٦٢٦هـ) : مفتاح العلوم . ط.الأولى . تحقيق : عبد الحميد هنداوي . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .

٧٢. السمرقندي ، محمد بن محمود : كشف الأسرار في رسم مصاحف الأمصار . د.ط . تحقيق: د. حاتم الضامن . دبي : مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث . ضمن: نصوص محققة في علوم القرآن .١٤١١هـ – ١٩٩١م .

٧٣. السَّمين ، أحمد بن يوسف الحلبي ت(٧٥٦هـ) :

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون .د.ط . تحقيق: احمد محمد الخرّاط . دمشق : دار القلم . ١٤٠٦هـ .

- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ . ط.الأولى . تحقيق : محمد باسل عيون السود . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .

٧٤. السّهَيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله ت(٥٨١هـ) : نتائج الفِكَر في النَّحو . ط.الأولى . تحقيق : عادل عبد الموجود و علي معوَّض . بيروت : دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .

٧٥. سيبويه ، عمرو بن عثمان ت(١٨٠هـ) : الكتاب . ط.الثالثة . تحقيق : عبد السلام هارون . القاهرة : مكتبة الخانجي . ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

٧٦. ابن سيده ، علي بن إسماعيل ت(٤٥٨هـ) : المخصَّص . د.ط . بيروت : دار الكتب العلمية .د.ت .

٧٧. السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله ت(٣٦٨هـ) : شرح كتاب سيبويه . د.ط . تحقيق : رمضان عبد التوَّاب . القاهرة : الهيئة العامة المصرية للكتاب . ١٩٩٠م

٧٨. السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت (٩١١هـ) :

- الإتقان في علوم القرآن .د.ط . تحقيق: محمد أبو الفضل . بيروت : المطبعة العصرية . قطر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .د.ت .
- قطف الأزهار في كشف الأسرار .ط.الأولى . تحقيق : أحمد الحمادي . الدوحة : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- معترك الأقران في إعجاز لقرآن . ط.الأولى . تحقيق : أحمد شمس الدين . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع . د.ط . تحقيق : عبد السلام هارون وعبد العال مكرم . بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

٧٩. سيِّب ، خير الدين : تغاير الأسلوب في القراءات القرآنية وأثره في اختلاف المعنى . ط. الأولى . دمشق : دار الغوثاني للدراسات القرآنية . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

٨٠. شادي ، محمد إبراهيم : البلاغة الصوتية في القرآن الكريم . ط. الأولى . الدُّقِّي . مصر : شركة الرسالة . ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

٨١. الشاطبي ، القاسم بن فِيرُّه ت(٥٩٠هـ) : حرز الأماني ووجه التَّهاني في القراءات السبع . ط.الخامسة . تحقيق : محمد الزُّعبي . دمشق : دار الغوثاني . ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .

٨٢. أبو شامة ، عبد الرحمن بن إسماعيل ت(٦٦٥هـ) : إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للشاطبي (٥٩٠هـ) . د.ط . تحقيق : إبراهيم عطوه . بيروت : دار الكتب العلمية . د.ت .

٨٣. شاهين ، عبد الصبور : أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي " أبو عمرو ابن العلاء" . ط.الأولى . القاهرة : مكتبة الخانجي . ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

٨٤. الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار ت(١٣٩٣هـ) : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . ط.الأولى . تحقيق : بكر أبو زيد . مكة المكرمة : دار عالم الفوائد . ١٤٢٦هـ .

٨٥. الشوكاني ، محمد بن علي ت(١٢٥٠هـ) :

- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول . ط.الأولى . تحقيق : سامي الأثري . الرياض : دار الفضيلة . ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

- فتح القدير لجامع بين فنَّي الرواية والدراية من علم التفسير . د.ط . تحقيق : عبد الرحمن عميرة . دار الوفاء . ١٤٢١هـ - ١٩٩٢م .

٨٦. شيخ زاده ، محمد بن مصلح الدين ت(٩٥١هـ) : حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير القاضي البيضاوي ت(٦٨٥هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل .ط.الأولى . تحقيق : محمد شاهين . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤١٩هـ . ١٩٩٩م .

٨٧. الطبري ، محمد بن جرير ت(٣١٠هـ) : جامع البيان عن تأويل آي القرآن . د.ط . تحقيق: عبد الله التركي . القاهرة : دار هجر ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

٨٨. الطنطاوي ، علي ، والطنطاوي ، ناجي : أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . الطبعة الثامنة . بيروت : المكتب الإسلامي .١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

٨٩. الطّيبي ، شرف الحسين بن عبد الله ت(٧٤٣هـ) : التبيان في البيان . د.ط . تحقيق : عبد الستار زموط . القاهرة : جامعة الأزهر . ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .

٩٠. ابن عادل ، عمر بن علي ت بعد(٨٨٠هـ) : اللباب في علوم الكتاب . ط. الأولى . تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوَّض . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

٩١. ابن عاشور ، محمد الطاهر: تفسير التحرير والتنوير د.ط . تونس : الدار التونسية . ١٩٨٤م .

٩٢. عباس ، فضل حسن : البلاغة فنونها وأفنانها . ط.الرابعة . أربد . الأردن : دار الفرقان . ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .

٩٣. ابن العبد ، طرفة : ديوان طرفة . ط.الثالثة . تحقيق : مهدي محمد ناصر . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

٩٤. عبد الجواد ، سمير أحمد : التخريجات النحوية والصرفية لقراءة الأعمش ت (١٤٨هـ) . ط.الأولى . القاهرة : مطبعة الحسين الإسلامية . ١٤١١هـ– ١٩٩١م .

٩٥. عبد الشكور ، سامي محمد سعيد : القراءات الشاذة بين الرواية والتفسير وأثرها في التفسير والأحكام (دراسة مقارنة) . ط. الأولى . عمَّان : دار عمار . ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م .

٩٦. العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله ت(٣٩٥هـ) : الفروق اللغوية .د.ط . تحقيق : محمد إبراهيم سليم . القاهرة : دار العلم والثقافة .د.ت .

٩٧. ابن عطية ، عبد الحق بن غالب الأندلسي ت(٥٤٢هـ) : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . ط.الثانية . تحقيق : الرحالة الفاروق و عبد الله الأنصاري و السيد عبد العال و محمد العناني . قطر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

٩٨. ابن عقيل ، بهاء الدين بن عبد الله ت(٧٦٩هـ) : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . د.ط . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . القاهرة : دار الطلائع . ٢٠٠٩م .

٩٩. ابن عقيلة ، محمد بن أحمد المكِّي ت(١١٥٠هـ) : الزيادة والإحسان في علوم القرآن . ط.الأولى . الإمارات العربية المتحدة : مركز البحوث والدراسات بجامعة الشارقة . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

١٠٠. العُكْبَري ، عبد الله بن الحسين أبو البقاء ت (٦١٦هـ) :

- إعراب القراءات الشواذ . ط.الأولى . تحقيق : محمد السيد عزّوز . بيروت : عالم الكتب .١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- إملاء ما منَّ به الرحمن من الإعراب والقراءات في جميع القرآن .ط.الأولى . بيروت : دار الفكر . ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- التبيان في إعراب القرآن .ط.الأولى . القاهرة : شركة القدس للتصدير. ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م .

١٠١. العلوي ، يحي بن حمزة ت(٧٤٩هـ) : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. د.ط . مصر : مطبعة المقتطف . ١٢٢٢هـ - ١٩١٤م .

١٠٢. عمر ، أحمد مختار . مكرم ، عبد العال سالم : معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء .ط. الثالثة . مصر : عالم الكتب . ١٩٩٧م .

١٠٣. العمري ، ظافر غرمان : بلاغة القرآن الكريم دراسة في أسرار العدول في استعمال صيغ الفعل . ط. الأولى . القاهرة : مكتبة وهبة . ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

١٠٤. عيسى ، محمد مسعود علي : أثر القراءات القرآنية في الفهم اللغوي دراسة تطبيقية في سورة البقرة . ط.الأولى . القاهرة : دار السلام . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

١٠٥. الغزالي ، محمد بن محمد ت(٥٠٥هـ) : المستصفى من علم الأصول . د.ط . تحقيق : حمزة زهير . المدينة المنوَّرة : الجامعة الإسلامية . د.ت .

١٠٦. ابن غلبون ، طاهر بن عبد المنعم ت (٣٩٩هـ) : التذكرة في القراءات الثمان . ط.الأولى . تحقيق : أيمن سويد . جدة : الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم . ١٤١٢هـ - ١٩٩١م .

١٠٧. ابن فارس ، أحمد بن الحسين ت(٣٩٥هـ) :معجم مقاييس اللغة . د.ط . تحقيق : عبد السلام هارون . دمشق : دار الفكر . ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

١٠٨. الفارسي ، الحسن بن عبد الغفار أبوعلي ت(٣٧٧هـ) : الحجة في علل القراءات السبع .ط.الأولى . تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض وأحمد المعصراوي . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

١٠٩. الفراء ، يحي بن زياد ت(٢٠٧هـ) : معاني القرآن .ط.الثانية . بيروت : عالم الكتب . ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١١٠. فيَّاض ، جمال : رواية شعبة . د.ط . الإسكندرية : دار الإيمان . د.ت .

١١١. القاسمي ، محمد جمال الدين ت(١٣٣٢هـ) : محاسن التأويل . ط.الأولى . تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . بيروت : دار إحياء الكتب العربية . ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م .

١١٢. القاضي ، عبد الفتاح : القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب .د.ط . بيروت : دار الكتاب العربي . ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

١١٣. ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ت(٢٧٦هـ) :
- أدب الكاتب . د.ط . تحقيق : محمد الدَّالي . بيروت : مؤسسة الرسالة . د.ت
- تأويل مشكل القرآن . ط.الثانية . تحقيق : إبراهيم شمس الدين . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

١١٤. القرطبي ، عبد الوهاب بن محمد ت (٤٦٣هـ) : المفتاح في اختلاف القرأة السبعة المسمَّين بالمشهورين . ط. الأولى . تحقيق : حاتم الضامن . دمشق : دار البشائر . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

١١٥. القرطبي ، محمد بن أحمد ت(٦٧١هـ) : الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان .ط.الأولى . تحقيق: عبد الله التركي ومحمد عرقسوسي . بيروت : مؤسسة الرسالة . ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

١١٦. قطب ، سيد :
- التَّصوير الفنِّي في القرآن .ط.السادسة عشر . القاهرة : دار الشروق . ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
- في ظلال القرآن .ط.السادسة والثلاثون . القاهرة : دار الشروق . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

١١٧. القونوي ، إسماعيل بن محمد ت(١١٥٩هـ) : حاشية القونوي على تفسير البيضاوي ت(٨٨٠هـ) . ط.الأولى . تحقيق : عبد الله محمود محمد . بيروت : دار الكتب العلمية . ١٤٢٢هـ .

١١٨. ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ت(٧٧٤هـ) : تفسير القرآن العظيم . ط.الأولى . بيروت : دار ابن حزم .١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

١١٩. الكردي ، عز الدين محمد : وجوه الاستبدال في القرآن الكريم دراسات لغوية وصفية تحليلية . ط.الأولى . بيروت : دار المعرفة . ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

١٢٠. الكرماني ، محمد بن أبي المحاسن ت (بعد ٥٦٣هـ) : مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني .ط.الأولى . تحقيق:عبد الكريم مدلج . بيروت : دار ابن حزم . ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

١٢١. الكرماني ، محمد بن أبي نصر ت(٥٣٥هـ) : شواذ القراءات د.ط . تحقيق : شمران العجلي . بيروت : مؤسسة البلاغ .د.ت .

١٢٢. لاشين ، عبد الفتاح : من أسرار التعبير في القرآن صفاء الكلمة . د.ط . الرياض : دار المريخ . ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

١٢٣. ابن مالك ، محمد بن عبد الله ت(٦٧٢هـ) : متن ألفية ابن مالك . ط.الأولى . تحقيق : عبد اللطيف الخطيب . الكويت : دار العروبة . ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

١٢٤. الماوردي ، علي بن محمد (٤٥٠هـ) : النكت والعيون (تفسير الماوردي) . د.ط . تحقيق : عبد المقصود عبد الرحيم . بيروت : دار الكتب العلمية و مؤسسة الكتب الثقافية .د.ت .

١٢٥. المبرد ، محمد بن يزيد ت(٢٨٥هـ) : المقتضب . د.ط . تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة . بيروت : عالم الكتب . ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م .

١٢٦. المجاشعي ، علي بن فضَّال ت(٤٧٩هـ) : النكت في القرآن . تحقيق : عبد الله الطويل . د.ط . مصر : دار البدر . ٢٠٠٧م .

١٢٧. ابن مجاهد ، أبو بكر أحمد بن موسى ت(٣٢٤هـ) : كتاب السبعة في القراءات . د.ط . تحقيق: شوقي ضيف . القاهرة : دار المعارف . ١٩٧٢م .

١٢٨. مجهول المؤلف و ابن عطية ، عبد الحق بن أبي بكر ت(٥٤٣هـ) : مقدمتان في علوم القرآن وهما مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية . د.ط . تحقيق : آرثر جفرى . القاهرة : مكتبة الخانجي . ١٩٥٤م .

١٢٩. محمد ، أحمد سعد : التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية . ط.الثانية . القاهرة : مكتبة الآداب . ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م .

١٣٠. محيسن ، محمد محمد سالم :

- الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية . ط.الأولى . القاهرة : دار محيسن . ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

- الفتح الرباني في علاقة القراءات بالرسم العثماني . د.ط . السعودية : إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

١٣١. ابن أبي مريم ، نصر بن علي ت(٥٦٥هـ) : الموضح في وجوه القراءات وعللها . ط.الأولى . تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني . بيروت : دار الكتب العلمية. ٢٠٠٩م .

١٣٢. مسلم ، أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم ت(٢٦١هـ) :

- صحيح مسلم . ط. الثانية . الرياض : دار السلام . . ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

- صحيح مسلم .د.ط ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . بيروت : دار إحياء التراث العربي .د.ت

١٣٣. مصطفى ، إبراهيم . الزيات ، أحمد . عبد القادر ، حامد . النجار ، محمد : المعجم الوسيط د.ط . تحقيق: مجمع اللغة العربية . نسخة المكتبة الشاملة .

١٣٤. المطعني ، عبد العظيم : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغيَّة . ط.الأولى . القاهرة : مكتبة وهبة . ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .

١٣٥. المطلبي ، مالك يوسف : الزمن واللغة . د.ط . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٨٦م

١٣٦. مكي ، ابن أبي طالب القيسي ت(٤٣٧هـ) :

- كتاب التبصرة في القراءات السبع .د.ط . تحقيق : جمال الدين محمد . طنطا : دار الصحابة للتراث . د.ط .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها . تحقيق : محيي الدين رمضان . دمشق : مجمع اللغة العربية . ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .
- مشكل إعراب القرآن . ط.الأولى . تحقيق: أسامة عبد العظيم . بيروت : دار الكتب العلمية . ٢٠١٠م .

١٣٧. ابن منظور ، محمد بن مكرم ت(٧١١هـ) : لسان العرب . د.ط. تحقيق : عبد الله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي . القاهرة : دار المعارف . د.ت .

١٣٨. المهدوي ، أحمد بن عمار ت(٤٤٠هـ) :

- بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات . د.ط . تحقيق: حاتم الضامن . بغداد : معهد المخطوطات العربية . ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
- شرح الهداية . ط. الأولى . تحقيق: حازم سعيد . الأردن : دار عمار . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

١٣٩. ابن مِهران ، أحمد بن الحسين ت(٣٨١هـ) : المبسوط في القراءات العشر. د.ط . تحقيق : سبيع حاكمي . دمشق : مجمع اللغة العربية . ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م .

١٤٠. أبو موسى ، محمد حسنين : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية . د.ط . القاهرة : دار الفكر العربي . د.ت .

١٤١. أبو موسى ، محمد محمد : من أسرار التعبير القرآني دراسة تحليلية لسورة الأحزاب . ط.الثانية . القاهرة : مكتبة وهبة . ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .

١٤٢. نبهان ، محمد : الرياش في رواية شعبة بن عياش . ط.الخامسة . نسخة الكترونية محملة من موقع ww.quraat.com ـ ٢٠٠٦م .

١٤٣. النَّحاس ، أبو جعفر أحمد بن محمد ت(٣٣٨هـ) :

- إعراب القرآن . د.ط. تحقيق : زهير غازي . بيروت : مكتبة عالم الكتب والنهضة العربية .١٩٨٥م.
- القطع والأئتناف . ط.الأولى . تحقيق : عبد الرحمن المطرودي . الرياض : عالم الكتب . ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- معاني القرآن . د.ط . تحقيق : يحي مراد . القاهرة : دار الحديث . ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .

١٤٤. النَّسائي ، أحمد بن شعيب ت(٣٠٣هـ) : سنن النَّسائي الصغرى . ط.الأولى . تحقيق : صالح بن عبد العزيز آل الشيخ . الرياض : دار السلام . ١٤٢٠هـ .١٩٩٩م .

١٤٥. النَّشَّار ، عمر بن زين الدين قاسم ت(٩٣٨هـ) : البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة . ط.الأولى . تحقيق: احمد المعصراوي . قطر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

١٤٦. نهر ، هادي : التفسير اللغوي الاجتماعي للقراءات القرآنية . ط.الأولى . عمَّان : جدارا للكتاب العالمي . إربد : عالم الكتب الحديث . ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

١٤٧. النيسابوري ، الحاكم ت(٤٠٥هـ) : المستدرك في الصحيحين . د.ط . بيروت : دار الكتب العلمية . د.ت .

١٤٨. الهتاري ، عبد الله علي : الإعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم . د.ط . الأردن : دار الكتاب الثقافي . ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .

١٤٩. الهرري ، محمد الأمين بن عبد الله : حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن . ط.الأولى . تحقيق : هاشم محمد . بيروت : دار طوق النجاة . ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م .

١٥٠. ابن هشام ، جمال الدين عبد الله بن يوسف ت(٧٦١هـ) : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب . ط.الخامسة . تحقيق : مازن المبارك ومحمد علي حمد الله . عمّان : مؤسسة الصادق . د.ت .

١٥١. هنداوي ، عبد الحميد : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة . ط.الأولى . عمّان : جدارا للكتاب العالمي . إربد : عالم الكتب الحديث . ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .

١٥٢. الهيتي ، عبد القادر : ما انفرد به كل من القراء السبعة وتوجيهه في النحو العربي . ط.الأولى . بنغازي : منشورات جامعة قاريونس . ١٩٩٦م .

١٥٣. ابن يعيش ، موفق الدين يعيش بن علي ت(٦٤٣هـ) : شرح المفصَّل . د.ط . مصر : إدارة الطباعة المنيرية . د.ت .

ثالثًا : الرسائل الجامعيَّة المطبوعة :

١. بخيت ، إبراهيم رجب . وجوه التعدد لبناء الكلمة في القرآن الكريم (ماجستير) . مكة المكرمة : جامعة أم القرى . ١٤١١هـ-١٩٩١م .

٢. جاد الله ، هدى رشيد : تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور النور والفرقان والشعراء والنمل (ماجستير) . غزة : الجامعة الإسلامية . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

٣. الجنابي ، زهراء : الأثر الدلالي لحذف الفعل في القرآن الكريم (ماجستير) . الكوفة : جامعة الكوفة . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

٤. حمَّاد ، آمال خميس : تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور الإسراء والكهف و مريم (ماجستير) . غزة : الجامعة الإسلامية ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

٥. الحمادي ، جلال عبد الله : العدول في صيغ المشتقات في القرآن الكريم دراسة دلالية (ماجستير) . تعز : جامعة تعز . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

٦. الحميري ، قاسم محمد : التوجيه النحوي للقراءات القرآنية في تبيان العكبري ت(٦١٦هـ) (ماجستير) . العراق :جامعة بابل . ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٧. أبو راس ، منصور سعيد : اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع من طريق الشاطبية توجيهه وأثره على المعنى (ماجستير) . مكة المكرمة : جامعة أم القرى . ١٤٢٥هـ .

٨. رضوان ، سامي خليل : تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور سبأ وفاطر و يس والصافات وص (ماجستير) . غزة : الجامعة الإسلامية . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

٩. سخنيني ، هشام محمد : نظام الفعل في اللغة العربية (ماجستير) . بيروت : الجامعة الأمريكية . ١٩٤٧م .

١٠. سيكو ، كوليبالي : طبيعة الاختلاف بين القراء العشرة وبيان ما انفرد بقراءته كل منهم من خلال إعراب القرآن وتفسيره (ماجستير) . ساحل العاج (كوت ديفوار) . ١٤٢٣هـ .

١١. الشتوي ، فهد : دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام (دراسة نظرية تطبيقية) (ماجستير) . مكة المكرمة : جامعة أم القرى .١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

١٢. أبو عريش ، أحمد محمد : أثر القراءات الشاذة في الدراسات النحوية والصرفية (دكتوراة) . مكة المكرمة : جامعة أم القرى . ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

١٣. عطية ، هديل محمد ، والمنيراوي ، يوسف : أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء (ماجستير) . غزَّة : الجامعة الإسلامية . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

١٤. عودة ، مجدي عايش : النظم القرآني في سورة هود دراسة أسلوبية (ماجستير) . غزة : الجامعة الإسلامية . ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .

١٥. فرُّوخ ، محمود صلاح : القراءات الشاذَّة عن الأصوليين وأثرها في اختلاف الفقهاء . غزَّة : الجامعة الإسلامية . ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .

١٦. الفلاح ، آمال محمود : تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور طه والأنبياء والحج والمؤمنون (ماجستير) . غزة : الجامعة الإسلامية . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

١٧. الملاحي ، عبد الله علي : تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور الفاتحة والبقرة وآل عمران (ماجستير) . غزة : الجامعة الإسلامية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

رابعًا : الدوريات والمجلات العلميَّة :

١. الأرناؤوطي ، زهير محمد : دلالة (استفعل) على المبالغة في القرآن الكريم . كلية التربية . ابن رشد : مجلة الأستاذ . العدد(٢٠٠) . ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م .

٢. الجيلي ، علي أحمد : اختلاف القراءات من صيغة الماضي إلى غيرها حكمته ودلالته . مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والقانونية . العدد (١) . المجلد (٥) . ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

٣. بلقاسم ، دفة : نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم دراسة دلالية . الجزائر : مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة محمد خيضر . يونيو ٢٠٠٩ .

٤. الثويني ، هاتف : الأفعال في القرآن الكريم ودلالاتها في السياق القرآني . بغداد : مجلة اللغة العربية وآدابها . العدد(٨) . د.ت .

٥. الجمل ، عبد الرحمن : أثر اختلاف القراءات القرآنية في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل . غزة : مجلة جامعة النجاح للأبحاث. العدد (١) . المجلد (١٨) . ٢٠٠٤م .

٦. حسُّون ، رضا هادي : الصيغة العامَّة المزيدة في القرآن الكريم ، مجلة كلية التربية بالجامعة المستنصرية ، العدد(٤) . ٢٠٠٨م

٧. الدليمي ، أحمد ، ونوري ، ميثم : فن الإلتفات في القراءات السبع سورة البقرة أنموذجًا . الموصل : مجلة آداب الرافدين بجامعة الموصل . العدد(٥٥) . ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م .

٨. الزغلول ، محمد : الالتفات في القراءات القرآنية . المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية . العدد(٢) .١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م .

٩. الطبطبائي ، عبد المحسن : تغير صيغ الأفعال بين القراءات القرآنية . جامعة الكويت : حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية . الرسالة (٢٤٨) . الحولية (٢٧) . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

١٠. العبادلة ، حسن : من أوجه القراءات القرآنية إبدال الحروف وأثره على التفسير . المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية . العدد(٢) . المجلد (٢) . ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م .

١١. العتوم ، كامل يوسف : جمال التعبير في النَّص القرآني سورة الإخلاص نموذجًا . مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد(٦) ، العدد(١) ، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م .

١٢. قاسم ، رياض . والشريف ، عمر : القراءات القرآنية وأثرها في التفسير . الجامعة الإسلامية : كلية أصول الدين . ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م . (بحث منشور على النت) .

١٣. هاشم ، محسن: نظرات في شروط القراءات وحجيتها لغة وشرعًا . مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية . المجلد (٥) . العدد(١) .د.ت .

١٤. الهتاري ، عبد الله علي : تحولات الأفعال في السياق القرآني وأثرها البلاغي ، اليمن : مجلة جامعة العلوم والتكنولوجيا . بحث منشور على النت .

خامسًا : مواقع على النت تمَّ الإفادة منها :

١. شبكة الفصيح لعلوم اللغة العربية http://www.alfaseeh.com

٢. ملتقى أهل التفسير http// www.tafsir.net

٣. منتديات مكتبتنا العربية http://www.almaktabah.net

Abstract in English

This study discusses **(change verbs structure between Quran readings and its impact on meanings change)** semantic implications of the images change to the structure of the verb in its scope in time between readings, has touch Researcher those indications through a variety of models analyzed by, where describe the change structure among readers, then he directed this change both read and received frequent or abnormal, then without notes about the image change between my intention Either Mstsahba denote context and its impact on the meaning, has chosen researcher read Asim originally built him pictures change with the rest of the readings, and the study of the structure act confined in times: Past, Present, and command.

Did not stop the researcher during eating these images at the borders of reasoning grammar, but Etjasoh to reasoning rhetorical and chart trying to find the relationship between structure and context to determine the secrets and implications of this change through context Quranic, and this change latest dimensions rhetorical and graphic revealed the faces of miracles in this book Quran .

The search came in the introduction, preface, and three chapters:

- **Introduction**: Researcher reasons for his choice of the subject, then the objectives of the study and its importance, then its scope and limits, and the approach taken by the study and applications Mbagesha, then the previous studies, and the difficulties he faced, then his plan in the message classes.
- **Preface**: he dealt with the researcher: meaning structure morphological, and then act and its significance on time, then change the structure morphological acts, then context definition, his staff, and its importance, then the Qur'an and **readings**: Basic definitions, then the emergence of readings, then the impact on meaning.
- **Chapter One**: change from the past tense to the present tense, and vice versa, and the significance of it.
- **Chapter Two**: change from the past tense to it and vice versa, and the significance of it.
- **Chapter Three**: change from the present tense to it and vice versa, and the significance of it, then the conclusion, the results and recommendations, along with the study annexes limit positions to change the structure of the act between readings

تنسيق
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com